سنوات
في قلعة الخطيئة

حنان شومان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : سنوات في قلعة الخطيئة

المؤلف : حنان شومان

رقم الإيداع : ٩٥٣٧

الطبعة الأولى ٢٠١٢



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

إلى أبنـائي محمـد وهَنـا علـهم يعرفـون أن كلمـة الحـق شـرف حتى لو كنا في دار الباطل.

وإلى زوجـي ماجـد رفيـق أغلـب العمر والرحلة والسند.

حنان شومان



المقدمة

ما بين دفتي هذا الكتاب كلام على ورق خطَّه القلم علّه يكون تاريخًا لوطن من خلال مواطنة احترمت وعشقت الكلمة التي كانت دائماً في البدء، فإن أخطأت لي أجر المحاولة أما وإن أصبت فلي أجران.

لماذا الآن؟

عشت سنوات في بداية رحلتي مع الصحافة أتصور أني أعمل في مهنة الحق والخير والجمال ، ولكن السنوات مرت والتجارب تكالبت فرأيت نجومًا تكتب عن الحق وهي أقرب للضلال ورأيت وسمعت نجومًا للكلام يتحدثون عن الشرف وهو في حالة خصام معه ، والتقيت في رحلتي بملائكة وشياطين وكنت أظن أن ذكرياتي معهم وحولهم هي زاد خاص بي . إلى أن جاء يوم ٢٥ يناير عام ٢٠١١، حيث تغيّر وجه الحياة في مصر فعشت أياماً لم أكن أتخيل أن أكون جزءاً منها في يوم ما، فقد قرأت عن الثورات في كتب التاريخ، وكم تمنيت أن أكون جزءًا من ثورة عامة لأني كنت دائماً في الأصل في ثورة خاصة، فأتي يوم ٢٥ يناير ليحقق لي هذا الأمل والحلم.

وتتابعت أحداث تلك الثورة كما سيكتبها حراس التاريخ، وأنا لست منهم، غير أني فقط أستطيع أن أكتب تاريخًا خاصًا بي أي خاص بمواطنة عاشت في هذه المرحلة التي حَفُلت بزلازل في المجتمع المصري راحت تنفضه من أعلى لأسفل، أيام حملت خليطًا من مشاعر الانتصار والانكسار، والإيمان والكفر ،والشك واليقين، فالكل يحاول أن يتهم الكل بأنه كان من الظالمين أو الفاسدين أو المفسدين، وخرجت صحافة مصر عن بكرة أبيها تحكي في حكايات الفساد وكل من يكتب ينفض يده منه وكأنهم جميعاً ملائكة أطهار وما كانوا في يوم ما كذلك إلا قليلاً.

سمعت وقرأت وشاهدت سيركًا كبيرًا، وآثرت الابتعاد عن الحياة لبعض الوقت،

فبعد أن انتهت الثورة الحقيقية في الشارع عدت إلى بيتي الذي طالما أبعدني عنه العمل، وبدأت في مراقبة المشهد، ولا أنكر أن أغلبه قد أصابني بالإحباط ونوع من الاكتئاب الذي يبدو أنه يأتي تالياً للنشوة التي عشتها أياماً.

بينما راحت الصحافة والصحفيون والإعلام يفتشون في تاريخ بعضهم البعض، رحت أنا أفتش في تاريخي الخاص وأنا لا أملك من التاريخ إلا مجموعة من قصاصات من صحف مختلفة حملت كلماتي على مدي سنين، قصاصات كنت أقصها من صحف أعلم أنها بعد وقت قليل من صدورها تجد طريقها إلى سلة المهملات، فالصحف برغم كونها دواوين لوصف حال البلاد فإنها في النهاية يكون مكانها سلة المهملات أو على منضدة فقيرة يأكل عليها الناس ويلفون فيها بقاياهم لتلقى أيضاً في سلة المهملات، ولكني احتفظت ببعض من تلك المهملات علّني أراجع نفسي يوماً فيما كتبت، أو أحاسب نفسي عما فعلت .

وها قد أتي الوقت الذي يحاسب فيه الكل الكل، وقد آثرت أنا أن أكون الرقيبة الحسيبة على نفسي بدلاً من أن أحاسب غيري كما يفعلون. ولذا قررت أن أجمع بعضاً مما كتبت بشكل منهجي، لا ليكون فقط رصداً لتاريخ شخصي، لأن شخصي هنا ليس هو الهدف ولكن لأنني رغماً عني وأنا أجمع هذا التاريخ، أجمع أيضاً تاريخًا خاصًا بمراحل في حياة هذا الوطن ليس لقيمة خاصي بي ولكن لقيمة خاصة بها كنت أكتب عنه.

وفي ذلك تذكرت ما قاله لي الأديب الكبير خيري شلبي رحمه الله حول ضرورة أن أتجه للكتابة في كتب قد تضمها مكتبات، وليس في صحف تتطاير أوراقها بعد ساعات من طباعتها.

عشت عمري كله أعمل في الإعلام صحافة وتليفزيون والتي يرى فيهما كثير من القراء والجمهور وحتى العاملين بها قلاع من الخطيئة ، خطيئة الصمت أحيانًا أو التدليس غالبًا أو الاثنين معًا ، ولكني أزعم أني ما صمّت على خطأ أدركته أو خبر علمته ، وما شاركت في تدليس حقيقة علمتها عن الناس ، ولكنني متهمة ككل أهل المهنة فهل لو حاولت أن أنفي عن نفسي التهمة وأصنع بين يدي القارئ في ذات الوقت أهم ملامح عقد من الزمان أكون قد أصبت أو أخطأت؟

سؤال لا أملك الإجابة عليه ، أنت فقط أيها القارئ لك الحكم والإجابة .

حنان شومان

القاهرة في ٣/ ٢٠١٢

بداية الحكاية

حين قررت أن أستعيد ذاكرتي من خلال الورق وكلماتي عليه، كان لزاماً عليّ أن أفكر في البداية، من أين أبدأ؟

هل من بداية المشوار، حين كنت صبية صغيرة لم يتعد عمرها خمسة عشر عاماً تحلم بأن ترى اسمها مكتوباً على صفحة جريدة فوجدته على صفحات مجلة صباح الخير، أم من منتصف الطريق، أم من سنوات قليلة حفلت بأحداث جسام وتغيرات عريضة؟ وخبرة حفرتها الأيام

ولكني أستأذنك يا عزيزي في أن أحكي لك البداية وجزءًا من الطريق، ليس كما سطرته على صفحات الجرائد ولكن كما شاهدته وعايشته، فهي حكاية أظنها لن ولم تكتب، ولم أكن لأستطيع أن أكتبها في حينها.. فقصتي مع صاحبة الجلالة كثير فيها غير منشور وكثير منها أيضاً منشور. أما عن غير المنشور فهو ما سأحكيه لأنه مجرد مقدمة لسنوات في قلعة الخطيئة.

- كنت فتاة صغيرة ربما في السنة الأولى الابتدائية، شقية مندفعة، تدرس في مدرسة أمريكية، وقت أن كان التعليم يحمل معنى التربية والتعليم فتقرر المدرسة أن ترسل الصغيرات في رحلة إلى المطافئ لتتعرف البنات على جزء من عمل الشرطة، لا أذكر كثيراً من تفاصيل الرحلة غير انبهاري بسلم المطافئ الطويل جداً والذي قررت أن أتسلقه دون غيري من البنات حتى أصل إلى أقصى ارتفاع له أثناء شرح المسئول لنا، ومن الغريب أنني أذكر كل مشاعر الخوف والترقب والمغامرة التي صاحبت صعودي على سلالم المطافئ،

وتصفيق المسئول لشجاعة الصغيرة، وخوف مدرستي على البنت الشقية العفريتة كما كانت تقول، ولكنها أيضاً أبداً لم تنهرني لأني فعلت ما فعلت.. ففي تلك الأيام لم يكن المعلم إلا تجسيداً لمعنى الكلمة، وأزعم لو أن بي خيرًا فأغلبه يعود إلى هذه الوجوه الرائعة من كثير من مدرسي مدرستي، المهم أنى عدت إلى بيتي أحكي لأمي وأبي عن الرحلة إلى المطافئ دون انقطاع، وأؤكد لها قصة صعودي للسلم دون غيري.

وبعد يومين ناداني أبي وبين يديه صحيفة كنت أرى على صدرها الأهرامات الثلاثة وأشار لي بيده على صورة في الصفحة الثالثة فإذا بها صورتي على سلم المطافئ، وهنا صرخت غير مصدقة فعلى هذا الورق الأقرب إلى الصفار المكتوب عليه باللون الأسود صورة لي تؤكد صدق قصتي التي شعرت حين حكيتها أن أسرتي تشككت في صدقها.. فوقعت في هوى الأوراق من النظرة الأولى.

فيبدو أن مصوراً صحفياً من الأهرام تصادف أن كان موجوداً في نفس توقيت زيارة مدرستي لمبني المطافئ وجذبته صورة الفتاة الصغيرة أعلى سلم المطافئ فالتقط صورتي ونشرها حتى دون أن يعرف من أكون، ولم يكن في مخيلته أن هذه المصادفة والصورة المنشورة ستفجران حباً مجهولاً لدي فتاة صغيرة، فوقعت في هوي وأسر هذه الصحيفة التي تحكي الحقيقة وتؤكدها حتى لو تصور الآخرون أن ما تقوله خيال!

وبدأت علاقتي بالصحافة قبل حتى أن أعرف كيف أفك لغتها، وكنت لعجبي كلما أقص قصة على والدي وهي أقرب للخيال أتمني لو طبعها أحد على هذه الورقات ليتأكد أبي وأمي من صدق ما أقول، وكأن الصحافة صارت لدي الطفلة الصغيرة مرادفة للصدق والحقيقة وإن غيرت الأيام والواقع هذه التصورات غير أن تلك قصة أخرى.

المهم أني ارتبطت بالصحافة والصحف دون فهم حقيقي لتلك المهنة، وتمر الأيام بي، فتاة صغيرة تقع في هوي اللغة العربية رغم أن كل دراستي كانت باللغة الإنجليزية، ولكن حين يكون لك مدرس كالأستاذ محمود فلا يمكن إلا أن تهوي ما يدرسه لك، والأستاذ محمود أو مستر محمود كما كنا نطلق عليه – دون أن نعرف اسمه كاملاً – والآن أشعر بحزن أني لن أشير إليه باسمه كاملاً على الأقل لكي أعطيه حق العرفان والتقدير، ولكن على كل حال فمستر محمود أستاذ اللغة العربية كان شاباً في الثلاثين على أكثر

تقدير، يمتاز بالطول الفارع والرشاقة، ورشاقته لم تكن تنحصر فقط في الجسم ولكن في العقل والقدرة على جعل البنات اللاتي يتحدثن الإنجليزية بلكنة أمريكية يتحدثن العربية ويحببنها بنفس القدرة! وكنت واحدة من هؤلاء البنات، فوقعت في هوى صفحات الجرائد، وفي اللغة التي يكتبون بها على تلك الصفحات، كما وقعت في هوى شاشة سينما مترو والأفلام التي تحقق كل الأحلام، وما بين صفحات الكلام على الورق وأفلام السينما، انحصرت كل الأحلام منذ الصغر.

وحين وصلت إلى مرحلة عنق الزجاجة أو الثانوية العامة - كما كانوا ومازالوا يطلقون عليها، كنت أهيئ نفسي للمرحلة الأولى من تحقيق الحلم وهي الالتحاق بكلية الإعلام لدراسة الصحافة، وفي ليلة من ليالى المذاكرة الدوب قررت أن أكتب خطاباً لرئيس تحرير مجلة صباح الخير، وكانت حينذاك المجلة التي يقرؤها ويحبها الشباب مثل مجلة «كلمتنا» أو «إحنا» حالياً، كتبت خطاباً حالماً لرئيس التحرير أقول له فيه عن أحلامي وأمنياتي وكيف أني أتمنى أن أكون يوماً اسمًا مطبوعًا على صفحات المجلة، وطبعاً لم أكن لأتخيل أن يصل الخطاب.. وإن وصل فكنت على ثقة أنه سيكون مصيره سلة المهملات، ولكني على كل حال كتبته وأرسلته وكأني كنت أكتبه لنفسي ولمجرد ألا أنسى أحلامي في غمرة المذاكرة للثانوية العامة.

ولكن ولعجبي حين مر الأسبوع وقرأت العدد الجديد من مجلة صباح الخير وجدت خطابي منشوراً على صفحة كاملة وردًا علنيًا يقول لي: إن المجلة ترحب بي صحفية بها بعد انقضاء امتحانات الثانوية العامة، لأن من تكتب مثل هذا الخطاب فمن المؤكد أنها ستكون صحفية واعدة.. ولا أستطيع أبداً أن أنقل مشاعري حين قرأت رسالتي والرد عليها.. أصابني جنون.. صرخت وبكيت وضحكت، حتى ظن أهلي لحظتها أن عفريتاً قد لبسني، ورحت أعد الأيام لتنتهي امتحانات الثانوية العامة ليس لكي أنعم بالراحة أو بالإجازة، ولكن لكي أذهب للقاء رئيس تحرير مجلة صباح الخير.

وفعلاً مرت الأيام إلى أن أتي أخر يوم في الامتحانات وأوصلني أبي وأنا ابنة الخامسة عشر عاماً وضفيرتان وملابس المدرسة إلى شارع قصر العينى، حيث يوجد مبنى مجلة صباح الخير وصعدت حيث حجرة رئيس التحرير ووجدتها مفتوحة على مصراعيها

ودخلت تتملكني رهبة وفرحة لا يمكن وصفهما.

وجلست بين يدي الرجل الذي ظن في البداية أني ابنة أحد الصحفيين ولكنه حين أدرك من أكون تذكر خطابي وطلب مني أن أكتب له موضوع يعبر عني في نصف ساعة فكتبت تحت عنوان مذكرات طالبة حكايتي مع الثانوية العامة، فأخذ مني رئيس التحرير الموضوع ونادى على سكرتير التحرير وأشار إليه بأن ينشره ثم التفت إليّ قائلاً: هاتي صورة علشان نرسمك؟ بدت عليّ فيّ هذه اللحظة علامة البلاهة فهل يعني الرجل أنني سأرى اسمي وصورتي على صفحات مجلة صباح الخير، وهل من المعقول أن أدخل مكتبًا وأنا طالبة في آخر أيام الثانوية العامة وبكلمة من رجل بدين بشوش الوجه أتحول إلى أسم وصورة وكلام على ورق بلا واسطة وبلا معرفة وبلا أي حاجة خالص.

ولم تكن تلك المفاجأة الوحيدة التي أصابتني بالبله والخرس، ولكن نفس هذا الرجل بصوته وشحمه ولحمه أضاف قائلاً بأنني مطالبة بأن أكتب موضوعاً كل أسبوع بعنوان مذكرات طالبة وأسلمه كل يوم أحد أو إثنين، أي بعبارة أخرى أني سأكون من الصحفيين الدائمين في المجلة!

ومهما حكيت أو حاولت أن أنقل مشاعر فتاة الخامسة عشر عاماً، صاحبة الضفيرتين، ستعجز الكلمات فدعني أترك لك تصور تلك المشاعر علّك تسرح بذاكرتك إلى ماضٍ بعيد كان فيه أساتذة يدفعون الصغار إلى تحقيق الأحلام بعد أن فقدنا منذ ماضٍ ليس ببعيد الأساتذة والتلاميذ على الأقل في مهنتي.

وما بين البداية على صفحات مجلة صبح الخير حتى الآن على صفحات جريدة اليوم السابع، رحلة طويلة دفعتني إلى كثير من الانكسارات والانتصارات التقيت فيها بعض النجاح وكثيرًا من العثرات، رأيت فيها بشرًا، تابعت صعودهم على كثير من المعاني القيمة وسقوطهم تحت أقدام نفس المعاني القيمة، والتقيت فيها بنجوم الكلام الذين تصورت أنهم بعض من الكمال بسبب الكلام، ولكنني اكتشفت أن ليس كل الكتابة على الورق تتساوى مع أصحابها في القيمة.

رحلة لم تبق منها إلا صورة لوجوه بعضها بشوش طيب قيم.. مد لي يدًا لخطوة للأمام، وبعضها شرير قليل الموهبة.. مد لي قدمًا عثرتني في الطريق.. وحين أجلس الآن

محاولة أن أتذكر هؤلاء وهؤلاء أطلب الرحمة أو السعادة للوجوه التي مدت لي يدًا، وأشفق من وجوه أرادت أن تعطلني لأنها تاهت في الزحام.

أشياء كثيرة تغيرت وزمن كثير مر.

الألفية الثانية

في رحلتي مع عالم الكلام على الورق التي بدأتها في مجلة صباح الخير، كما سبق وذكرت، وانتهت حتى الآن عند جريدة اليوم السابع، ويعلم الله إلى أي المصير إن كان في العمر بقية.. في هذه الرحلة بدا للبعض من فرط تنقلي من صحيفة لأخرى ومن مجلة لأخرى ومن صحافة قومية إلى صحافة خاصة.. بدا لهم وكأني أشبه بسيزيف البطل الإغريقي الذي اقترف خطيئة فعاقبته الآلهة بأن كتبت عليه أن يصعد على الجبل حاملاً دلواً مملوءا بالماء ولكنه مثقوب حين يصل إلى منتهاه يكون الدلو قد فرغ فيعود ثانية ليملأه ويبدأ في الصعود.

هذا ما تصوره البعض عن رحلتي المهنية ولكنني ما كنت سيزيف.. وإن كانت لي خطيئة فهي أني عشقت تلك المهنة ولم أحلم إلا بها كما تمنيتها. مهنة الحقيقة والصواب والسمو.. مهنة الضمير الحي.

والحقيقة أن كل مكان تركته أو أجبرت أحياناً على تركه كنت أترك فيه أشياء وآخذ معي أشياء أخرى، كنت أترك فيه الإحباط أو الشر أو عدم المهنية وأشياء أخرى سلبية وأرحل بقلمي وبأمل جديد وأشياء إيجابية وخبرة أبدأ بها رحلة جديدة وحكاية جديدة.

وحين فكرت في أن أعود إلى دفاتري أفتش فيها عن تاريخ الكلام على الورق معي، قررت أن تكون البداية هي بداية الألفية الثانية، فالألفية الثانية جاءت لتعلن لي أني عشت قرناً، فقد ولدت في القرن العشرين وها نحن ذا في القرن الحادي والعشرين، عام ٢٠٠٠ كان بالنسبة لي كما بالنسبة للعالم رقم جديدًا وعالمًا جديدًا، ولذا قررت لو سمحت لي أن أصحبك في رحلتي مع الكلام على الورق منذ عام ٢٠٠٠ وحتى الآن.

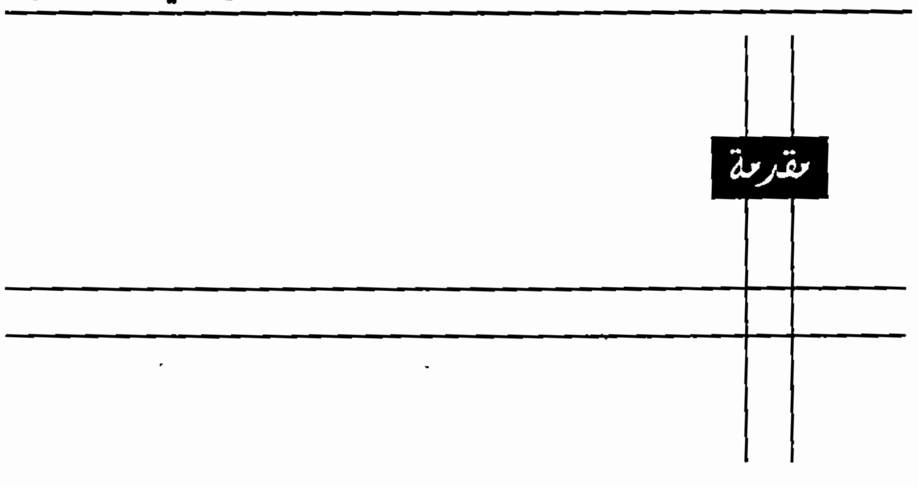
لقد حاولت أن أجمع كل ما استطعت مما كتبت على تنوعه أحياناً وأزعم أنه تأريخ ورسم لملامح واقع، على الأقل من وجهة نظري، لمجتمع وبشر وسياسة وتفاصيل حياة يومية كان فيها كثير من الأحزان، ولكن أيضاً كان فيها كثير من الأمل

كلامي على الورق هو رسم بعيوني لملامح وطني منذ الألفية الثانية حتى يوم ٢ فبراير حين أتى على مصر عصر جديد دفعني لأن أجلس أحاسب نفسي على ما فات وأضعه بين يدي الآخرين إن أرادوا حساباً.. أما عن حسابي لنفسي فيعلم الله أني ما جلست أمام ورقة وسطرت عليها بقلم كلامًا أعرف أنه سينشر إلا ودعوت الله أن يجعل ما سأكتب لي خيراً وليس عليّ ذنباً، فأنا راضية.. فهل ترضون؟



الفصل الأول

من الفن إلى السياسة وبالعكس



في السياسة الكذب هو سيد الأخلاق، والطريق إلى الجنة فيها مفروش بالمراوغة واللؤم.. في السياسة الحب انكسار والقسوة هي شعلة النجاح.. في السياسة لو استكنت للأحلام لكانت النار هي مثواك... في السياسة الموسيقي لا تصدع، وإن كان لها مجال فلا وقت إلا للآلات النحاسية أو الضرب علي الدفوف.. في السياسة إما قاتل أو مقتول.. أما في الفن فالأمر جد مختلف.. لأن في الفن الصدق هو سيد الأخلاق والتاج الذي يوضع علي رأس نجومه، يكبر وينمو ولهذا أحببت الفن وكرهت السياسة وهتفت طويلاً يحيا الفن وتسقط السياسة ليعيش الصدق ويموت الكذب. ولتعيش الأحلام ويموت الواقع.

ولكني اكتشفت مع مرور الأيام والسنوات أن السياسة والفن وجهان لعملة واحدة وبالتالي من يجيد تحليل الفن يستطيع أيضًا بسهولة أن يرصد أحوال السياسة ففي الحالتين أنت تتعامل مع نجوم صنف أول وثاني أحيانًا ومع كومبارس غير متكلم ، في السياسة والفن هناك مخرج ومؤلف لأي مشهد وهناك جمهور متلقي ، في السياسة كلما ارتفعت درجة حب الجماهير للنجم أو الزعيم تغاضوا عن مساوءه حتى حين ، وفي الفن يغفر الجمهور لنجمه أخطاؤه أيضًا حتى حين ، وفي السياسة الأضواء والشهرة والمال تعمي الأبصار وهو نفس منطق الفن ، السياسة في معناها الحقيقي هي مداعبة أحلام الجماهير وآمالهم وهل الفن إلا ذلك .

ولكن علمتني الأيام والسنوات أن في مصر الناس في الشوارع وسياستهم وفنهم

يشبهون بعضهم لبعض حتى إن أحياناً تختلط الكتابة عن الثلاثة فلا تستطيع أن تفصلهم، ولهذا أزعم أنه كان يصعب بل يستحيل عليّ أحياناً أن أفصل بين التعليق على أحد الأفلام السينمائية أو إحدى الظواهر الغنائية أو المسرحية مثلاً وبين قرار سياسي ملازم له أو ظاهرة اجتماعية تجتاح الحياة في شوارع المحروسة.

ولهذا فكنت دائماً أجد نفسي مضطرة إلى أن أعرج في كتابتي عن الفن إلى السياسة أو الاقتصاد والعكس صحيح. فوجدت نفسي دون قصد ونية مسبقتين أتحدث في السياسة وأكتب عنها فإن ارتقاء الفن لا يمكن أن يكون إلا إذا ارتقى أهل السياسة في هذا البلد وهو ما لم يحدث حتى الآن!!

ويوم أن يتذوق أهل السياسة والاقتصاد والحل والربط في هذا البلد الفن الراقي ويكونوا من أنصاره ثق أننا كمواطنين سنكون أكثر سعادة وشعوراً بالعدل وبالتالي أكثر أملاً وحلماً وتفاؤلاً بالمستقبل.

وكان خوفي وأملي كبيرين في زمان تفاهة السياسة فما بال خوفي الآن أكبر فبعد الثورة وصعود دور الإسلام السياسي صار حديث تحريم الفن ورجم أهله أعلى صوتًا فانتقلنا من زمن التفاهة السياسية والفنية إلى زمن التحريم باسم الله فماذا سيكون حالنا؟ وما ستقرأه من صفحات قادمة هو شهادتي عن زمن مضى حتى لا ننسى .



الأحلام

في الزمن الصعب حين يقسو الواقع علينا وتحاصرنا الهموم فلا تترك لنا إلا ثغرة بسيطة لمرور الحلم، تصبح الأحلام هي الفرصة الوحيدة المتاحة للتوازن وللحياة، أما أن تفر الأحلام فهذا هو الموت بعينه، ولأني مازلت أشعر بدبيب خافت للحياة بداخلي فكما آخرون لم تخاصمني الأحلام بعد ولايزال عندي منها البعض، أحلم أن تعود القدس على يد صلاح الدين، أحلم أن أرى جيشا للعرب، ومقعدا دائما في مجلس الأمن، أحلم أن أسافر من طنجة إلى صنعاء بلا جواز سفر، أحلم بأن أجد في بطاقات انتخاب الرؤساء العرب خمسة أسماء أو حتى ثلاثة نختار منها من نشاء.

أحلم أن أكتب ما أشعر به ويشعر به مثلي الملايين فأجد من يهتم ويرد بداية من الوزير حتى الغفير، أحلم أن أسير في شوارع تكسوها الخضرة، وألا أسمع صوت نفير سيارة، أحلم أن أرى شرطي المرور يبتسم، أحلم ألا أرى طفلا يتسول في الشارع أو ينام على الرصيف، أحلم ألا أخاف على أبنتي حتى وهي ابنة السبع سنوات من الاغتصاب، أحلم وأنا أسير في الشارع ألا يتخطاني الآخرون ويدوسون على قدمي ثم يعتذرون، أحلم أن أرى أبنائي حولي حين أكبر لو امتد العمر بي ولا يتركوني حين تتبدل الأدوار وأكون أنا من أحتاجهم، أحلم ألا يموت أحد تحت عجلات قطار وعرباته لأن الكل يحترم الطريق.

أحلم أن أجد صديقة تقف إلى جانبي في محنة، أحلم أن أجد جارا يهتني بعيد، أحلم أن تكون مدرسة ابني عونا لي في تربيته وليس العكس، وأحلم أن يكون مدرسه مثله الأعلى وليس العكس. أحلم أن أفتح التليفزيون فلا يصيبني الاكتئاب من سماع نشرة الأخبار.. أحلم أن تبقى عندي القدرة على الحلم في زمن عز فيه الحلم حتى إنني تعبت حتى أفكر فيما أتمنى أن أحلم.

مجلة الغد العربي - يناير ٢٠٠٠

الرنتيسي مات وتامر حسني في المنوعات

في الثمانينيات من القرن الماضي كتب محفوظ عبدالرحمن مسلسلاً باسم الكتابة على لحم محترق وأخرجه مخرج فلسطيني اسمه عباس أرناؤوط. وقد تذكرت هذا الاسم لأنه الاسم الوحيد الذي سأستعيره لوصف حال من يمتهن الكتابة في الفن، وعلي الفن مثلي في هذا الزمن فليس أمامنا إلا أن نكتب على لحم محترق. ففي ليلة السبت ١٧ أبريل بينما كان فريق من شباب أطباء الأرض المحتلة يحاولون إنقاذ رجل تعلم في مصر وشب فيها اسمه عبدالعزيز الرنتيسي، وبينما شوارع غزة تموج بعشرات الآلاف من الغاضبين المقهورين لمقتل الرجل.. ستوب بلغة السينما ننتقل إلى مشهد آخر... على القناة الأولى للتليفزيون المصري نرى فيديو كليب، أما الثانية ففيها شاب مذيع لا أعرف اسمه ولكن به كثير من المياعة يقدم برنامج مسابقات متخلفاً، والقناة الثالثة تذيع حلقة من مسلسل عربي أما الرابعة فتقدم برنامج «الرياضة للجميع» أما القناة الخامسة فتقدم برنامج «أهلاً وسهلاً» مع ضيف يتحدث في الطب، وتقدم القناة السادسة برنامج «صحفي وفنان» في حوار بين الفنان محمد الصاوي والفنانة وفاء الحكيم. والقناة السابعة تقدم مباراة كرة قدم، والثامنة تقدم حواراً من حلايب وشلاتين عن البيئة...

المشهد الثالث الفضائيات، فعلي قناة المنوعات المصرية حوار مع المطرب الشاب صاحب الكرش الحديث تامر حسني يتلقى مكالمات من الجمهور كلها تشيد بعظمة فنه، لدرجة أن أحد الشباب قال له إن شريطه الجديد جامد جداً وأنه أجمل شيء حدث له هذا العام آي والله هكذا قال، أما الحرة قناة أمريكا الناطقة بالعربية فتعرض لمسيرة أحد فناني السينما الأمريكية - ستوب انتقاله سريعة على طريق محور ٢٦ يوليو، السيارات متراصة

بالمئات تسير ببطء في طريقها إلى مدينة الإنتاج الإعلامي، وهي تحمل كريمة المجتمع وكل الشباب الروش طحن في طريقه لحضور حفل يضم نانسي عجرم والشاب الإسباني الأمريكي إنريكو إجليسياس بعد أن دفع أفقرهم ٢٥٠ جنيهاً فقط لا غير، وأغناهم ٣٠٠ جنيه فقط لا غير، وأفقرهم هذا سيشاهد الحفل واقفاً لمدة ثلاث ساعات أو أكثر، أما أغناهم فمسموح له بالجلوس أمام المطرب العالمي لأنه دفع ما يؤهله للجلوس.

ستوب... تنتقل الكاميرا إلى المدينة الجامعية لجامعة الأزهر، حيث خرج آلاف الطلبة الذين يمثلون أفقر فئات المجتمع المصري في مظاهرة داخل حرم المدينة الجامعية محاصرين بالأمن... cut أو قطع لنهاية المشهد كله..

هذه هي تفاصيل مشهد ليلة ١٧ أبريل عام ٢٠٠٤ بكاميرا لا يجد من يكتب في الفن إلا أن يصورها هكذا ثم يكتب على لحم يحترق.

جريدة الميدان – أبريل ٢٠٠٤

أحلام بدون رقابة

صحوت من نومي كما صحوتم جميعا لنجد أنفسنا، برغم أننا ما نمنا إلا ساعات، وقد أصبحنا في عام غير العام وفي زمن غير الزمن الذي نمنا فيه، فكأننا أصحاب الكهف ولكننا صحونا علي كل حال وكعادة كثير من البشر بدأت يومي بقراءة سريعة للصحف جمعت لكم منها جمل الأخبار الجديدة لكي أوفر عليكم الوقت والمال في تصفح كل ما قرأت، فبالتأكيد لاكتفاء بقراءة صحيفة واحدة جامعة شاملة أسهل وأوفر من التعددية، فأبشروا أنه يوم جديد وأخبار سعيدة وإليكم نصها:

- أصدر وزير الثقافة «بدون تحديد لاسمه» قراراً بتحويل القاعات الموجودة في كل قصور الثقافة في مصر المحروسة إلى دور عرض سينمائية من الدرجتين الأولى والثانية وسعر التذكرة فيها من ستة إلى ثلاثة جنيهات، وبذلك زادت دور العرض السينمائية في مصر إلى ١٢٠٠ دار عرض، وبذلك ستستطيع الأفلام المصرية تغطية نفقاتها وزيادة أرباحها إلى معدلات كبيرة.

- البدء في تصوير ٦٠ فيلماً أغلبها مأخوذ عن روايات أدبية ودخول ١٠ كتب سيناريو جدد إلى المضمار السينمائي، وكذلك ٧ مخرجين جدد، الأعمال مأخوذة عن روايات لإبراهيم عبد المجيد وعلاء الأسواني ونجيب محفوظ وأعمال أخرى لأدباء شبان يكتبون الرواية لأول مرة.

- لأول مرة في التاريخ الحديث استطاعت الدول العربية الاجتماع علي فعل حقيقي ومؤثر، فقد بدأ بث أول قناة تليفزيونية فضائية تشارك فيها كل الدول العربية برأس المال

والخبرات ولم يصرح أحد من وزراء الإعلام العرب ضمن تصريحاته بكلمة الريادة!! وحتى الآن تسير الأمور بشكل طبيعي دون مشاكل متوقعة، القناة الجديدة هدفها تقديم صورة مخالفة عن العرب بالنسبة للعالم العربي وتبث برامجها بثلاث لغات في العربية والإنجليزية والفرنسية.

- وزير الإعلام يصدر قراراً بعدم تجاوز حلقات المسلسلات التليفزيونية ١٥ حلقة ويمحاكمة كل مخرج يمط المسلسلات وعقابه بعدم العمل لمدة ثلاثة أعوام وإجباره على مشاهدة مسلسله سبع مرات متتالية!!

- تم إصدار قرار من جامعة الدول العربية واجب النفاذ بمنع عدد ممن يطلق عليهم مطربين من الغناء إلا لأنفسهم في الحمام، أمثال نجلا وبوسي سمير وجاد شويري وآخرين وعلى من يسمعهم في غير هذا الوضع أن يبلغ عنهم أقرب قسم بوليس في أي دولة عربية!!

- تقيم المطربة فيروز بمناسبة بلوغها العام السبعين حفلات غنائية ضخمة في عدد من البلدان العربية من أجل استعادة آذان العرب للتوازن السمعي.

- انتقال هالة سرحان من قناة روتانا إلى العمل بقناة الجزيرة القطرية.

- أوبرا وينفري مذيعة التليفزيون الأمريكية الأكثر شهرة في العالم تقرر أن تقدم برامجها من المنطقة العربية لمدة عدة أشهر فتنتقل إلى الإقامة في بغداد.

- بدء تصوير فيلم سينمائي يحكي قصة وفاء قسطنطين المرأة التي حصلت على جائزة عالمية في حقوق الإنسان هذا العام، تقوم بالبطولة يسرا في دور وفاء ويخرج الفيلم داود عبد السيد ويكتب له السيناريو هاني فوزي كاتب فيلم بحب السيما.

- اعتزال عدد من نجمات السينما والفن منهن نبيلة عبيد ونادية الجندي وفيفي عبده وإلهام شاهين بعد مشاركتهن في فيلم واحد أعلن أنه سيكون فيلم اعتزالهن ثم تفرغهن لكتابة مذكراتهن وتصويرها للمحطات الفضائية!!

- خناقة حامية الوطيس بين مصطفى محرم ونور الشريف تسفر عن إعلان اعتزال مصطفى محرم الكتابة السينمائية والتليفزيونية، واعتذار معلن من نور للجمهور عما قدمه

من أعمال فنية كتبها له مصطفى محرم وكان آخرها مسلسل عيش أيامك.

- وزير الإعلام أصدر قراراً بمنع فقرات الربط في التليفزيون والاكتفاء بالتنوية الصوتي وإرسال عدد كبير من مذيعات التليفزيون في بعثات للخارج على ألا يعدن لأرض الوطن ثانية إلا بعد التأكد من قدرتهن على العمل، وألا يبقين في بلاد الفرنجة كنوع من النفي الإجباري والعقاب غير المباشر للدول الأجنبية المعادية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا التي تم إرسالهن إليهما وبدورهما أرسلوهن لمعتقلات جوانتنامو.

- بعد أن زادت مرمطة اللغة العربية على يد المطربين ومنتجي الكاسيت من خلال كتابة أسماء الشرائط بطريقة خاطئة أو ما يطلقون عليه لبننة اللغة العربية مثل الألبوم الأخير لعاصي الحلاني الذي ظهر باسم زغيري الدني مما أدى إلى حدوث مشاكل في المدارس بين مدرسي اللغة العربية والأطفال في المدارس الذين يصرون على كتابة صغيرة بالزين وليس بالصاد، والدنيا بالياء وليس بالألف وغيرها من الأخطاء مما اضطر مجمع اللغة العربية إلى إصدار قرار بتغريم أي شركة كاسيت أو مطرب يغير من الكتابة الصحيحة للغة في الألبومات الغنائية.

- ممدوح موسى صاحب برامج التليفزيون المنوعة الذي ارتبط اسمه بكثير من النقد مما دفع وزير الإعلام لرفض عرض برنامجه في رمضان الماضي، أعلن حالة العصيان المدني والإضراب عن الطعام حتى ينظر الوزير في أمره.

هذه بعض من عينة الأخبار الفنية التي احتوت عليها صحف العام الجديد، وقد فضلت أن أنقلها لكم دون غيرها من الأخبار السياسية أو الاقتصادية لأن في السياسة والاقتصاد هماً لا يسر عدواً ولا حبيباً، أما الفن فهو الواحة التي يستريح على أكتافها المتعبون، فهل نستريح نحن الراضين بقضاء الله وقدره وعباده الحاكمين أو على الأقل نحلم بالقليل الذي قد يسعدنا بها أنه حتى الآن رقابة ولا حدود للأحلام.

جريدة صوت الأمة - يناير ٢٠٠٥

راي تشارلز يكشف خطايانا

في السياسة الكذب هو سيد الأخلاق، والطريق إلى الجنة فيه مفروش بالمراوغة واللوم، في السياسة الحب انكسار والقسوة في شعلة النجاح والحلم هو النار.. في السياسة الموسيقى لا تصدع وإن كان لها مجال فلا وقت إلا للآلات النحاسية أو الضرب على الدفوف.. في السياسة إما قاتل أو مقتول.. أما في الفن فالأمر جد مختلف بل هو النقيض ففي الفن الصدق هو سيد الأخلاق والطريق إلى جنته مفروش بالأحلام.. في الفن الحب هو شعلة نجاحه وفيه الموسيقى من كل لون وعلى كل الأنغام.. ولهذا فليحيا الفن ولتسقط السياسة ليعيش الصدق ويموت الكذب، ولكن في بلادنا اختلطت السياسة بالفن حتى تاهت الخطوط الفاصلة بينهما فلا السياسة تبدو فيها كما هي في بلاد أخرى أهلها صفُر الشعور وملوني الأعين ولا الفن لدينا أصبح يشبه فنونهم، ببساطة لأننا خلطنا الأوراق، تلك المقولة كانت هي الشيء الوحيد الذي نغص على مشاهدتي لفيلم راي المرشح لست جوائز والمأخوذة عن حياة الموسيقي الأمريكي العالمي راي تشارلز الذي توفي العام الماضي.

لقد ولد هذا الموسيقي الأسطورة في سبتمبر ١٩٢٠، في ولاية جورجيا جنوب الولايات المتحدة وعشق الموسيقى من خلال الألحان الدينية التي كان يسمعها في الكنيسة، وقبل أن يتم الخامسة كان قد تعلم العزف على البيانو وبعد ذلك حدثت المأساة في حياته بموت أخيه الأصغر أمام عينيه غرقاً ثم فقده البصر، ولكن أمه الفقيرة الجاهلة كانت سيدة عظيمة علمته ألا يعيش الحياة كمعوق وأرسلته للتعلم بعيداً عنها برغم الفقر والعاهة إلى أن تحول إلى أسطورة برغم إدمانه الهيروين الذي زج به إلى فضيحة مدوية

وسجن، وحين شعر أن الموسيقى ستضيع من حياته طلب العلاج وعاد إلى فنه حتى مات العام الماضي تاركً وراءه ١٢ ابناً وعدداً من الصديقات قدروها بـ١٨ صديقة ومليارات تبرع بأغلبها للأعمال الخيرية منها ١٠٠ مليون جنيه للأطفال الصم لأنه كان يرى أن فقد البصر لا يوازي شيئاً إلى جانب فقد السمع الذي من الممكن أن يحرم الإنسان من سماع الأصوات وخاصة الموسيقى.

حياة حافلة بالكفاح ولكن بها أيضاً كثير من النقائض والضعف والفضائح كحياة كل منا التي تحمل هذ' وذاك، وتلك هي النقطة التي استوقفتني لم قبل رأي تشارلز هذا الفيلم الذي يحكي عنه بصدق بل إنه بارك صناعه وقال: «أنا على يقين بأن تيلور (مخرج الفيلم) أنجز عمله بنجاح وصور حياتي كأفضل ما يكون» لمَ لم يرفع الرجل قضية على صناع الفيلم لأنهم فضحوا مساوئه قبل محاسنه، لمَ لم يطلب ورثته أن يظهر كملاك وإلا جرجروا صناع الفيلم إلى ساحات المحاكم، ببساطة لأنهم صادقون في فنهم لهذا تخرج علينا أعمالهم عظيمة نصدقها ونحبهم كما هم بنقائصهم قبل مزاياهم لأننا على يقين بأن الله قد ألهم كل نفس فجورها قبل تقواها، ولكن هذا يقيننا مع الغير أما فيما يخصنا فأتوا لي بفيلم أو كتاب أو مذكرات لأحد المشاهير وأقسموا أنها الحقيقة لتدخلوا النار لأنها مزيفة كاذبة، نحن شعوب تدمن الحقيقة لدي الغير وتدمن الكذب حين يخصها الأمر، ترى كيف سيظهر حليم في الفيلم الذي يصور عن حياته هل سيقترب من قريب أو بعيد لنقائصه، لمكائده مع الآخرين لكذبه الذي قالوا عنه إنه أبرع فيه من الصدق؟ أليست هناك عشرات القضايا المرفوعة على كتّاب من ورثة مشاهير لرفضهم تصوير قصة حياتهم برغم أنني على يقين أن الكتاب ذاتهم الذين يدافعون عن حقهم كاذبون هم أنفسهم ولن يكتبوا الحقيقة عن سيرة يتناولونها ببساطة لأن الكل كاذب الورثة والكتاب والمشاهدون أنفسهم سيرفضون الصدق.

أليس مسلسل أم كلثوم الذي كتبه المبدع محفوظ عبد الرحمن مثالاً على ذلك، لقد احتفى به الجميع مبدعون وجمهور برغم أنه لم يحك لنا بالفعل عن أم كلثوم التي بدت وكأنها كاملة الأوصاف وهي لم تكن كذلك مثل كثيرمنا؟! أليس كل قصص مشاهيرنا فنانين أو سياسيين كفاحاً دون نقيصة واحدة توحد الله وكأنهم ملائكة مجنحون نزلوا

على الأرض؟ ألم تقم الدنيا ولم نقعد حين نشرت إحدى الجرائد اليومية المستقلة الشهادة الدراسية لعبد الناصر حين كان طالباً في المدرسة لتقول الدرجات إنه لم يكن طالباً مجرد طالب أقل من متوسط الدرجات؟! أليس نحن الشعب الذي أبدع عبارة الحفاظ على الرموز حتى بالكذب إلى أن حولنا هذه الرموز إلى مقدسات تتساوى مع السنة والشريعة وقام منا من أراد اغتيال عمرو دياب لأنه أعلن في حوار له عن رأيه في رموزنا الغنائية مما أضطره لأن ينكر ذلك ويستغفر بالكذب عن الصدق؟!

تلك هي الحكاية التي نغصت علي مشاهدتي لفيلم رائع عن رمز أمريكي للموسيقى ولكنهم قبلوا أن يظهروه على حقيقته عبقري نعم ولكنه مدمن وحقير في علاقاته مع النساء، وضعيف أمام نزواته، ورغم ذلك ظل وسيظل رمزاً لصدقهم الذي نحترمه ولا نحتمله لتظل رموزنا كاذبة مثلنا.

جريدة صوت الأمة – فبراير ٢٠٠٥

الملك ممنوع من التصوير

مات جاهين الذي قال: «الشوارع حواديت.. حوادية الحب فيها.. وحوادية عفاريت» ولكن بقي المعنى رغم موت صاحبه، وكما الشوارع حواديت فالحياة أيضا مجموعة من الحواديت ولدي هذا الأسبوع بعض منها فتعالوا إلى الحكاية الأولى.. هل تصور يوماً ملك مصر المخلوع فاروق الأول أنه سيطرد من قصوره الملكية حياً وميتاً؟ هل لو حكى له عراف وهو في سن التاسعة عشرة غضاً غريراً يتسلم حكم مصر والسودان، ما حدث له من أحداث في حياته، ترى هل كان سيصدقه أم كان سيأمر بقطع رقبته في ميدان عابدين لأنه كذاب أشر؟

حكاية هذا الملك هي قصة للمؤرخين وعظة للمؤمنين وتحليل للسياسيين وفيلم للسينمائيين، وأما الفيلم فله حكاية غريبة كصاحبه، فمنذ أكثر من ثلاث سنوات قرر المخرج العالمي كريستوفر مايلز الحاصل على أكثر من ترشيح لجائزة الأوسكار، أن يخرج فيلماً باسم «الفرعون الأخير» عن السنوات الأربع الأولى في حياة فاروق ملك مصر والسودان، وكيف شكلت هذه السنوات وعي الملك الجديد وغيرته، وكيف كانت هي برغم قتلها سببا من أسباب نهايته. وتم رصد ميزانية كبيرة للفيلم وكان من الطبيعي أن يلجأ المخرج العالمي إلى مصر طالب التصوير فيها واتفق بالفعل مع مدينة الإنتاج الإعلامي على استخدام بعض من إمكاناتها في التصوير، ومر بكل المراحل المزعجة للتصوير بمصر من رقابة على النص وميزانيات تصوير مرتفعة جداً بالمقارنة لمناطق أخرى في العالم ومشاكل أخرى لا نهاية لحصرها، ولكن ظل الحاجز الذي يقف أمامه هو طلبه للتصوير في بعض القصور الملكية لمدة خمسة أيام حجر عثرة في طريق بداية تصوير الفيلم،

سلك الرجل كل السبل دون مجيب، ولأنقل لكم الصورة سأورد ما ذكره بالنص في خطاب أرسله للمكتب المسئول عن أعماله في مصر بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠٠٥.

«لقد تحدثت إلى نيكي بيري، الذي يظن أنه لا سبيل لحل مشكلتنا إلا أن آتي أنا وهو إلى مصر لمقابلة الرئيس أو ربما ابنه ربما نستطيع أن نحصل منهما على الموافقة على التصوير في القصور الملكية السابقة، هل تعلم أن دافيد أمبروسي وهو كاتب عظيم وصديق لي يكتب حالياً فيلماً من جزءين للتليفزيون الفرنسي عن رمسيس الثاني ولكنه مهموم، كلما يفكر فيما يحدث لي وهو نفس الأمر فلو أن فيلم «الفرعون الأخير» استطاع التصوير ستنتشر الأخبار السعيدة وسيرتاح الرجل أما الآن فلا أمل. شكراً على مجهوداتكم وكما تقول وتتمني سنفوز إنشاء الله». وفي جزء آخر من الخطاب يقول كريستوفر مايلز: (أتساءل لماذا يبتعد السينمائيون عن التصوير في مصر أولاً: رغم أنني أتفاوض لمدة ثلاث سنوات حول هذا الأمر فإنني لم أحصل على التصريحات بعد). ثم يستكمل خطابه إلى ما لا نهاية من أسباب عذاباته بالنسبة لمصر.

يا دي المصيبة التي تحيط بنا في كل مجال. ففي الوقت الذي يتقابل فيه الملك عبد الله ملك الأردن مع مجرد مخرج اسمه ريدلي سكوت يقولون عليه مخرجاً عالمياً ويطالبه بتصوير أعماله في الأردن، ويجلس الملك ابن الملوك كمذيع على قناة civilization channel، ليقدم بنفسه برنامجاً لمدة ساعة ليروج لبلاده على شاشات التليفزيون، وفي ذات الوقت الذي يفتح ملك المغرب بلاده على مصراعيها لتصوير الأفلام العالمية مما يدعم صناعة السينما المغربية، ويضع اسم المغرب على رأس قائمة الأماكن المنافسة لاستديوهات هوليوود، وفي نفس الوقت الذي يطالب فيه رئيس الوزراء النيوزيلندي بزيادة الفنادق والحجرات السياحية بأكثر من ألف غرفة لزيادة السياحة في نيوزيلندا بعد أن تم فيها تصوير فيلم The Ring أو الخاتم، في نفس الوقت ويعكس كل منطق نجد أنفسنا في بلد طارد لكل خير وشر، للأسف مسئولون لا يعرفون أن كلمة منهم ندفع جميعاً ثمنها، مخرج عالمي سيصور فيلمه في مصر عن ملك مصري ندفعه لأن يطلب مقابلة رئيس الجمهورية لحل مشكلته ما هذا الهراء والترفع والغباء في معالجة بيروقراطية تخنقنا ثم نعود لنولول أن المغرب تسحب من تحت أقدامنا البساط، دبي بمدينتها الإعلامية

ستسحقنا، ونحن أصحاب الريادة والصدارة والتاريخ والجغرافيا.. بلا هم لا تاريخ ولا جعرافيا ولا سيادة وريادة تشفع لنا، ما نحن فيه لأنه من صنع أيدينا لو طفش الرجل ومن مثله ولحق بمن سبقوه مثل سبعة أفلام أخرى طفشت من التصوير في مصر واتجهت للمغرب، فلا ذنب لهم فكم فقدنا من ملايين أو حتى آلاف الدولارات ومكسب لعمالة مصرية ستصاحبهم ودعاية مجانية لمصر

الفنانون المصريون في دافوس

يسرا وروبي وشريف صبري وحسين فهمي وعمرو دياب كانوا ضمن الوفد المصري المرافق للدكتور أحمد نظيف رئيس الوزراء في تجمع دافوس الاقتصادي، هذا هو الخبر الذي لم تنشره الصحف في بداية توجه الوفد إلى سويسرا وحين تم نشره، حوله البعض لنكتة وآخرون حولوه إلى قضية وتساؤل في مجلس الشعب وما بين السخرية والتعجب والاستهجان أتعجب في أننا عدنا ثانية لما يطلقون عليه «نقطة الصفر» أو البداية حين كان يطلقون على الممثل خاصة والفنان عامة مشخصاتي، ولا يقبلون بشهادته في المحكمة، ثم مر زمن طويل وعمل شاق حتى استطاع الفنان أن يحظى باحترام وقبول داخل المجتمع حتى إن ممثلا كحمدي أحمد استطاع أن يصبح عضو مجلس شعب، ورونالد ريجان رئيس جمهورية، فلم نستكثر اليوم أن يكون بعض من فنانينا ضمن وفد يمثل مصر، أليسوا مواطنين مصريين يمثلون شريحة ما؟ ولم نقبل أن تكون أنجلينا جولي وروبرت ريد فورد وممثلون آخرون ومطربون جزءا من وفد أمريكا ولا نقبل نفس الشيء من فنانينا؟أعتقد أن جزءا من ذلك يعود إليهم وإلي الشكل العام الذي رسموه لأنفسهم عكس صورة الفنان الأمريكي الذي قد تكون أخبار فضائحه جنبا إلى جنب مع أخبار مساهماته في قضايا بلاده وقضايا العالم، فكم فنان أمريكي تبرع من أجل تسونامي وقبلها ضحايا ١١ سبتمبر، وطبعا لا أطالب أعوذ بالله بتبرع فنان مصري لتسونامي ولكن القصد أن شكل الفنان في الغرب لدى العامة يحمل أكثر من وجه، أما لدينا فله وجه واحد مشخصتيه وعوالم جمع عالمة من عالم الرقص، وظلم كل مشاركون فيه حتى الحكومة التي طلبت حضورهم في المؤتمر بشكل رسمي لم تعلم الناس ولا الإعلام بشكل واضح وصريح أن جزءا من المؤتمر فيه جانب ترويجي رسمي مسئولة عن ذلك، فبدت وكأنها تتحرج من هذا

الإعلان وكأنها تفعل فضيحة في الظلام وهو ظلم بيّن للفن والفنانين الذين يمثلون، ربما أحيانا أفضل ما لدى مصر من عناصر للتصدير، ولكن في بلد يناقش حرمة الفن والسينما النظيفة وفي حكومة مهملة لم يعد فيها لطلعت حرب من وجود إلا في ميدان بوسط البلد، ومع إعلام يهمش صفحات الفن ويحولها لصفحات فضائح وأخبار عبيطة، وفنانين لم يعد لأغلبهم هم إلا لقمة العيش أو البقلاوة مثلنا جميعا، لا تتعجبوا أن يستهجن ويعترض ويسخر الجميع من الخبر الموجود في بداية الموضوع.. كلاكيت ثاني مرة آلفنان مشخصاتي لا تقبل شهادته في المحكمة.

جريدة صوت الأمة – فبراير ٢٠٠٥

ليلة القبض على أيمن نور

لمع اسم أيمن نور في كل عناوين الصحف ونشرات الأخبار وتصريحات المسئولين الأمريكيين والأوربيين فجأة.. تردد اسمه على مستوى الدنيا كلها.. في طرقات الكونجرس ومظاهرات الشوارع وصفحات الجريمة والقضايا.

انقسم الناس حوله.. هل هو بطل أم مغامر؟ هل هو مذنب أم بريء؟ وكان هناك طرف ثالث يرى أن كل ما يجري هو كله مسرحية عبثية.. هزيلة.. جرت كتابتها وتمثيلها باسم الديمقراطية.

أما أنا فاسم أيمن نور عندي مسار لحظة تاريخية ما تصورت أن أعيشها، فقد تربيت ونشأت في بلد لم يعرف بديلا عن رئيس يستفتون عنه بكلمة نعم، ومن طول ما عشت هكذا حين لاحت لي لحظة اختيار على الأقل نفسي وليس على مستوى فعلي، وجدت نفسي كملايين المصريين في مأزق، فأنا ما تعلمت الاختيار. ولا مارست حتى حريته ولكني الآن أمام سؤال صعب، سؤال يتعلق بمرشح للرئاسة متهم بالتزوير.. فهل جاءت لحظة اختياري وأنا في هذا المأزق؟

لقد توقفت عند كوني مواطنة مصرية يقولون لي إنهم سيعطونها الحق في اختيار الرئيس.. فهل أستطيع أن أختار؟

في هذه اللحظة من الهرولة الصحفية والشعبية وحتى العالمية يدق رنين هاتفي لتطلب مني دنيا أباظة رئيسة تحرير مجلة «كليو» التي تصدر شهرياً بالإنجليزية والتي أكتب فيها أحيانا أن أقابلها يوم الثلاثاء (الماضي) في الساعة الواحدة ظهراً لإجراء حوار مع أيمن

نور في بيته.

أخيراً.. سأجد نفسي أحاور شخصاً يرشح نفسه رئيساً لمصر؟ لقد حاورت كثيرين من المشاهير وصناع القرار والمؤثرين فيه، لكنها المرة الأولى التي أجد نفسي فيها أمام مرشح الرئاسة.. مهما كانت صفاته، وتصورات الناس والنيابة العامة عنه!

تقابلت مع دينا أباظة ومصور المجلة أمام إحدى عمارات الزمالك الكبيرة، حيث صعدنا للدور الثامن الذي يقطن فيه أيمن نور وعائلته. مدخل الشقة التي تقع في دور كامل ضيق ولكن يزداد إحساسك بضيقه من كنبة موضوعة فيه ونجفة ضخمة جدا ليس مكانها بالتأكيد مدخل شقة، وقبل أن ندق الباب فتحته فتاة تبدو كشغالة في البيت تصورتها سودانية ولكنها بعد ذلك قالت لي: إنها صومالية.

مدخل الشقة ضيق تماماً كخارجها ويبدو أيضاً ضيقاً بسبب أربعة تماثيل ملونة كبيرة الحجم غالباً مصنوعة من الجبس وملونة لتبدو لغير العارفين وكأنها قديمة، أي أنتيك.

بعدها صعدت عدة درجات سلم لندخل إلى بهو الشقة التي بدت فسيحة جداً وللنظرة الأولى تبدو فخمة ومكتظة بالمفروشات، دخلنا وجلسنا ننتظر أن يظهر لنا أحد من أهل البيت: أيمن نور أو زوجته جميلة إسماعيل، مما أعطاني الفرصة أن أدور ببصري في المكان لأتعرف أكثر على أصحابه، إنك بالتأكيد تستطيع أن تعرف كثيرا عن الناس من بيوتهم وهنا أستطيع أن أقول: لو أننا قرأنا شخصية أيمن نور وزوجته من بيتهما لقلت إن اهتمامهما الأول ينصب على إعطاء إحساس لمن يدخل البيت بالثراء.. خاصة إذا مددت بصرك إلى شرفة الصالون لتجد «رووف» كبيرا به حمام سباحة وحوله عدة مقاعد ومناضد مصنوعة من الفيرفورجيه أو الحديد المشغول، ملحق به حجرة تبدو كصالة رياضية ثم برجولا، أو مظلة خشبية تحتها ترابيزة كبيرة تبدو قديمة.

كل هذا من شأنه أن يعطيك إحساساً بالثراء، فأنت في قلب القاهرة في شقة ولكنها تبدو كجزء من نادي الجزيرة. ورغم هذا الثراء الذي أحكي عنه فإن الشقة تنم عن ذوق مضطرب ما بين مختلف أنواع الديكور، فلا هي مودرن ولا هي كلاسيك ولا هي ما يطلقون عليه مودرن ستيل كلاسيكية، «ستيل» أي تجمع ما بين الحديث والقديم في خليط بدا لي مزعجاً، ألوانها بها تناقضات فالأخضر والروز أو البمبي على الحائط جعلني

منزعجة، حجرة الطعام مفتوحة على بقية الصالونات وهي تحتوي على ثمانية كراسٍ فقط وصغيرة إلى حد ما مقارنة بحجم المكان، أهم ما يلفت النظر هو لوحة كبيرة مساحتها حوالي أربعة أمتار في مترين مرسومة وغير موقعة، عليها رسم لساحة مجلس الشعب وتضم عدة أشخاص، منهم سعد زغلول مرافقاً للنحاس في جانب ثم أيمن نور وكمال الشاذلي وفتحي سرور وآخرون لم أتعرف عليهم، وفي جانب آخر من اللوحة فؤاد سراج الدين وياسين سراج الدين، فهي تصور لجمع عدد من الشخصيات التي تمثل أجيالا مختلفة مرتبطة بمجلس الشعب وبحزب الوفد، بدت لي اللوحة البورتيريه في الأكشاك في بعض شوارع القاهرة. مما أعطى المكان بالنسبة لي كثيرا من التواضع ولا أقول الزيف.

وفي أثناء فترة انتظارنا كانت عدة فتيات يعملن في المكان يتحركن أمامنا ويذهبن إلى منطقة ما بدت لي أنها منطقة حجرات النوم.

وبعد لحظات اتصلت جميلة إسماعيل على الموبايل لتقول لنا: إن أيمن نور أجل موعدنا إلى الساعة الخامسة في مكتبه لظرف طارئ، وأنها حاولت إبلاغنا وإن لم تصل لنا الرسالة. وكنا قد صورنا أجزاء من البيت في انتظار أن يظهر أصحابه لنكمل التصوير ولكن تأجيل الموعد جعلنا نخرج بخفي حنين إلا من بعض صور لبيت أيمن نور الذي قال لي فيما بعد: إنه لو أصبح رئيساً للجمهورية لن يتركه إلى قصر للرئاسة كما فعل كل رؤساء مصر مجتمعين.

في الخامسة بالضبط كنا أنا ودينا والمصور أمام مكتب أيمن نور في وسط القاهرة، وما يمكن أن يقال عن المكتب هو نفسه ما يمكن أن يقال عن بيته تماثيل كبيرة وقطع فنية مقلدة وشعار ملكية معلق على الجدران وصورة الأب عبد العزيز نور في وسط الحائط وهو يرتدي طربوشا لتضيف إلى المكان إحساساً بالقدم، ولكن ظل هناك إحساس لدي بأن كل شيء مصنوع غير حقيقي إلا من شيء واحد – جميلة إسماعيل – الزوجة التي قابلناها في لحظة معرفتها ومعرفة زوجها أيمن نور بقرار إحالته إلى محكمة الجنايات بتهمة التزوير، بدا عليها الإرهاق ورنين التليفون الخاص بها لم يتوقف. وكالات أنباء أجنبية وصحف وصحفيون يطالبونها بالتعليق، ورغم أهمية هذه اللحظة التي وصلنا فيها فإنني ما كنت أتمناها لسبب واحد أني حضرت لحاوره مرشح للرئاسة وليس متهماً بالتزوير.

ولكن القضية لم تكن تطارد أيمن نور فقط ولكنها تطاردني أيضاً. تصورت أن جميلة

إسماعيل ستعلن لنا إلغاء الموعد بسبب الظرف الطارئ ولكنها طلبت منا برقة شديدة الانتظار لبعض الوقت، لأن زوجها يكتب رداً لصحيفته (الغد) على ما يحدث له، في هذه اللحظة جلسنا بعض الوقت وكان يدق الباب كل دقيقة شخص يطلب استمارة عضوية للحزب، والحق أن بعضاً ممن حضروا كانوا يشبهون المخبرين في الأفلام المصرية، لا ينقصهم سوى جريدة مخرومة ينظرون فيها وهم جالسون على القهوة، مما جعلني أضحك رغم جدية اللحظة التي نعيشها.

في أثناء انتظارنا حضر صحفي من B.B.C، وآخر من وكالة أسوشيتد برس وآخر من وكالة الأنباء اليابانية، وطلبت منا جميلة أن يرافقونا في الدخول إلى الدكتور أيمن نور لأن لديهم سؤالا واحدا ثم ينصرفون. وطبعاً كان سؤالهم عن تعليق أيمن نور على قرار إحالته إلى محكمة الجنايات.. وهل سيؤثر هذا القرار على ترشيحه للرئاسة؟ كان أيمن نور يرد بالعربية وجميلة إسماعيل تقوم بالترجمة، مما يدل على أن أيمن نور لا يجيد الإنجليزية. وفي لحظات كانت تطلب منه ألا يكون حاداً في الإجابة، ولكنه طالبها بأن تترجم نص كلماته بلا تحريف والتي قال فيها إن محاكمته ستكون محاكمة للنظام وليس له.

بدا أن شخصية صاحب البيت والمكتب تشبه ما حولها وقد رحب بنا أيمن نور ولم يبد عليه سوى الإرهاق ولكنه بدا شخصاً قوياً واثقاً من نفسه. وأخيراً وبعد يوم طويل على كلينا (أيمن نور وأنا) جلسنا في مواجهة بعضنا البعض، مواطنة وصحفية تحاور مرشحاً للرئاسة. على مدى ثلاث ساعات كاملة جلست معه وأعترف أنها لم تكن أسهل الساعات في حياتي لأنه شخص ذكي جداً ومناور جداً، ولكني أعترف بأنه كان أيضاً صبوراً جداً معي، فقد سألته في كل شيء حول حياته وعن علاقته بزوجته وعن كيفية تمويل حملته الانتخابية وعن السؤال الذي قال لي إنه مل من الإجابة عنه من أين لك هذا؟ فأعلن أنه سيقدم إقرار ذمة مالية ويطالب الآخرين بنفس الشيء وحكى لي عن آخر فيلم شاهده وكيف أنه يخاصم الغناء.

جريدة صوت الأمة – مارس ٢٠٠٥

جنس جماعي بـ(٣٠٠) جنيه

أعترف بأنني ترددت كثيرا قبل أن أكتب ما سأنقل لكم بعضه من باب أني قد أكدر صفو السلام الاجتماعي، وبعضه من باب أنني لا أضع نفسي في قائمة صحفيي الفضائح، أو من يقال عنهم البابارازي.. فأعدت التفكير مرات ومرات فوجدت الحياء يخجل ممن سأكتب عنهم وليس مني، ووجدت السلام الاجتماعي مفقودا، ووجدت أخيرا أن الفضائح لها صناعة وأن ناقل الكفر ليس بكافر.. فعزمت أمري أن أنقل لكم الخبر وأحكي الحكاية وأدق ناقوس الخطر الذي يحيق بهذا البلد، فالخطر والخطيئة لا يوجدان فقط في شبرا الخيمة التي خرج منها حسن بشندي الشاب الصغير الذي فجر نفسه في الأزهر.

الخطر والخطيئة لا تعيشان فقط في المناطق العشوائية حيث الفقر والبطالة والرذيلة والضياع، والخطر والخطيئة لا يطلان فقط من عيون صغار دفعهم اليأس لأحضان جماعات تلقنهم التفكير المجتمع وهجره، والخطر والخطيئة لا يأتيان فقط من تخلي الحكومة عن ملايين البشر برفع الدعم لكنهما قد يأتيان من عكس كل ذلك، فقد يأتي الخطر من شباب لا يعرف أن هناك منطقة تسمى شبرا الخيمة ولا يعرف أن على الخريطة شيئاً اسمه مناطق عشوائية ولا ذاق مرارة كلمة بطالة، ولا عرف معنى كلمة الدعم.. الخطر والخطيئة يسكنان في هؤلاء وهؤلاء فاحذروا واقرأوا الحكاية.

في زمن ثقافة الموبايل الذي تأتيني منه مئات الرسائل فيضحكني بعضها ويبكيني الآخر وينسيني غيرها ويخبرني بعضها، أتتني رسالة تدعوني إلى حفل يقام يوم ١٤ إبريل،

واعتبرت الأمر عادياً جدا، فكم من دعوات تأتيني بهذه الطريقة الحديثة ولكني ذعرت حين وصلت إلى الجزء الذي يعلن عن اسم الحفل الذي لن أستطيع أن أنقله لكم إلا بحروفه الأولي فهو مكتوب بالانجليزية. (Fuck Me I'm Famous) أو (ضاجعني.. فأنا مشهورة) وتصورت أن الأمر مزحة ثقيلة من شخص سليط اللسان وخاصة أن مكان الحفل المعلن هو مبنى شهير على نيل القاهرة، ، رغم تحديد تاريخ الحفل وثمن التذكرة، وهو ٣٠٠ جنيه، فإن اسم الحفل ومكانه جعلاني أرى الأمر في إطار النكتة الجنسية التي أصبح الموبايل إحدى وسائل تناقلها فأعدت الاتصال بالراسل لكي أستفسر عن هذه النكتة الجديدة فانفتحت على عالم جديد تماماً.. عرفت أن الأمر ليس مزحة بل هو حقيقي جداً، وأن هناك بالفعل حفلاً بهذا الاسم، وسيقام فعلا في هذا التاريخ والمكان، وهو معلن عنه في عدة أماكن منها مجلة تصدر بالإنجليزية.

وبدأت من هنا رحلة بحثي في هذا العالم الآخر: عالم الحفلات الخاصة العامة، واكتشفت أن أحد أشهر الأسماء فيه هو منظم هذا الحفل الشهير بجنزو أو أحمد الجنزوري وهو شاب عمره ٢٤ عاماً يعمل مع ابن وزير حالي في شركة اسمها بليس (BLISS ENTERTAINMENT) للترفيه، وهي التي بدأت بترتيب الحفلات في أماكن مثل فيللا «كان زمان» وحفلاتهم لها سمعة قوية بين الشباب أو كما يقولون عنها إنها أكثر الحفلات وحشية wild، هو تعبير بالنسبة للشباب روش ولكن حقيقته مخيفة وظل سؤال يتردد بداخلي من أين أتى هؤلاء الشباب بهذا الاسم الفج لحفلاتهم، فوجدت أن الاسم مأخوذ عن حفلات تقام في بلدة لبيزا بإسبانيا وهي مدينة يقال عنها في أوربا إنها أكثر المدن إباحة. وعرفت أن جنزو سافر حول العالم ليكتسب الخبرة فمر على كل علب الليل بأمريكا وأوربا ليكتشف أن ليل القاهرة ممل بالمقارنة بها، وحين وصل إلى لبيزا وجد ضالته المنشودة لينقل منها للمصريين أجمل ما فيها - كما يعتقد - وهو (Fuck Me I'm Famous).. أي والله هكذا قال جنزو أو أحمد الجنزوري في حواره الذي سأنقل لكم مقتطفات منه، فحين حاوروه في مجلة تصدر بالإنجليزية قدموه على أنه وجه المستقبل، وسألوه: ما هي أفضل صفاتك؟ فقال:: أنا لا أعطي أهمية لأحد فاللعنة على الجميع!!

وحين سألوه: ما الذي تفصصه في المرأة؟ قال «الكعب العالي والسيقان الطويلة والمؤخرة الجميلة».

وحين سألوه عن أفضل أغنية يحبها قال: «أحب نفسي وأحبك حين تحبيني وحين أشعر باليأس أريدك فوقي»، و (هذا منقول بالنص عن حواره).

دعونا من جنزو وشركاه لننتقل مباشرة إلى الحفل المتوحش الذي حضره أكثر من ألف فتى وفتاة أغلبهم ما بين الثامنة عشرة وأحياناً أقل وأكبرهم فوق العشرين بقليل، كما حضره رجل أعمال شهير وفنانة كانت شهيرة منذ سنوات ولا أجد كلمة أبدأ بها وصف ما رأيت غير استحضار روح ولسان يوسف وهبي حين كان يقول: «يا للهول» فترج جنبات مسرح رمسيس، أما أنا فيا للهول الخاصة بي أكاد أزعم أنها وصلت إلى قاع النيل الذي نطل عليه فهزت مصر من شمالها إلى أقصى جنوبها. الفتيات لا يرتدين إلا شيئاً رفيعاً يستر الصدر. وهنا أقصد صدر النساء إن جاز استخدام تعبير الستر في هذا الوضع. أما السيقان وما فوقها فأيضاً عليها قليل جداً من الستر. الشبابا حضر أكثرهم ببنطلون فقط أما النصف الأعلى فأغلبهم كان عارياً، لف بعضهم الجنازير حول جسده في مشهد مشابه لهؤلاء الرجال الذين يظهرون في أفلام تصور العنف الجسدي تجاه المرأة، بدا أن كثيراً منهم كان «مظبط نفسه» بلغة الشباب – قبل الحضور.

و«مظبط» كلمة مقصود بها مبسوط شوية بسبب «محفز خارجي».

أما جنزو فقد كان يرتدي قميصاً أبيض مفتوحاً تماماً من الصدر مثل فساتين السهرة وبنطلوناً أسود نصفه الأعلى من الساتان ونصفه السفلي من الشمواه، وعلى وجهه ماكياج يقولون إنه خاص بالرجال، وظل في حالة رقص ملتهبة طوال الحفل. فالولد يا ولداه يحفز الشباب الحاضر على العمل وما حدش بياكلها بالساهل، لأني أؤكد لكم أنه لابد لكي تفعل مثله أن تتعب، وخاصة إذا كنت وجه المستقبل، أما الـ DJ فكان مستورداً من إنجلترا والراقصون الجوجو فهم الراقصون والراقصات الذين يقفون على الموائد لأداء حركات أقرب إلى حركات راقصي الاستربتيز لبث الحماسة أيضاً في نفوس الحاضرين، والحق أن هذا الحفل ضاع فيه كل شيء إلا الحماسة وفجأة وفي لحظات عرفت معنى الكلمة الروشة حفل متوحش (WILD) فقد تحول المكان إلى غابة لا يحكمها قانون إلا

قانون المتعة وكلماتي مهما بلغت بلاغتها لن تستطيع نقل وقائع الحفل خارج الزمان والمكان، وعلت دقات قلبي على صوت الموسيقى وكنت أتمنى لو أن في يدي كاميرا لأنقل بها وقائع الإفساد ولكن للأسف الكاميرات كانت ممنوعة والتفتيش كان سابقا للدخول.

وخرجت من المكان حين فقدت كل قدراتي على الاحتمال حتى من باب الفضول لمعرفة المزيد عن هذا العالم الآخر، خرجت أسير بمحاذاة النيل، والقاهرة تبدو ساكنة على السطح ولكنها تغلي من داخلها، فنفس الظلام الذي يلف هؤلاء الخارجين عن كل شيء ويعانون فيه اللعنة على الجميع يلف شبابا آخرين أخرجناهم من كل شيء حتى الدعم فخرجوا مستخرجين علينا ليعلنوا اللعنة على الجميع، فالكل سيسير بقانون جنزو وإن اختلفت الأسباب. فاحذروا حاذروا أن يأتي يوم قريب تخرج فيه كريمة المجتمع وطين المجتمع ليعلنوا معاً اللعنة على الجميع!! إنه بلاغ لمن يهمه الأمر إن كان هناك من يهتم قبل أن يصبح شعار شباب مصر (fuck Me)

جريدة صوت الأمة – أبريل ٢٠٠٥

خطيئة المثقف في مصر

تمكن التطرف من أوصال الوطن وأمسك بجلبابه وتخفى في مناطقه العشوائية وعشش في قصوره وفيللاته وراح يمرح في شوارعه مرة باسم الدين ومرة باسم الفقر ومرة باسم الحرية ومرة باسم الديمقراطية ومرة باسم حسابات لا حدود لها في البنوك.

ورغم ذلك أحلم بأن هناك خط دفاع موجودا بداخلنا ويعيش بيننا يستطيع أن يقف في مواجهة الطوفان حتى لو كان خطا ضعيفا يتمثل في فيلم جميل أو كلمة صدق مكتوبة أو أغنية تدخل كلماتها وألحانها القلوب، أو صورة معلقة على جدران تحمل طفلا في المهد، ولكن حتى هذا الحلم بدا يبعد ويبعد ليس لأن فنوننا أصابتها الشيخوخة أو التفاهة فحسب، ولكن لآن هناك من المسئولين عنها أصابهم الخوف من مجتمع لا يرحم.. مجتمع متطرف واسمعوا الحكاية: علي أبو شادي أحد الوجوه البارزة في عالم الفن والمسئول عن الرقابة على المصنفات الفنية وعن المركز القومي للسينما ورئيس مهرجانها القومى، ناقد ومثقف ومحب لأهل السينما والثقافة والصحافة.

علي أبو شادي نموذج جميل مصري مثقف أشفق عليه أكثر مما أدينه، ولكن لا أستطيع إلا أن أستنكر ما حدث منه حتى لو لم يكن مسجلا بعد بشكل رسمي في الرقابة التي يرأسها، والحكاية تقول: إن المخرجة منال الصيفي تقدمت بسيناريو إلى جهاز الرقابة لتأخذ عليه الموافقة باسم مؤقت وهو «آخر ديسمبر فستقي» وبالفعل حصلت المخرجة على موافقة الرقابة وتم الاتفاق على البدء في تصوير الفيلم وإن لم يتم الاتفاق على الاسم وتناقشت المخرجة مع مجموعة عمل الفيلم واتفقوا على أن يكون اسمه «منتهي اللذة» وهو الاسم الذي يلخص فكرة الفيلم، حيث إن منتهى اللذة تختلف من شخص لآخر

فالبعض يرى الطعام كذلك وآخرون يرون أن منتهى اللذة في الصعلكة، أما بطلة الفيلم فترى منتهى اللذة في الموت، المهم أن المخرجة حين أبلغت على أبو شادي بالاسم رفضه شفاهة وطلب منها البحث عن اسم بديل لأن الاسم فيه إيحاء جنسي!!

عرفت الخبر وحين سألت على أبو شادي مباشرة قال لى: لم أرفض الاسم رسميا لأن أحدا لم يتقدم لي واعتبرت هذه إجابة فيها مراوغة فأعدت عليه السؤال فإذا بي لا أجد أمامي على أبو شادي الذي أدعي أني أعرفه، فراح يتحدث عن حادث الأزهر والتطرف وأن البلد مش ناقصة، وأن اسم فيلم يجلب صداعا أمام مجلس الشعب وعلي صفحات الجرائد من السهل التضحية به. وأن أفيشاً مكتوبا عليه منتهي اللذة في شوارع المحروسة سيكون نذير شؤم، وأن علينا الحذر حتى لا نعطي للمتطرفين فرصة وأضاف: إن الرقابة تتعرض الآن لهجمة شرسة من أصحاب أفلام يسعون لتسميتها بأسماء غريبة لجذب النظر، وأضاف على أبو شادي، الذي لم يعد كما كان بل تحول بالنسبة لي فجأة رجلا حكيما، والحكمة هنا ليس المقصود منها معناها الإيجابي ولكن مقصود بها الحكمة التي تجعلنا نلوي أعناقنا ونغطيها لتمر العواصف دون أن تضرنا وتلك حكمة للعاجزين وليست حكمة المثقفين ولا الفنانين الذين من شأنهم أن يغيروا مجتمعاتهم، وهذا ما يجعلني أدين على أبو شادي حتى لو أتت الإدانة لسبب يبدو صغيرا مجرد اسم فيلم، ولكن تلك هي البداية فكل الكبائر في حياتنا تبدأ صغيرة.

ولكني أعود بذاكرتي رغما عني لألتمس بعض العذر لذلك الرجل الذي دفعه المجتمع المتعصب الأعمى لغير هويته، فمنذ سنوات حين كان أبو شادي رئيس هيئة قصور الثقافة حدثت له أزمة عرفت باسم أزمة الروايات الثلاث التي أجاز طباعتها على نفقة هيئة قصور الثقافة، وخرجت الأفلام وبعض المظاهرات لتذبحه لأنه سمح بطباعة هذه الأعمال التي اعتبرها البعض روايات جنسية حتى إن أهالي الإسماعيلية رفعوا قضية على توفيق عبد الرحمن كاتب إحدى هذه الروايات لأن أحداثها تدور في مدينتهم واعتبروا ذلك إهانة لهم، وكأن الإسماعيلية مدينة الطهر والعفاف، منتهى التطرف والهيافة ولكنها أحداث بالفعل حدثت ودفع ثمنها على أبو شادي بالإقالة والأدباء إبراهيم أصلان ومحمد البساطي بالاستقالة، وجلس على أبو شادي لفترة في بيته ولكن وزير

الثقافة أعاده بعد نترة للعمل بالمركز القومي للسينما.

ولهذا أزعم أن حكمة على أبو شادي قد أتته من ذلك الدرس الذي يقول «اللي إتلسع من الشوربة ينفخ في الزبادي»، لست أقصد شن حرب على أبو شادي بسبب اسم فيلم لم تثبت بعد قيمته، ولكني كما سبق وقلت كل الكبائر تبدأ صغيرة، وكل التطرف يبدأ اقتناعا، وكل العجز يبدأ بكلمة أن مصر مش مستحملة وهي الجملة التي لا أعرف سواها منذ أن وعيت الحياة في هذا البلد، فكلما فتحت فمي بكلمة أجد من يقول لي هذه الجملة ولكن لم أكن أتمنى أن أسمعها من بعض لبعض كعلي أبو شادي الذي لا أملك إلا أن أقول له: «حتي أنت يا على استطاع تطرف مجتمعنا أن ينال منك.. حتى أنت يا علي».

جريدة صوت الأمة - مايو ٢٠٠٥

انتخب مبارك تدخل الجنة

لعب حسن البارودي في فيلم الزوجة الثانية دور رجل الدين الملازم للعمدة أو حاكم القرية المطلق الظالم يردد آية من آيات كتاب الله «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» لم تكن هذه الآية إلا تبريرا لكل عمل حرام وشرير قام به الحاكم الديكتاتور، فعلى مر العصور المختلفة ارتبط كثير من أهل الدين بالحكام وراحوا يبحثون في ثنايا الكتب المقدسة عما يبرر أفعال حكامهم بأمر إلهي يأخذون منه ما يريدون وينفون عنه ما يكبلهم حتى باتت شريعة الله في أيديهم مصدر ظلم وهي عدل، ومصدر تجبر وهي رحمة ومصدر شر وهي خير.

ولكن وكما كان في التاريخ كثير من نماذج رجال الدين الذين برروا لحكامهم الظلم على غرار حسن البارودي، كان أيضاً هناك نماذج من رجال الدين الذين بدوا في حلق الحكام الظالمين شوكة تذكرهم بشريعة الله وحق العباد والفرق بين الظلم والعدل.

ومن منطلق قراءتنا لهذا التاريخ نستطيع أن نتبين لم خلع شيخ الأزهر الآن عمامته ولبس طربوش الحكومة في كرنفال أو فيلم الانتخابات الرئاسية، ختام أفلام الموسم الصيفي وراح يفتي ويهلل لرئيس الدولة بكلمات منتقاة من كتاب الله وأحكام شريعته؟! ومن نفس المنطلق التاريخي أستطيع أيضاً أن أتفهم لم خلع الحبر الأعظم البابا شنوده رداء الكهنوت وارتدى هو الآخر طربوش الحكومة وعباءتها وراح يصب اللعنات على كل من يخالفه في مبايعة ومؤازرة الرئيس مبارك بالروح والدم، بل وصل الأمر بالبابا إلى أن يطرد من جنته من تجاسر على إبداء الاختلاف السياسي وليس الديني فقط كما

حدث مع القس فلوباتير، راعي كنيسة السيدة العذراء الذي أوقفه، لأنه ظهر مع أيمن نور المرشح المناهض للرئيس مبارك؟

وما بين شيخ الأزهر والبابا يحكي لنا التاريخ الكثير عن رجال الدين. ولكنه لن يستطيع أن يحكي لنا كما سنحكي نحن أبناء الحاضر عن رجال المال والأعمال في مصر الآن الذين لم يكتفوا بالفتوى في الحلال والحرام، فنافسوا رجال الدين في بضاعتهم ولكنهم زادوا عليهم فادعوا نزول الوحي عليهم ووصفوا القداسة على ما لا قداسة له. ببساطة لأنه بشر مجرد رئيس لدولة وليس رسولاً مُنزلاً، ففي موجة الإعلانات المبايعة والمؤازرة والنفاق والمبالغة نشرت بعض الصحف والمجلات هذا الإعلان المدفوع الأجر لبعض رجال الأعمال مثل د. ثروت باسيلي صاحب إحدى كبريات شركات الأدوية في مصر، والإعلان يقول «اختارك الله لمصر، فكيف لا نختارك نحن؟!! يا نهار أسود أوصل بالبعض الأمر أن يدعي على الله ما ليس بحق وهو ليس أي ادعاء فقد نزل الوحي على رجال الأعمال يبلغهم باختيار الله للرئيس فكيف بنا ونحن البشر نخالف الله؟! فكم من ذنوب ترتكب باسم الله؟!. وكم من خطايا سيحملونها على ظهورهم يوم الحساب، فهم وغيرهم منذ فجر التاريخ الذين صنعوا الآلهة من العجول وعبدوها ثم حين جاعوا أكلوها.

أستطيع أنا وغيري أن نتفهم أن رجل أعمال يستفيد بشكل كبير من عصر مبارك ورجال مبارك يدعون له بالبقاء. وطول العمر لأن مصالحهم مرتبطة به، أستطيع أنا وغيري أن نستوعب بحدود نفاق أهل المال لأهل السلطة من أجل زواج عرفي لا يقبله المجتمع ويتضرر منه، ولكن إعلاناً كهذا يبدو مجاهرة بعلاقة غير شرعية وأبناء خطيئة لا يستطيع المجتمع قبولها أو حتى مناقشتها. لرجال الدين خطاياهم ولرجال الأعمال خطاياهم ولكننا نعيش الآن في عصر امتزجت فيه خطايا الطرفين فخلقت مسخاً جديداً من الخطايا. وإن كان الإمام الأكبر والحبر الأعظم تنكرا لردائهما ولبسا طربوش الحكومة، فإن د. باسيلي وغيره من رجال الأعمال قد ضاعفوا تنكرهم فلبسوا الطرابيش وعباءات رجال الدين وأضافوا لها أجنحة الوحي من الملائكة ويأمرون البسطاء باختيار مبارك ليضمنوا صكوك الغفران ودخول الجنة.

هناك فرق بين الفجاجة والسخافة ويقع بينهما أغلب ما يحدث في هذه الحملة الانتخابية، ولكن إعلان د. باسيلي وغيره وصل إلى عنان السماء وأنتظر وغيري في الأرض حين ينزلون إلينا بعد صناعة الإله وعبادته لأشاهد وليمة الطعام حين يأكلونه.

جريدة الفجر - سبتمبر ٢٠٠٥

انتخابات الرئاسة ضربت السينما

أكثر من ٨٥ مليون جنيه أنفقت حتى الآن في مشاهدة الأفلام الصيفية التي ودعها الجمهور أو يكاد ونحن على أبواب موسم جديد تنزوي فيه السينما أمام هموم أكبر بالنسبة للمواطن المصري المتمثلة في المدارس وشهر رمضان الذي يكاد يدق الأبواب. وقد كتبت فعل «أنفقت» مبنياً للمجهول لسببين أولهما: إنني لا أستطيع أن أزعم أن المصريين وحدهم هم الذين دفعوا هذه الأموال في مشاهدة السينما جانب مهم من جوانب برنامجها السياحي.

أما السبب الثاني لتجهيل فعل «أنفقت» أن كلمة الجمهور كلمة غامضة نستخدمها بكثرة رغم أنها كلمة هلامية غير محددة فنحن نتكلم عن الجمهور وكأننا نحكي عن أناس محددين نعرفهم ونعاشرهم ونأكل أكلهم ونفكر بمنهجهم ونحلم بذات أحلامهم، والحقيقة أننا كاذبون تماماً كالساسة في بلادنا، الذين يتكلمون عن الشعب وعن إرادته وهواه وهم كاذبون، فلا هم يعرفون الشعب ولا لديهم تفويض منه، ولا الشعب أغلبه يعرفهم أو يهتم بهم، وتلك هي ذات الصفة التي تجمع نقاد السينما مع الساسة فنحن مثله نتحدث عن الجمهور وباسمه، فلا نحن أخذنا منه توكيلات ولا نحن بالقطع نعبر عنهم جميعاً.

وإن كنا نزيد على الساسة في فضيحة تزوير إرادة الجمهور، فما إن يجمع النقاد من القمة إلى القاع على أن هذا الفيلم أو ذاك أسوأ ما قدمته السينما إلا ويمطر الجمهور الملايين تحت أقدام الفيلم وأبطاله، وما إن يذكر النقاد مثلاً أغنية بسوء ويفندوا بذاءتها وسوء صوت

مطربها إلا وتصبح هذه الأغنية هي رقم «١» في سباق الأغاني .. وهكذا من هزيمة إلى أخرى يُمنى بها النقاد أمام فن أغلبه بذيء، ورغم ذلك فهم مازالوا يعيشون ويكتبون، بل وحتى حين تعييهم الحيل ويفشلون في التصدي لبذاءات الفن يبدأون في الهجوم على ذوق الجمهور وفساده وسوء تقديره.

ورغم هذا الصراع الدائم الخفي بين النقاد والساسة فإنني أعتقد للمرة الأولى أن السياسة أنصفت النقاد وساعدتهم هذا الموسم لأنها أنهت الموسم السينمائي الصيفي سريعاً وكلفته خسارة فادحة بسبب الانتخابات الرئاسية التي بدأت في منتصف شهر أغسطس، فأمام واقع أكثر إثارة من شاشات السينما وأمام أبطال وكومبارس على مسرح الحياة والسياسة مثل أيمن نور وجمعة والصباحي وغيرهم تحول محمد سعد وعادل إمام ومصطفى قمر إلى أبطال من ورق نسيهم الجمهور سريعاً. فرغم أن الجمهور أعطى محمد سعد تاج الجزيرة بـ ٢٥ مليون جنيه ووزع باقي الغنيمة على بقية النجوم فإن أهل السينما لا يعتبرون هذه المبالغ انتصاراً لأنهم أنفقوا الكثير على نجومهم، مما جعل المكاسب تتضاءل أمام بنود الاتفاق.

لم يكن إذن النقاد هم سبب وكسة الموسم السينمائي – كما يتهمهم أهل السينما كثيراً – ولكن أهل السياسة هم الذين أفسدوه بفيلم غطى على كل الأفلام الصيفية وتم الإنفاق عليه بمئات الملايين فاستطاعت الأفلام السياسية الواقعية أن تفسد على أفلام الضحك والحب بهجتها وانتصارها، واستطاع نجوم الانتخابات أن يسحبوا البساط من تحت أقدام نجوم الشاشة فوداعاً لموسم سينمائي وسياسي إلى موسم رمضاني، ومن موسم إلى موسم يا قلب لا تحزن.

جريدة الفجر – سبتمبر ٢٠٠٥

يحيا التطرف يسقط الفن

ما هي إلا أيام قليلة نرحل من عام لآخر، وأعتقد أن هذا العام ادخر توهجه للسياسة والشارع وأخبار البورصة والعالم من حولنا ونزع كل الدسم عن الفن، لم يعد يجدي أن نقيم سباقات ونرفع من شأن الأفضل في سلسلة الأسوأ وأن نحكي عما فات لأنه في إطار حالة البهتان الفني «ما فات قد مات».

حناجر كاذبة

أثار فيلم «دنيا» عاصفة من الانتقاد في مهرجان القاهرة السينمائي تحت شعار إنه يسيء لمصر لأنه تعرض لحادثة ختان، وأثار، أو يكاد. الفيلم القصير «اسانسير» لهديل نظمي أزمة طائفية لأنه يسيء للحجاب، وبالتالي للإسلام ولن أدخل في تفاصيل القيمة الفنية للفيلمين. فمثل هذه الاتهامات المتطرفة لا تترك الفرصة للحديث عن الفنن ففي «دنيا» جوسلين صعب ألف مشكلة فنية لدى المتلقي وفي «أسانسير» هديل نظمي عشرات المشاكل الفنية أيضاً ولكن تحت عنوان الإساءة لمصر والإساءة للدين ترتعش أقلام وتسن أخرى وتكاد تختفي أصوات وتعلو أخرى بنداء بـ «الروح بالدم نفديك يا مصر ويا إسلام»، والحق أن لا جوسلين صعب اللبنانية أو فيلمها أساءا لمصر، ولا هديل وأسانسيرها أساءا للإسلام، ولو كشفت النقاب عن تلك الأصوات العالية لكشفت ألف عورة تسيء لمصر بهم. ولكن لأننا لسنا في سجال كشف العورات أتمنى أن نتعلم كيف تعامل الأفلام في إطارها المحدود والأغنية في مجالها والكتاب في منهجه وكفاية ترديد كلمات كاذبة حتى نتحول من مجتمع الظاهرة الصوتية إلى مجتمع عاقل؟!

الاعتزال والعودة

مع نهايات عام ٢٠٠٥، أعلن محمد الحلو وسمية الألفي وحلا شيحة اعتزالهم، وكل منهم يمثل جيلاً ومنهجاً مختلفاً عن غيره وبالتالي فأسباب اعتزالهم مختلفة ومن التناقض أنه في ذات الوقت عودة بعض الوجوه التي أعلنت اعتزالها لدائرة الضوء وتعمل من جديد مثل سهير البابلي. التي عادت من خلال مسلسل تليفزيوني وشهيرة التي عادت من خلال برنامج تليفزيوني، وسهير رمزي العائدة من خلال أخبار مسلسل قادم، الاعتزال والعودة عند أهل الفن ليستا ظاهرة «لخبطة» فنية ولكنها ظاهرة «لخبطة» اجتماعية وإنسانية!!

سمية الألفي تعزو اعتزالها لكونها مضطرة الآن للتفاوض على مكان اسمها على التترات وهو وضع معروف مسبقاً لكل من يعمل في الفن في مصر، أو حتى في أنحاء العالم المختلفة أن ترتيب الأسماء على أفيشات لها علاقة بالتسويق والنجومية. ولهذا فأنا لا أصدق هذا السبب للاعتزال، ولكن حتى وإن كان صحيحاً فهذا يعني أن بعض فنانينا لا يقبلون الواقع أو كاذبون.

حلا شيحا تجسيد لكثير من بنات جنسها وجيلها «لخبطة» كبرى وشخصيات هشة وفهم منقوص للدين وحجاب إن لزم الأمر ورقص إذا انقشع الهم. حلا وغيرها نتاج مجتمع الكبار فيه يرفعون شعار الفضيلة نهاراً ويتمرغون في الرذيلة ليلاً وما بينهما ضائع ومتخبط، وعودة المعتزلات خير دليل على تخبط أفكار مجتمع أعلن شيوخه وفقهاؤه البراءة من الفن، فكان قرار الاعتزال والتوبة ثم أعلنوا مرة أخر أن حلاله حلال وحرامه حرام فعادوا ليأخذوا الحلال ويتركوا الحرام كما قالوا. على حسب وداد جلبي.. قال الرسول عليه الصلاة والسلام نحن أمة وسطاً فهل أطمع أن نكون مجتمعاً وسطاً لا تطرف فيه أم أن ذاك أضغاث أحلام؟

ملك وكتابة وجمهور

مع أخر أيام العام بدأ عرض فيلم «ملك وكتابة» فيلم مضيء في عام سينمائي أغلبه مظلم باهت أنتجت فيه السينما ٣٩ فيلماً وحصدت بعض ملايين كإيرادات ولكن أغلبها أفلام ستموت بالفعل ماتت بعد أيام من عرضها.

ومن الغريب أنه في وقت لم تستطع فيه النساء أن تحرز نجاحاً في البرلمان تستطيع البنات في السينما أن تحرز أيضاً أهدافاً قليلة ولكن قوية كساندرا وكاملة في ملاكي إسكندرية، وفي «ملك وكتابة»، ومجرد بداية لمنال الصيفي حتى لو لم تكن موفقة في «منتهى اللذة» وقبلهن هالة خليل في «أحلى الأوقات» ولكن يظل عددهن سواء في البرلمان أو السينما محدوداً.

جريدة الفجر – ديسمبر ٢٠٠٥

إخاصمك آه أسيبك لا

«احترقت روما في حين ظلت أوركسترا نيرون تعزف ببراعة» إن عبارة أورسن ويلز هذه التي تعود للستينيات يمكن أن تنطبق جيداً اليوم على انحدار الإمبراطورية الأمريكية والتدهور المنتشر فوق كوكب الأرض، ففي هذا العالم المليء بالكوارث، فإن الأوركسترا التي مازالت تعزف في سينما هوليوود، التي أصبحت اليوم الديكتاتور المطلق في السوق العالمي، ورغم هذا تخرج علينا نقابة المهن السينمائية ببيان نصفق له جميعاً ونتمناه، وهو ضرورة مقاطعة السينما الأمريكية، ولكن الواقع يقول إنه حلم صعب المنال كحلم فأر بمحاربة التنين. الحق أنه في أوقات كالتي نعيشها، لا يمكن إلا أن نكره كل ما هو أمريكي، ولكن الحق شيء والواقع شيء آخر، فبنظرة سريعة على أبواب دور العرض ستجد أحد عشر فيلماً أمريكياً تعرض في مقابل ثلاثة أفلام مصرية، أما على قنوات التليفزيون فحدث ولا حرج، وأما عن الفضائيات فقنوات الأفلام تعرض لمدة ٢٤ ساعة أفلاماً أمريكية فهل من المعقول أن نطالب جمهوراً نمت تربيته وتنشئته على الفيلم الأمريكي، حتى أدمنه أن نطالبه فجأة بإيجاد بديل لإدمانه.

إن السينما أي سينما جزء من نسيج المجتمع سواء كان سينما محلية أم وافدة، ومنذ سنوات والسينما الأمريكية تتخلل ذلك النسيج، تتخلله بأخبارها ونجومها وأفلامها حتى أصبحت تسري فينا، كما تسري في دماء كثير من شعوب العالم، حتى الفيلم الهندي الذي كان له مشاهدون في مصر في فترة الستينيات والسبعينيات فقد عرشه في دور العرض الدرجة الثالثة، بدليل أن فيلم أميتاب باتشان الأخير الذي يعرض حالياً يشكو موزعه أنطوان زند من خسارته، برغم جودة الفيلم، ويضيف أنطوان زند موزع الفيلم

الإنجليزي (الآخرون)، الذي عرض العام الماضي، إنه لولا أن بطلة الفيلم الأمريكية «نيكول كيدمان» ما كان هذا الفيلم وجد سوقاً رائجاً في مصر لتصور المشاهد أنه فيلم أمريكي، وبالإضافة إلى إدمان الجمهور للفيلم الأمريكي، فهناك كسل أوربي في توزيع أفلامهم في مختلف دول العالم، خاصة في مصر، فالفيلم الأوربي أو غيره لا يوزع فقط من خلال موزعينا، ولكنه يحتاج لدعم من قبل أصحابه، وهذا الدعم غير متوفر لأن الفيلم الأوربي سواء كان فرنسياً أم ألمانياً أم من إيطاليا يعاني داخل بلده أمام هجوم الديكتاتور العالمي، الفيلم الأمريكي.

من حق أي منا أن ينادي بالمقاطعة نعم، فقاطعوا السندويتش» الأمريكي، لأن لدينا الفول والطعمية. وقاطعوا مكياج «ريلون» وماكس فاكتور، فلدينا مكياج كريستيان ديور، قاطعوا «كوداك» فلدينا البديل، ولكن هل نستطيع أن نقاطع النجمة «سوزان ساراندون» التي تلف فمها بشريط لاصق رافضة الحرب؟ هل نستطيع أن نقاطع «شون بين» الذي دفع ٦٥ ألف دولار من جيبه لإعلان صحفي لكي يقول لـ «بوش» لا ليس باسمي تذهب للحرب؟ ثم وهو الأهم هل نستطيع أن نقاطع أوركسترا نيرون التي مازالت تعزف ببراعة برغم احتراق روما؟ فأمام السينما الأمريكية يقف العالم، ولسنا وحدنا في ذلك يغني أغنية جماعية وراء نانسي عجرم ونقول «أخاصمك آه أسيبك لا».

جريدة القاهرة - مايو ٢٠٠٦

أحلى من الشرف ما فيش

كنت واحدة من ثلاثة ساقتهم الظروف لكشف جزء من قصة هزت المجتمع المصري، الإعلامي طوال الأسبوع الماضي، كان الزميل سيد علي بالأهرام قد تطرق لبرنامج هالة شو الذي عرض لقضية فتيات الليل، فكتب مقالاً بعنوان «نساء أوبرا وينفري ونسوان هالة سرحان» يهاجم فيه أسلوب عرض المذيعة المصرية للموضوع ذاته ويقارن بين النماذج التي تعرضها المذيعة المصرية مقارنة بالمذيعة الأمريكية، وعلى إثر نشر المقال اتصلت به أم إحدى الفتيات اللاتي ظهرن في البرنامج لتعلن له براءة ابنتها وأخريات وأن القصة مفبركة.

لم يصدق الزميل وطلب منها أن تحضر له في مقر عمله ليتأكد من صدق روايتها، وعرف بشير حسن الصحفي بالأهرام أيضاً ومعد برنامج ٩٠ دقيقة بالأمر، فحمل كاميرات البرنامج لحضور ذلك اللقاء في محاولة مضنية لإقناع البنات بالإدلاء بشهادتهن أمام الكاميرات، وكنت أنا الطرف الثالث الذي ساقته الظروف لحضور ذلك اللقاء ومعرفة ملابسات الأمر على الأقل من طرف واحد حتى هذا التوقيت، وتم بث حلقة تسعين دقيقة فانفجر لغم إعلامي وشعبي وتحول الأمر إلى موضوع في صفحات الحوادث حين تقدمت الفتيات الثلاث ببلاغ للنائب العام ضد هالة سرحان، وزاد الأمر انفجاراً على شبكة الإنترنت وركب الموجة هواة الشهرة من المحامين وبالتأكيد أعضاء مجلس الشعب، وتحولت دفة الحديث من أمر لو ثبت حدوثه لكان خطأ مهنياً قاتلاً من أشهر مذيعات الوطن العربي، إلى الحديث عن حب مصر وكرامة مصر وسمعة مصر.

ولم تعد قضية هالة سرحان وفتيات الليل تناقش في سياقها الطبيعي، سياق مهنة الإعلام الذي أصيب بالسعار، ولكنها تحولت إلى قضية سياسية ووطنية.. وفي حديث مثل هذا يتسابق المتبارون من محامين هواة للشهرة وأعضاء مجلس شعب يركبون الموجة ويتقدمون بطلبات إحاطة تضع أسماءهم على عناوين الأخبار

رغم أننا لم نسمع لهم صوتاً في حب مصر طوال إذاعة الحلقات، ولكنهم فقط انتفضوا بعد أن خرجت البنات بقصة تلفيق البرنامج، فأتعجب لم يكن حب سمعة مصر في قلوبهم طوال إذاعة أربع حلقات ثم فجأة تذكروه، وكما رآها البعض فرصة للمزايدة على مصر رآها آخرون فرصة للمعارضة، فانتهجت بعض صحف المعارضة الدفاع عن هالة سرحان.

لأن الحكومة ممثلة في النائب العام هي التي تتهمها، وتلك الأقلام تكره الحكومة فتسير بمبدأ من حبنا أحببناه وصار متاعنا متاعه ومن كرهنا كرهناه يحرم علينا اجتماعه، وهي تكره الحكومة لذا فعليها الدفاع عن هالة سرحان حتى هالة سرحان نفسها المتهمة، حين ظهرت على شاشات التليفزيون تدافع عن نفسها لم تهتم بالشق المهني لاتهامها، ولكنها أفردت أغلب دفاعها عن تاريخها في حب مصر و عطائها لمصر.

الكل فقد بوصلة الحوار وهدفه الرئيسي هو سؤال بسيط: هل فبركت هالة سرحان حديث بنات الليل ولم يكن واقعياً أم لا؟ والإجابة لا تحتمل سوى: إن فعلت فقد أخطأت في مهنتها وعليها أن تدفع الثمن مهنياً داخل المؤسسة التي تعمل بها وأمام جمهور ستفقد مصداقيتها أمامه، وإن لم تفعل فهي بريئة في شق وعلينا أن نحول دفة الحديث لأسلوب التناول الإعلامي لمثل هذه القضايا، وقد نختلف أو نتفق حول هذا.

ولكن كيف يتأتى لنا حديث عاقل موضوعي في مجتمع صارت النميمة فيه حقيقة، والكذب فيه واقعاً والدين حجاباً والمعارضة صراخاً والرشف بكارة يمكن ترقيعه، وأتوقف متعجبة أنه لا أحد يشعر بالرعب مما نحن فيه، فلا الذين يدافعون عن هالة سرحان بمنطق المعارضة ولا الذين يهاجمونها بمنطق حب مصر قد تنبهوا بأن محاكمتها بهذه التهمة سيضع الجميع يوماً في قفص الاتهام لأن أياً منهم لو خرج على المشاهدين في أي محطة فضائية ينتقد شيئاً سلبياً في تلك البلاد سيحاكم بنفس المنطق منطق حب مصر

وشرف مصر.

نقطة نظام

- لا أستطيع أن أحترم تماماً شهادة الفتيات الثلاث، فالفتيات لو صح كلامهن معناه أنهن شاركن في خديعة الناس ولا يبرر لهن الفقر أو الانبهار المشاركة في الجرم، وإلا بهذه الحجة سيخرج ٨٥٪ من الشعب المصري، الذي يعيش تحت خط الفقر، ليقتل أو يتمرغ في الرذيلة أو يسرق بنفس الحجة - الاحتياج وهو ما يذكرني بأفلام حسن الإمام حين كان يفطر قلوبنا على بطلاته بنات الليل بحجة الأم المشلولة أو الابن الصغير وهو منطق الدراما السينمائية وليس الواقعية أو القانونية.

- كنت أتمنى من منطلق الشفافية وإبراء الذمة والموضوعية أمام الرأي العام أن ينأى الزملاء الصحفيون الذين يعملون في قناة «روتانا» ويتقاضون منها مرتبات وهم كثر، وكذلك العاملون في محطات منافسة، كنت أتمنى ألا يدلوا بدلوهم في هذه القضية وكأنهم ممن يتحدثون لمصلحة الوطن، قد يكونون شهوداً على وقائع ستحقق فيها النيابة، ولكن أن يكتبوا بمنطق العوام وكأنهم لا ناقة لهم ولا جمل في هذه القضية خطأ مهني يضاف لكثير من الخطايا التي تلفنا.

جريدة المصري اليوم - فبراير ٢٠٠٧

أفلام تسقط كرامة وهيبة الدولة

ما بين السينما والسياسة علاقة تبدو مثل خيط غير مرئي من الحرير، عادة ما يتجاوزه غالبية الناس عندما يرون الأفلام إلا حين يحمل الفيلم خاتم الوطنية أو يحكي عن حرب ترتفع فيها الأعلام والبنادق .. والحق أن السينما حتى بأفلامها الهزلية هي انعكاس لحالة سياسية بائسة أو لامعة.

ونظرة على الموسم السينمائي الحالي تعطي انطباعاً بأن المخاض الذي جعل الصحافة تتمرد على تابوهات ومحرمات الجنس والدين والسياسة قد انتقل إلى الشارع المصري في صورة اعتصامات ومظاهرات.. هذا المخاض وصل إلى السينما وأفلامها.. فكما خرجت الصحافة من أسرها.. خرجت السينما من أسرها أيضاً.

هناك أربعة أفلام يشاهدها الجمهور الآن تشبه الحالة الصحفية، أفلام تتحدى تابوهات المجتمع دون أن يستطيع أحد اتهامها بأنها أفلام مخلة، وقد دفعت كثيراً من الأفلام السياسية إلى الخوض فيها حتى سارت مجالاً للعراك بين الصحافة القومية والصحافة المعارضة، فهل دخلت السينما حالة الفوران الذي سبقته إليها الصحافة؟

الأفلام الأربعة مع تفاوت مستوياتها الفنية هي حالة رصد من زوايا مختلفة لواقع فيه كثير من البؤس والغضب أغلبه صب نيران غضبه على رأس وزارة الداخلية التي لا تمثل نفسها فقط، ولكنها تمثل الجهاز التنفيذي لنظام يحمل وجوهاً من القبح ويدفع إلى غضب طوائف مختلفة ضده.

كانت الشرطة دوماً في تراثنا السينمائي في خدمة الشعب، وكان رجل الشرطة هو ممثل

العدل والنزاهة والفداء من أجل البسطاء، كان أنور وجدي بطلاً وهو يلعب دور رجل بوليس، وكذلك رشدي أباظة وصلاح ذو الفقار وعماد حمدي.. في زمن الأبيض والأسود، وحتي في زمن الألوان، فإن ذلك تكرر في «كلمة شرف» لرشدي أباظة وفريد شوقي، وفي عالم الكوميديا كان رجل الشرطة هو إسماعيل ياسين وشرفنطح وغيرهما ممن يعشقهم جمهور السينما فيضحك معهم وعليهم.

وتغير الزمن والمجتمع والنظام ولم يعد رجل الشرطة في السينما كما كان من قبل، فكما تجرأت الشرطة على الناس ودفعت الصحافة إلى الهجوم عليها بالكلمة فإنها دفعت السينما أيضاً للهجوم عليها، والدليل على ذلك الأفلام الأربعة الأخيرة.. هاجمتها بتفاوت وإن كانت كل الأقلام التي كتبت عن فيلم «هي فوضى» رأت أن هذا الفيلم هو مصدر الإهانة الأولى للسلطة ممثلة في أمين الشرطة خالد صالح إلا أنني رأيت جانباً آخر فبقدر ما صور الفيلم فساد الرجل إلا أنه لم ينزع عنه ورق التوت، لأنه أبقاه محباً يحرك الحب كل أفعاله حتى حين اغتصب محبوبته منة شلبي فكان اغتصابه لها دافعاً لكي ترتبط به ويحلم أن ينجب منها طفلاً، حب مريض نعم ولكنه حب، وكأنني أرى في خالد صالح رجل الشرطة الفاسد جزءاً إنسانياً لم يفقده حتى رغم الفوضى، رجل الشرطة في «هي فوضى» فساده هو الذي قتله في فيلم عالي الصوت، بينما في فيلم آخر وهو «الجزيرة» لا يرتفع صوته ولكنه يحكي بصوت منخفض عميق عن قصة صعود مملكة خاصة للإجرام بعيداً عن القاهرة الصاخبة في فيلم يبدأ بصورة النيل الهادئ ليحكي عن الأب الذي بدأ تاجراً للمخدرات في صعيد مصر، ثم تحول إلى زعيم وحاكم بأمره على بشر، ولم يتردد في أن يورث ابنه المتعلم الذي خدم في الجيش مملكته.. وكما أن الشرطة صنعت قوة الأب فإنها هي أيضاً التي ساهمت في نفوذ الابن.

في «الجزيرة» إدانة أكبر وأعمق للشرطة من فيلم «هي فوضى» لأنها ليست حالة فردية ولكنها حالة فكر ينتقل من أب إلى ابنه أو زوج ابنته، فمصدر السلطة والفساد استمرا حتى نهاية الفيلم، ولم يموتا كما حدث في «هي فوضى» فسلالة كل من قطبي اللعبة مستمرة.

الشرطة هي بطلة هذا الموسم السينمائي، ففي فيلم «حين ميسرة» قال سامح الصريطي

اللواء الكبير للضابط الصغير أحمد سعيد عبدالغني عبارة «السلطة ملهاش كرامة» فصفق الجمهور في دار العرض، ولكنه حين أكمل العبارة بقوله «لكن لازم يكون ليها هيبة»، انقطع الضحك والتصفيق، وتذكر الجمهور الواقع الذي يعيشه فصمت، وحتي حين قتل الضابط في فيلم أضعف فنياً هو «خارج عى القانون»، والذي قام بدوره أيضاً أحمد سعيد عبدالغني، لا أظن أن الجمهور تعاطف معه، لأنه كان يشعر بأنه كاذب ورط البطل حتى لو كان البطل مجرماً، ولكنه مجبر على الإجرام، فكأن الفيلم رغم ضعفه مقارنة بالأفلام الأخرى يدين أبو الشريط الأحمر المعروف باسم ضابط الشرطة أو الجهاز التنفيذي للسلطة التي ليست لها كرامة، ولكنها صاحبة هيبة ولكن حين يقف السقا في نهاية الفيلم قائلا: أنا الحكومة ويصفق له الجمهور يعني أن السينما هذا الموسم أفقدت السلطة كرامتها وهيبتها.

جريدة الفجر – ديسمبر ٢٠٠٧

حرب الأديان على المحور

إعلامنا المرئي يحتوي على كثير من الصراخ والغناء والرقص والبكاء وحديث عن فضيلة غائبة حتى عن بعض الذين يتحدثون عنها وحكايات، وأفلام ومسلسلات، فحياتنا الأرضية والفضائية صارت شديدة الصخب، فما عاد يستوقفنا إلا القليل منها، إما لأنها كارثة أو طائشة أو صائبة غائبة.

الحالة الكارثية: استضاف برنامج «٩٠ دقيقة» الذي يذاع على قناة «المحور» في حلقة الثلاثاء الماضي الدكتورة زينب عبدالعزيز أستاذة الأدب الفرنسي التي ترجمت القرآن إلى الفرنسية منذ سنوات في سابقة أولى بمبادرة شخصية، هو عمل جد عظيم بالتأكيد ولو كان هذا سبب استضافتها لصفقت للقائمين على البرنامج، المعد بشير حسن والمقدم معتز الدمرداش، وبالفعل كان ٩٠ دقيقة قد استضاف الدكتورة زينب منذ عام ونصف العام لهذا الحدث، ولكن الدكتورة جاءت إلى البرنامج كضيفة تتحدث عن المؤامرة التي يحيكها الفاتيكان منذ القرن السادس عشر الميلادي ضد الإسلام، فهي كما قالت: إن المجمع البابوي منذ ذاك التاريخ وضع نصب عينيه ثلاثة أهداف، الأول تبرئة اليهود من دم المسيح والثاني إضعاف الشيوعيين ثم إنهاء فكرتها، والهدف الثالث أنه مع قدوم الألفية الثالثة يمحو الإسلام من على خريطة البشرية عن طريق التبشير!!

وأضافت الدكتورة، أنه بما أن الهدفين الأولين قد تما فلم يعد أمامهم إلا الهدف الثالث، وأن التبشير يحدث في المناطق الكارثية المسلمة مثل دارفور، وعرجت الدكتورة في حديثها إلى تفسيرها في معنى الثالوث المقدس والخوض في أن التحاور مع المسيحيين قائم

على غير معنى لأنهم يعبدون ربا غير رب المسلمين - يا نهار أسود - هذه هي العبارة الوحيدة التي ظلت تتردد على لساني وأنا أرى معتز الدمرداش وهو محاور قدير في حالة عجز عن المحاورة كما هو معتاد لأن الأمر تعدى المعقول في الحديث، وإذ بي أجد البرنامج يطلب الأب رفيق جريس ليرد على ما تقوله الدكتورة ولولا أنني كنت متأكدة من هوية القناة واسمها لقلت إنها قناة مدسوسة على مصر!!

حرية الإعلام والحديث وبرامج المساء كلها كوم وأن نصل إلى هذه الدرجة من الاستعداء بين الدينين الإسلامي والمسيحي - كوم آخر، آلاف الأسئلة تزاحمت في عقلي فما هذا الذي يتحدثون عنه في بلد تلملم بين الحين والآخر جراحها الطائفية، وما الهدف من طرح المؤامرة العالمية على الإسلام في برنامج جماهيري؟ وما الهدف من المناظرة التي طرحها البرنامج بين مسلمة ومسيحي حول اختلاف رب المسيحيين عن المسلمين؟ وهل كان القائمون على البرنامج مدركين معنى وهدف طرح مثل هذا الأمر؟

أنا مسلمة - موحدة بالله - ولكني تربيت منذ سنين في مدرسة تتبع كنيسة ونفس هذه المدرسة برهبانها وقساوستها هم الذين بنوا جامعا صغيرا بمئذنة ليعلمونا كيف نصلي نحن الفتيات الصغيرات المسلمات، فعلوا هذا دون قانون أو إجبار ولم يقولوا لنا إن ربنا غير ربهم بل علمونا أن الرب واحد والطرق مختلفة، فما الذي حدث لهذا البلد وهل يصل سعار الإعلام إلى هذه الدرجة من اللامسئولة حول أمور هي النار بعينها، ضعف الإسلام هو نتيجة عمل المسلمين وليس نتيجة قوافل التبشير، أليس للمسلمين رجال دين من الأزهر يتنقلون من بلد إلى بلد فلم لا يبشرون بالإسلام كأقرانهم من الرهبان؟ عشرات من الأسئلة تدفعنا لأمور نناقشها كمسلمين على حدة ومسيحيين على حدة، ولكم دينكم ولي دين، ولكن على الكل مسيحي ومسلم إعلامي أو صحفي أن يتقي الله في بلد يكفيها ما فيها ولكم في لبنان عبرة يا أهل الإعلام.

جريدة الفجر - يناير ٢٠٠٨

برامج الليل تعري مصر

أربعة برامج يومية تذاع على قنوات فضائية أقدمها «القاهرة اليوم» على قناة أوربت، ثم «البيت بيتك» على القناة الثانية والفضائية المصرية، ثم «العاشرة» على قناة دريم، وأخيرا «٩٠ دقيقة» على المحور وقريبا جدا سيلحقها «ساعة بساعة» الذي سيذاع على قناة الساعة هذه البرامج يقولون عنها خطأ إنها برامج توك شو ولكنها في التصنيف الإعلامي يطلق عليها معتز الدمرداش كغيره من أصحاب البرامج، قال لي إن ضميره المهني هو قانونه الخاص وهي العبارة التي قالها لي كل نجوم المذيعين ولكن المشكلة أن تعبير الضمير المهني قد يختلف من شخص لآخر في فضائيات لا يوجد لها ميثاق شرف ملزم، فمعتز قد اعتذر بالفعل على الهواء مباشرة عن استضافته للدكتورة زينب عبدالعزيز التي تحدثت عن المؤامرة المسيحية ضد الإسلام، ولكن هل الاعتذار سيمحو ما قيل على الهواء، فالكلمة في الإعلام طلقة رصاص إذا خرجت لا تعود أبدا إلى مكانها حتى بالاعتذار.

معتز الدمرداش أضاف أخيرا أنه قرر أن يبتعد قليلا عن الثقافة السوداوية ويبحث عن ثقافة الحلول لمشاكل مصر، فكفانا كما قال عرض المشاكل نريد أن نعرض حلولا للمشاكل.

تامر أمين يمثل برنامج «البيت بيتك» الذي يعتبره البعض برنامجاً يبيّض أحيانا وجه الحكومة وحتى وإن اختلف معها فاختلافه محسوب بقدر، تامر يقول إن تقاليد برنامج «البيت بيتك» مختلفة عن البرامج الأخرى ولهذا فهم لم يستضيفوا ماهر الجندي ولكن

اتصلوا به تليفونيا لمدة دقيقتين باعتبار أن الإفراج عنه خبر ولكن استضافته إضفاء لبطولة على شخصية سياسية متهمة بالفساد هو شيء مرفوض، ويضيف تامر أمين: أن «البيت بيتك» له كتالوج موقع عليه من قبل كل العاملين به ويحتوي على ما يجب وما لا يجب أن يظهر أو يتم تناوله في البرنامج، وهذا الكتالوج يتم إضافة بنود له أو إلغاء بعضها بعد الاتفاق بين كل الأطراف وتماما كمعتز الدمرداش ومنى الشاذلي وغيرهما، قال تامر أمين إن ضميره المهني هو الرقيب الوحيد عليه وبالتالي فهو رافض لأي وصاية على الإعلام إلا من ميثاق شرف.

خيري رمضان كان أحد نجوم برنامج «القاهرة اليوم» ومنه انتقل إلى قناة الساعة ليقدم برنامج ساعة بساعة والذي سيكون على غرار برامج المساء، خيري متهم بالسعي من حضن الإعلام السعودي إلى أحضان الإعلام الليبي، وأنه يشارك في كشف عورات مصر ولا يجرؤ كغيره على كشف عورات السعودية حين كان يعمل في محطة تدار بأموالها أو أنه سيفعل مع ليبيا وهو يعمل بأموالها.. هي اتهامات ألقيتها على مسامعه فكان صدره رحبا فطرح عليّ تساؤلا حين قال: هل البرامج التي تعرض على القناة الثالثة للتليفزيون لمشاكل المواطنين وتظهر كثيرا من عوراتنا هي برامج ضد مصر ومن يعمل فيها وهم موظفون في الدولة يعملون ضد مصر؟

خيري رمضان أكد أنه على مدى ٨ سنوات عمل في محطة أوربت السعودية لم يلتق فيها بأحد السعوديين ليملي عليه شيئا ضد مصر، بل على العكس كانوا ينتقدونه لأنه أحيانا يكون حادا ويضيف خيري رمضان، أنه الآن يعمل في محطة ٥١٪ من رأسمالها ليبي و٤٩٪ لبناني، وهاتان الدولتان ليستا على قائمة أعداء مصر وإلا اعتبرنا أن كل من يعمل في جريدة أو محطة عربية يكره مصر، وهو اتهام كاذب بل إنه يضيف أنه لا يأخذ فلوساً من مصر بل هو يدخل لمصر «فلوساً» وهذا ليس اتهاما بل شرف.

وعن الضوابط الإعلامية وفكرة الضمير المهني يقول خيري رمضان: أنا مع أن يضع وزير الإعلام ضوابط بحكم القانون، ثم نأتي للضمير المهني لأن الأخير متغير من شخص لآخر وهذا فهو يقبل أن توقع عليه عقوبة إذا خالف القانون.

ويري خيري رمضان أن برامج المساء الحوارية قد أفادت القيادة السياسية حين نقلت

إليها الشارع بحقيقته، وليس مزيفا وأن الشارع ستحدث فيه في الفترة القادمة حالة توازن وهو نفس الذي سيحدث في هذه البرامج التي تعبر عنه.

كل الذين تحدثت معهم من نجوم الفضائيات والبرامج تحدثوا عن حب مصر، وأنا لا أكذبهم وكلهم تحدثوا عن الضمير المهني وأنا أصدقهم، ولكن هل حب مصر ووجود ضمير يكفي لصنع إعلام نطمح لأن يمثلنا دون زيف أو مبالغة؟!

جريدة الفجر - يناير ٢٠٠٨

برامج تصدير الوهم

بانتهاء ليلة الأربعاء من هذا الأسبوع تسدل الفضائيات العربية وحتى القناة الثانية الأرضية والفضائية المصرية الهايد بارك المفتوح المسمى، ببرامج التوك شو الليلية.. ولكن أخيراً انتهجت قناتا دريم والمحور نهجا مختلفا بوضعهم على خريطة براجهم يومي الخميس والجمعة برنامجي واحد من الناس على دريم، وبرنامج ٤٨ ساعة على المحور، وهي برامج تبدو بديلا أو سداً لفراغ يومي نهاية الأسبوع بالنسبة لبرامج التوك شو الليلية أو ربما ضمانا لخلو الساحة مما قد يدفع المشاهد لمتابعتها.

واحد من الناس على المحور برنامج يعده ويقدمه عمرو الليثي ويعاد مرتين يوم الجمعة والسبت، وربما أكثر وهو بذلك يضمن حالة إلحاح على المشاهد تشبه إلى حد ما البرنامج اليومي، وهو صورة من صور المجلة التليفزيونية التي تحوي التحقيق والحوار ومختلف الفنون الصحفية أولا ثم التليفزيونية فيما بعد.

بالتأكيد حلقات البرنامج التي أذيعت حتى الآن تحوي مجهودا غير منكر، وبالتأكيد أيضا أن عمرو الليثي استطاع أن يقدم قالبا مختلفا عما يقدمه على التليفزيون المصري من خلال برنامجه «اختراق» الذي يبحث في التاريخ أكثر مما يبحث في الحاضر أو يفتش في المستقبل، وكأن الليثي قد استغل أنه خرج من أحضان التليفزيون الحكومي ليطلق حريته في الحديث، ولكن ليس في الماضي كما يفعل مع الحكومة التي لن يضيرها حديث الماضي، ولكنه على دريم القناة الخاصة يفتش في الحاضر، في مصر الآن، ولا عيب على عمرو الليثي في ذلك فلكل مقام مقال، ولمقام قناة دريم مقال في الحاضر.

ولكن مشكلة برنامج «واحد من الناس» المأخوذ اسمه عن فيلم لبلال فضل وبطولة كريم عبدالعزيز، أنه قرر أن يكون حتى الآن ميلودراما بأسلوب حسن الإمام أكثر من حسن الإمام نفسه.

ففي الحلقة الأولى كان تحقيقه عن سكان المقابر وبعدها عزبة خيرالله ومناطق عشوائية أخرى ثم بعدها عن فتيات تم الاعتداء عليهن من بنات الشوارع، وأنا بالتأكيد لا أنكر وجود هذه الظواهر في مجتمعنا بل أكثر، ولكني أنكر الأسلوب الذي عالج به الإعلامي عمرو الليثي هذه الموضوعات، وأعرف مسبقا أني برأيي سأسير في حدائق الأشواك. ولكن ما قيمة ألا تدمي أرجلنا في سبيل كلمة حق لا يراد بها باطل!!

الفقراء في بلادنا كثيرون وبنات الشوارع منتهكات بأكثر كثيرا من الاغتصاب، ولكن ما قيمة إعلام يلطم عليهم الخدود ويشق الجيوب ويوجع قلب المشاهدين ويكتفي بأن يقول على لسان المذيع: ياريت تبقى الحكومة عندها دم وتحس، وكأن الإعلام الخاص مهمته الأولى والوحيدة هي نغز الحكومة وهي بالفعل تستحق النغز والضرب كثيرا والجلد أحيانا ولكن الشعب والناس أيضا تستحق النغز والجلد بعض الوقت.

فكثير من الأسر التي وقفت حول عمرو الليثي في المقابر والعشوائيات وراحت تشكو فقر الحال وصعوبة الأيام يزيد عددها أفرادها على أقل تقدير على عشرة، ألم يستوقف ذلك الإعلامي ليوجه لهم ولمشاهدين آخرين بالتبعية، رسالة بأن الفقر وضعف الحال يستوجبان أن يتوقفوا عن هذه الزيادة وأن يكتفوا من العيال بواحد أو اثنين على أكثر تقدير حتى تهون العيشة ولو قليلا؟ ألم يخطر على بال الإعلامي أن يشير إلى أزمة هجرة الريف إلى العاصمة وماذا فعلت بنا؟

ولكني أظن - وليس كل الظن إثما - أن لعن الحكومة ليل نهار أضمن لدى الإعلاميين الفضائيين لكثافة المشاهدة ويسبغ عليهم صفات المعارضة والقوة وعدم الخوف من لومة لائم، فبالتأكيد من الأسهل أن تكون معارضا للحكومة من أن تكون معارضا لخطايا شعب خاصة من الفقراء.

لا أنكر أن عمرو الليثي في برنامجه سيقدم ٩٣ وظيفة لشباب في وزارة البترول عن طريق القرعة، وسيسهم في مساعدة البعض بالجهاز للزواج عن طريق إحدى الجمعيات

الخيرية، وهي مهام لا أنكر قيمتها ولكن أليس الأهم من توظيف ٩٣ شابا وتجهيز عدد من العرائس تعليم شعب وتنبيهه إلى خطاياه؟

٤٨ ساعة على المحور مع الكاتب الصحفي سيد علي وهناء السمري وإعداد بشير حسن المعد السابق لبرنامج ٩٠ دقيقة، والزميل الصحفي، برنامج أيضا من نوعية المجلة التليفزيونية وهو لا يختلف عن ٩٠ دقيقة في شيء حتى إن أحيانا مراسلي التقارير تكون في أيديهم ميكروفونات ٩٠ دقيقة و٤٨ ساعة في ذات الوقت، فكأنها قناة تنافس نفسها ببرنامجين حتى إن استخدام رجل وامرأة في تقديمه يمثل تشابها لا أرى فيه إلا تماثلاً مع ٩٠ دقيقة.

سيد علي صحفي وصاحب رأي لامع على صفحات الأهرام والمصري اليوم، وكان يقدم على نفس القناة برنامجا باسم ببساطة، وهو نفس اسم عموده في الأهرام وبالتالي فهو ليس جديدا أو غريبا عن القناة، فبالإضافة إلى هناء السمري التي كانت مراسلة للرئاسة في قطاع الأخبار، وبالتالي كان ظهورها محدودا على تليفزيون الدولة بأخبار الرئاسة حتى لو كثرت، ولكنها لأول مرة تتحول إلى مذيعة حقيقية تناور وتختلف وتناقش، وهو ما لم يكن متاحا لها في الرئاسة وأظنها غير موفقة فالكيمياء بين قطبي أي برنامج تنعكس عليه، وكيمياء هناء السمري مع سيد علي ثقيلة جدا ومن الغريب أن مذيعة كانت مندوبة الرئاسة تفتقر إلى كثير من الخطأ في مخارج الحروف العربية، وبالتحديد الدال التي تنطقها «تال» وعفوا أنا لا أقصد هنا إهانة أو استهانة ولكن كيف لا تتدرب مذيعة محترفة على نطق الحروف العربية بشكل صحيح وأرجو ألا يكون ذلك مقصده الدلع مثلا.

والحق أن الكيمياء بين المذيعين ونطق هناء السمري والديكور الخطأ لا يمثلون فقط مشكلة ٤٨ ساعة، ولكن كيف ببرنامج يأتي بضيف ثابت وهو الدكتور عادل عبدالعال صاحب قضايا سابقة وفضائح على الهواء، وهو ليس بطبيب ليجلس أمام المشاهدين يتلقي اتصالات لعلاج السرطان وأمراض أخرى بنصائح عن الكرنب وغيره الدكتور عادل عبدالعال.

خطأ فادح ولسنا هنا بصدد إحصاء الا امات والحكايات المنسوبة للدكتور المعالج الذي ليس بطبيب، فكيف بقناة وبرنامج يبحث عن مصداقية فيصدر نفسه في بدايته بهذا

التزييف.

ألا يكفي قناة المحور برنامج الأحلام لبطله الشيخ سيد حمدي الذي يصدر الوهم ووجوده على الشاشة وتفسيراته للأحلام كفيلة بتغييب شعوب بأكملها.

الشيخ سيد حمدي الذي أعلن - لا فض فوه - في أحدث حلقاته هذا الأسبوع أن إنفلونزا الخنازير انتقام من الله للغرب لأنهم يأكلون الخنازير، ونسي أن يقول لنا لماذا ينتقم منا الله بإنفلونزا الطيور التي أحلها المولي عز وجل؟!

من الغريب والمثير أن قناة المحور هي أول فضائية مصرية خاصة، فهي الأقدم ولكنها قناة لا تتعلم أبدا من أخطائها أو أخطاء غيرها، كلما بدا فيها إشراق كلما تراجعت بأسرع مما تتقدم، فهل هي مشكلة إدارة أم رؤية إعلامية محدودة أم أشياء أخري؟

الفضائيات المصرية الخاصة هي حصن لنا في السماء وظهر نستند عليه حين لا يسندنا تليفزيون الحكومة، فلهم علينا حق المشاهدة ولنا عليهم حق النقد حتى لو كانوا يعملون بفلوسهم، لأنهم يعملون على عقولنا.

جريدة الفجر - مايو ٢٠٠٨

مقدمة حديثة لموضوع قديم

في يوم ٦ أبريل عام ٢٠٠٨، حدثت اضطرابات شعبية عمالية انطلقت من مدينة المحلة الكبرى، وتعامل معها الأمن معاملة قاسية ولكنها في ذلك الوقت ألهمت مجموعة من الشباب المتعاملين على الفيس بوك إلى نواة لثورة من نوع جديد لم يألفها لا أهل مصر ولا غيرهم، وأنتجت عدة مجموعات افتراضية على الإنترنت، وفي ذلك الوقت بدأت كلمة الفيس بوك تتردد بقوة في وسائل الإعلام.

ورغم أن الفيس بوك كان شبكة اجتماعية ظهرت للعالم قبل ذلك بسنوات فإن تداول هذه العبارة كان جديداً في مصر وخاصة بالنسبة للنخبة السياسية وكثير من الكبار الذين كانت تُعد علاقتهم بالتكنولوجيا الحديثة ووسائل اتصالها محدودة، وفى ذلك الوقت من عام ٢٠٠٨ لم أكن أنا الأخرى أزعم من بين قلائل من الصحفيين الذين مازالوا يستخدمون الكتابة بالقلم والورقة وليس على الكي بورد Keyboord، ولكني مدفوعة بالبحث في حياة جديدة وأدوات حديثة للاتصال بحثت عن الفيس بوك وبحثت في اليوتيوب أو هذه الماسورة السحرية التي تنقل لنا ما لا يمكن أن تصل إليه يد أو عين كل كاميرات العالم المتخصصة.

ومن الغريب والمثير أن في ذلك الوقت صار الفيس بوك وشبابه مثاراً للسخرية والانتقاد من أهل الحكم كجمال مبارك وأهل لمعارضة، فحين سُئل جمال مبارك عنهم في مؤتمر صحفي ضحك ساخراً، وحين تحدث عنهم أحد أقطاب المعارضة آنذاك رفعت السعيد رئيس حزب التجمع قال إنهم شباب لاسع بمعنى الكلمة السلبي، ولذا فك:

لزاما عليّ أن أكتب عنهم عام ٢٠٠٨ دفاعاً أمام حكومة ومعارضة قاصرة النظر، وطبعاً لم يكن على الإطلاق في مخيلتي من بعيد أو قريب ما سيحدث بعد ذلك بسنوات من الثورة الحقيقية للفيس بوك وليست الافتراضية، ولذا لا أدعي بإعادة نشر هذا المقال الآن أني كنت بعيدة النظر أو مبصرة بالمستقبل لكني فقط أشير بكلمات ورأي كتبته في مواجهة حكومة ومعارضة اجتمعا للأسف على جهالة في العقل والمشاعر.

حنان شومان ٢٠١٢

شباب لاسع فن وابتكار

فجأة صار الفيس بوك واليوتيوب وهؤلاء الشباب المتعاملون عليه حديث مصر، وقد وجدتني مدفوعة للبحث عنهم وبسبب التداعيات الأخيرة في المجتمع المصري على المستوى السياسي والاجتماعي والصحفي والأمني بالتأكيد، بحثت عن وجوه وحديث شباب نعتهم أحد أقطاب حزب التجمع رفعت السعيد بأنهم شباب «لاسع» واتهمتهم أجهزة الدولة بعد إضراب أبريل بأنهم مخربون وبعضهم دفع أياما من عمره في السجن لمجرد رأي كتبه على شاشة.

صار بعض شباب الفيس بوك واليوتيوب أبطالا وبعضهم صار متهما وآخرون صاروا نجوما في بؤرة الضوء، وصرت أنا مدفوعة للبحث عن هؤلاء الشباب عبر الإنترنت، رغم أني لست من هؤلاء المصابين بهوس التكنولوجيا الحديثة فوجدت عالما من الفن والفنانين لم يكتشفهم أحد ولكن اكتشفوا أنفسهم وقدموا فنونهم بكاميرات الموبايل وكاميرات صغيرة، فإن كانت أجهزة الدولة قد وجدت في الفيس بوك واليوتيوب حكاية أمنية وسياسية وآخرون وجدوا فيه مواقع إباحية إلا أن لكل حكاية ألف وجه وقد رأيت في اليوتيوب حكاية أخرى.

بداية الحكاية: اليوتيوب هو موقع لأفلام الفيديو يسمح لمستخدميه بأن يحمّلوا عليه أفلاما قصيرة تخصهم أو تخص غيرهم ويتبادلوا مشاهدتها وقد بدأ بث هذا الموقع في فبراير عام ٢٠٠٥، وفي أكتوبر عام ٢٠٠٦ اشترت جوجل هذا الموقع بـ ١,٦٥ بليون دولار.

وفي يوليو ٢٠٠٦ أعلنت الشركة أن أكثر من مائة مليون فيلم فيديو تتم مشاهدتها يوميا على هذا الموقع، وفي يناير عام ٢٠٠٨، أكثر من ٧٩ مليون مستخدم شاهدوا أكثر من ٣ بلايين فيلم فيديو قدمه هؤلاء الشباب المتعاملون مع هذا الموقع.

مجرد رصد لأرقام وجب علينا أن نقرأه جيدا حتى نتصور ما نحن أمامه من تغيير في العالم الذي نحياه، والذي لم تعد فيه الصحف ولا محطات التليفزيون ولا السينما هي فقط العامل المؤثر في شبابنا.

في عام ٢٠٠٦، أشارت وسائل الإعلام الأمريكية إلى دور اليوتيوب في خسارة السيناتور الجمهوري چورج آلان للانتخابات، حيث وضع على الموقع كليب له وهو يتحدث بشكل عنصري ضد بعض فئات المجتمع الأمريكي، مما أثر على شعبيته فخسر الانتخابات، وفي معركة الانتخابات الرئاسية الأمريكية حاليا يستخدم المرشحون رون بول وهيلاري كلينتون وباراك أوباما اليوتيوب للتسويق لأنفسهم، حتى السياسيين الفرنسيين والإيطاليين مثل أنطونيو دي بيترو وجون هوارد رئيس وزراء أستراليا صار لديهم هوس التسويق لأفكارهم عن طريق اليوتيوب.

منذ بداية عمل هذا الموقع تم غلقه في عدة دول لبعض الوقت مثل تايلاند وإيران وتركيا والإمارات وباكستان.. فمثلا تركيا قد منعته لمدة يومين في أكتوبر عام ٢٠٠٧، وباكستان اعتبرت نشر الرسوم المسيئة للرسول على الموقع سببا لإغلاق الموقع، لكن لمدة ٣ أيام فقط، حيث استطاع الآلاف التحايل على غلق السلطات للموقع باستخدام وسائل أخرى للوصول إليه مما دعا السلطات لإعادة فتحه بعد إلغاء هذه الرسوم من على الموقع، قد تراقب الدول – ولأسباب- هذا الموقع وقد تمنعه لساعات أو أيام ولكنها أبدا لا تستطيع أن تقف في وجه طوفان تكنولوجيا لا تعرف التوقف أو المنع..في عام ٢٠٠٦ قرر الموقع أن يقدم جائزة لأفضل فيديو يتم تقديمه أو أكثرهم ابتكارا والتصويت قائم بين المتعاملين على الموقع.

لكل حكاية كما قلت ألف وجه فمخطئ من يتصور أنه امتلك الحقيقة وبالتالي مخطئ من يتصور أن بعض الكليبات الإباحية هي أهم ما هو موجود على هذا الموقع الذي لو فتحته ستجد أن هناك عالما يجب عليك اكتشافه، وأن الفنانين غير المكتشفين في مصر أكثر

كثيرا مع هؤلاء الذين نراهم على الساحة ستجد عشرات ومئات من المضحكين الأذكياء، ستجد مئات وآلافاً من الموهوبين بأقل الإمكانات، ستجد فلاحين وصعايدة يغنون وشبابا في الجيش يرقص، ستجد جرافيك عبقرياً للرئيس أنور السادات وهو يحدث الشعب المصري من السماء، ستجد كليباً باسم «مساطيل الفراعنة» يصور فيه الشباب تصورهم كيف كان الفراعنة يقعون تحت سطوة المخدرات، ستجد ألف عمرو دياب وألف محمد سعد والآلاف من الموهوبين، ستجد شبابا يبعثون في أغنية محمد رشدي دامت لمين برسالة سيسية، ستجد جرافيك لخناقة ميدو وحسن شحاتة الشهيرة، صحيح استخدم فيها صناع الكليب عبارات نابية ولكنه شديد الابتكار من الناحية التقنية والفنية..

اليوتيوب والفيس بوك صارا هايدر بارك مصر التي لا تعرف إلا الحدائق المغلقة بأسوار من الحديد، منذ سنوات قليلة كان أبطال فيلم ورقة شفرة أحمد فهمي وهشام ماجد وشيكو، مجرد وجوه معروفة ومحببة لشباب الفيس بوك واليوتيوب فهم أبطال فيلم رجال لا تعرف المستحيل الذي صوروه على غرار فيلم الطريق إلى إيلات ولكن بشكل ساخر، هؤلاء الشباب تعرضوا بسبب هذا الفيلم لتحقيق في أمن الدولة ولكن الخوف من التحقيق لم يمنع المعجبين بهم من الاستمرار في عرض الفيلم ومشاهدته وتبادله على الإنترنت، وقد تحولو من نجوم على موقع إلى نجوم على الشاشة فمن يدري ربما يكون الدور قادما على غيرهم فإذا شاهدت اليوتيوب ستعرف أن مصر مهما كانت مهمومة ومنكسرة مازالت تستطيع أن تضحك وتفكر وتعترض حتى لو على أسلاك من كهرباء في زمن الكلام فيه عن الرقابة صار عبثا، وأن نختصر موهبتهم في جملة أنهم شباب لاسع، كما قال رفعت السعيد هو اللسعان نفسه.

جريدة الفجر - يونيه ٢٠٠٨

اشحن الكارت تدخل الجنة

الطبيعي أن الصيام يجعل الإنسان أكثر إحساساً بمعاناة المحتاجين. لكن رمضان التليفزيون والإعلانات والبيزنيس قلب الآية وجعل الفقراء يحلمون طوال الوقت بالغنى والثراء والانتقال من خانة الجوع والعطش إلى خانة السيارة والشقة والفيللا والحج والعمرة.

وفي رمضان يصوم البعض عن الطعام والشراب نهاراً. لكنهم يدفعون ثمن هذا الصيام ليلاً ونهاراً والذين يحلمون بالجنة تختلط بأحلامهم جنة أخرى من سيارات وملايين. تسير على الشاشات في عالم افتراضي ملون يغزو يومهم ويقلب حياتهم دون أن يعرفوا أنهم يسددون مئات ضعف ثمن أحلامهم المستحيلة مليم فوق آخر، وقرش بجوار ربع جنيه، سعر المكالمة إلى جنة الأرض ١٥٠ قرشاً، أحلام، الزيرو تسعمية، في صلاة التراويح وكارت الموبايل الذي يعد بسيارة مرسيدس يقطع على الصائم صيامه، وحتى زيارة البيت الحرام، والحج والعمرة، تحولت إلى جزء من أحلام البسطاء في قضاء فريضة أو سنة مؤكدة من بين علب السمنة وزجاجات الزيت وكروت الموبايل يدفعون قليلاً بحثاً عن كثير.

بين كل مشهد وآخر من مسلسلات رمضان إعلان. ويعد كل إعلان استراحة برائحة السمنة الفلاحي، ولون كروت الشحن.

على إحدى القنوات يلفت النظر إعلان لإحدى شركات المحمول، الجزء الأول يروي قصة كفاح مواطن يكد ويكدح ويتعب طوال سنوات، حتى يحقق حلمه في الحصول على

سيارة مرسيدس، وأصبح كهلاً، لا يبدو أنه قادر على الاستمتاع بتحقيق حلمه. في المقابل شخص آخر يشتري كارت شحن يفوز بجائزة الشركة، سيارة مرسيدس، تأتيه وهو في شبابه بلا أي تعب كل إعلانات المسابقات والجوائز، تعلي من قيمة الحظ وتحط من قيمة العمل، والمجتهدون والذين يكسبون رزقهم بالحلال بؤساء وفقراء، أما مستهلكو الكروت والمسنة والزيت فهم فقط الذين يحققون أحلامهم.

بفلوس المشاهدين وقلوبهم المصريون يدفعون ٨٥٠ مليون جنيه سنوياً في مسابقات «اتصل الآن» و «اشتر الآن» و ادفع الآن.. وإبقى قابلني.

كل برنامج أصبح يخترع وسيلة لاصطياد المتصلين، حتى البرامج الدينية التي تبيع الفتاوى والإيمان وصكوك الإعلان، التي تمول عدداً محدوداً ممن اشتروا حق بيع الأوهام.

جريدة الفجر - أكتوبر ٢٠٠٨

الصحافة التايواني

انتهى رمضان ولم يبق منه إلا خير صنعه البعض فضاعف رصيده عند المولى عز وجل، أو شر صنعه البعض فزاد رصيده من السيئات رحمنا اللـه ورحمهم الله.. هذا حساب السماء.. أما على الأرض فلا يبقى من رمضان إلا حديث أثر الدراما التليفزيونية التي حاصرت الناس من كل صوب وحدب بعضها مات عند الميلاد وأخري ماتت بعد أيام من مولدها وقليل منها يبقى ليصبح شاباً فيصير حديث الناس لبعض الوقت أو قد يطول به العمر، ومن الظواهر العامة في دراما رمضان هذا العام الحديث عن الصحافة وأهلها حتى إنه لم يخل مسلسل من شخصية صحفية كما هو في الدالي وهيا أو يدور المسلسل في كواليس الصحافة كما في مسلسل في إيد أمينة.

وبعد الفراق وبنت من الزمن ده، إذن فالحديث عن الصحافة وأهلها ليس حديث مصادفة بل صار ظاهرة تليفزيونية تستحق الرصد والتساؤل فَلِمَ اهتم فجأة وبإجماع كتاب الدراما على إدخال الصحافة كطرف رئيسي فعال في أحداث حكاياتهم، وجعلوا من الصحفيين أبطالاً أو كومبارساً ودارت أحداثهم في أروقة الصحف، فهل صدقوا أم كذبوا؟ أتصور أن هذا الاتجاه الدرامي ينم عن تنامي دور الصحافة في مصر وتأثيرها وهو شيء بالتأكيد يسعدني لأني أحد العاملين في هذا المجال، ولكن الحق أن الدراما التليفزيونية أخفقت بشدة في رصد الصحافة والصحفيين فكلما شاهدت يسرا في دور أمينة تساءلت أين أنا منها أو من يوسف الصياد كما قدمه خالد صالح أو حتى من داليا البحيري أو ريهام عبدالغفور أوغيرهم، نماذج وهمية لا وجود لها إلا في خيال أصحابها، وإن من حق الكاتب أو الفنان أن يتخيل ولكنه خيال مرتبط بواقع عليه الالتزام بشكل أو بأخر به.

في الماضي كان شكل الصحفي في السينما مثلاً صورة نمطية لنموذج أين ترعرعت سيدتي، ولم تتغير هذه الصورة إلا على يد كتاب عظام مثل نجيب محفوظ أو موسى صبري اللذين استطاعا أن ينقلا للمشاهد صورة حقيقية للصحفي فاسداً أو خيِّراً.. لم تستطع أي دراما تليفزيونية أن تخترق حاجز الحقيقة إلا على يد كاتب عظيم مثل فتحي غانم في مسلسل زينب والعرش الذي استطاع أن ينقل صورة أمينة لهذا العالم، ولكن كتاب دراما هذا العام عادوا سنين إلى الوراء جرياً وراء صورة نمطية للصحفي والصحافة، ربما الشيء الوحيد الذي تنم عنه هذه الظاهرة، أن الصحافة تحولت لشيء مثير للقلق، ولكن قلق كتاب دراما رمضان أسفر عن حالة هبل حقيقية في رصد الواقع الصحفي أو حتى مفرداته، صراع يسرا وهشام سليم صراع كوميدي حلمت أن أكون طرفاً فيه مع عادل حمودة «رئيس التحرير» ثم أفقت على صوته صارخاً فيَّ: أين عملك؟ فتذكرت أنني لست أمينة أو يسرا، وجلست أرقب خالد صالح وزملاءه ورؤساءه في بعد الفراق أبحث عن شبه ولو من بعيد لهؤلاء فلم أجد إلا خيال محمد أشرف.

في الصحافة فساد للركب نعم، وفيها خير للركب أيضاً، ولكن كتاب الدراما لم يستطيعوا الوصول للركب ولا حتى للأقدام، فلو عاد كتاب الدراما لصراعات أهل الصحافة وحكاياتهم لنهلوا منها حكايات تفيض دراما صراع؛ هيكل ومصطفى أمين كان صراعاً درامياً عظيماً تكتب حوله عشرات الأعمال، وحكايات أهل الصحافة الآن رؤساء ومرءوسين حكايات تخرج منها مسلسلات تحتوي على دراما شديدة الإثارة ما بين تراجيديا وكوميديا، حكاية رضا هلال واختفائه نفسها قصة مثيرة لا علاقة لها باختفاء خالد صالح الذي يثير الضحك أكثر من الشجن.. كتاب الدراما التليفزيونية في رمضان جنحوا إلى رسم صورة سابقة التجهيز للصحفي ورجل الأعمال وعضو مجلس الشعب، ولم يتعبوا في التفكير بل أزيد على ذلك أنهم يهددون السلام الاجتماعي في هذا البلد دون وعي بخطورة ما يقدمونه من نماذج للفقراء والأغنياء، فكل الفقراء عند كتاب الدراما أخيار وكل الأغنياء أشرار دون تبرير لأسباب الخير أو الشر، وهو خطر محدق يزيد من كراهية قطبي هذا البلد الذي تآكلت فيه الطبقة المتوسطة وصار بالفعل الفساد فيه للركب، ولكن ليس كل غني فيه من أهل النار ولا كل فقير من أهل الجنة، فأفيقوا يا سادة لأنكم بمسلسلاتكم على تفاهتها تكدرون صفو مجتمع على شفا حفرة من نار.

جريدة الفجر - أكتوبر ٢٠٠٨

أنا وجامعة القاهرة

شكلت السينما وأفلامها كثيراً من وعيي وإدراكي بالصور الذهنية لعديد من الأشياء، وكان أكثرها إلحاحا هي صورة الجامعة، فلم أعرف منذ طفولتي معنى ولا صورة لجامعة إلا جامعة القاهرة بقبتها الشهيرة ودقات ساعتها التي مثلت المكان المرادف الوحيد لكلمة جامعة في أي فيلم سينمائي.. فزوزو أو سعاد حسني وكل بنات وشبان جيلها على الشاشة كانوا في جامعة القاهرة، عبدالحليم حافظ ونادية لطفي خطاياهما في فيلم كان مسرحها جامعة القاهرة، مرورا بجيل أحمد زكي وعادل إمام وآثار الحكيم وعشرات وعشرات من النجوم والنجمات.

لهذا حين أتت اللحظة التي كان على أن أختار فيها الجامعة التي ألتحق بها كانت بلا شك هي جامعة القاهرة، ورفضت الالتحاق بالجامعة الأمريكية بإباء وشمم وإصرار وصل إلى حد القطيعة بيني وبين والدي ببساطة لأني اعتبرت عدم ارتباطي بالقبة والساعة ينتقص من شهرتي.

تلك هي علاقتي العاطفية وشهادتي الجامعية التي أنتمي بها إلى جامعة القاهرة ولهذا حلمت مع الأستاذ لبيب السباعي صاحب مبادرة زيادة مساحة الجامعة وامتدادها والدفاع عن أرضها، ثم فكرة افتتاح اكتتاب عام. وقررت أن أكون من أوائل المكتتبين في هذا الصرح العظيم الذي أنشئ في بدايته بأموال المتبرعين والاكتتاب العام، فلا أنا ولا جيلي فقدنا القدرة على الأحلام أو كنا أقل حبا لبلدنا من هؤلاء الذين كانوا يعيشون منذ مائة عام.

ونسيت في غمرة الفرح بمشروع قومي كل الشكوك التي تحاط بأي أموال ندفعها للحكومة، ونسيت أو تناسيت أن مشكلة مشاكل مصر هي افتقاد القدرة على العمل الجماعي وأن جزءاً أصيلاً من شخصيتنا أن البدايات دائما تبدو مبشرة ولكن نفسنا قصير

جـدا فـلا نصـل إلى النهايـات أو الاسـتمرار دون أن نقطّـع بعضـنا الـبعض إربـا ولنـا في الأحزاب والجمعيات الأهلية وغيرها أسوة حسنة.

نسيت كل ما سبق وغيره كحلم ولكني أفقت على لقاء د. حسام كامـل رئيس جامعـة القاهرة مع منى الشاذلي في العاشرة والذي أعلن فيه عن أن الشركة الهندسية التي وضعت التصميم شركة كندية يـا سـلام لماذا؟! هـل عـدمنا الشركـات المصريـة لتقـدم لنـا تصـميماً لمشروع قومي؟ وإذا كانت الحجة بأن الشركة قـد تبرعـت بالتصـميم وهـو مـا أشـك فيـه، ولكني سأقبل ورغم هذا هل لو طرح الأمز على الشركات المصرية كانت سترفض التبرع بالتصميم؟ وهل مهندس عبقري عالمي كالدكتور ممدوح حمزة كـان سـيرفض التـبرع لهـذا الهدف القومي؟ مجرد أسئلة أطرحها.

ثم أضاف السيد رئيس جامعة القاهرة في حواره: أنهم سينشئون دارا للضـيافة وقاعـة مؤتمرات وأن هذه الجزئية قد يتم استغلالها تجاريا، وحين اعترضته منى الشاذلي والأستاذ لبيب السباعي الذي كان يناقشه على الهاتف بأن الاكتتاب يجب أن يكـون خاصـاً بكـل مـا هو تعليمي، رد الدكتور «لا فض فوه»: خلاص مش حنستخدم فلوس الاكتتاب في الجزء الاستثماري.. يا سلام!! لقد ضربت يا دكتور دون أن تدري بظهورك وحديثك مصـداقية مشروع قومي يمكن أن يلتف حوله الناس بعد أن ضاعت كل أحلام لأي مشروع قومي.

أنا ربما واحدة من آلاف راجعوا أنفسهم وقالوا قولة سعد زغلول المزعومة: «ما فـيش فايدة» بلا حلم بلا مشروع قومي.

الحكومة مشكورة ممثلة في وزيـر الاسـتثمار سـمحت بـالأرض وأرجوهـا وأتوسـل إليهـا أن ترفـع يـدها وكـتر خيرهـا عـلى كـده، ولكـن لا رئـيس لجامعـة معـين مـن قبلهـا ولا خفـير منهـا مطلوب، اتركوا للناس ولمحبي جامعـة القـاهرة ولمجلـس أمنـاء منفصـل ممـن يرتضـيهم النـاس حتى لو كانت الحكومة غاضبة عليهم، اتركوا الكل هؤلاء فرصة لكي يعيدوا بناء أي حلـم دون أن تلتف يد رسمية بيروقراطية على المشروع فتحوله إلى مول حسب أهوائها.

منذ سنوات طويلة بنى أجدادنا وأجداد أجدادنا جامعة القاهرة وأشياء أخرى كثيرة فهل كثير على أحفادهم أن يحلموا بمجرد استداد للجامعة؟

جريدة الفجر - أبريل ٢٠٠٩

مقدمة حديثة لموضوع قديم

في عام ٢٠٠٩ حين أتى أوباما مصر لتكون محطته الأولى إلى العالم الإسلامي بدا ذلك حلماً. وأجزم أن كل من أتى للقاعة الكبرى لجامعة القاهرة منذ ثلاثة أعوام في ذلك اليوم كما رأيتهم كانوا يسيرون إلى داخلها وكأن على رؤوسهم الطير حالمين بشكل أو آخر بأن الحياة بعد أوباما ستكون غيرها قبل أوباما، كانوا مأخوذين بشعاره نعم نستطيع Yes We can وربما لو جمعت نفس هذه الوجوه والأسماء من سياسيين ونجوم مجتمع وفن وفكر اليوم أمام نفس المتحدث أوباما ستجد شيئًا آخر، لأن الزمان غير الزمان والناس غير الناس والظروف غير الظرف.

إلا أن أوباما هو الوحيد في هذه المعادلة الذي لم يتغير، فرغم أن شعار أوباما الشهير كان نعم نستطيع إلا إنه لم يستطع شيئاً أمام إشكالية الشرق الأوسط، بينما نحن المستمعين له المأخوذين به استطعنا بالفعل أن نؤكد أننا نعم نستطيع إذا أردنا Yes We Can .

ولكن أوباما لم يستطع، إذاً هو No He Can ،t.

طلبة الجامعة .. We love you Obama

قد يمثل خطاب أوباما في جامعة القاهرة مقالا تحليليا لكاتب سياسي كعادل حمودة، وقد تمثل الزيارة ذاتها بالنسبة للمحطات الإخبارية ونشرات الأخبار موضوعا للحديث والتحليل والتعليق على النقاط الإيجابية أو السلبية والجوانب السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، أما بالنسبة لي فالأمر كان مختلفا لأني ذهبت لمتابعة حديث أوباما تحت القبة مدفوعة بأن أرصد حدثا وإن كان سياسيا ففيه من الفن كثير ومن التأمل أكثر.

بدت شوارع القاهرة في صباح الخميس وكأنها مدينة مهجورة ولكنها كانت شديدة الجمال لأنها بلا صراع مروري أو بشري، وبالتالي لم يستغرق وصولي من بيتي إلى جامعة القاهرة إلا دقائق. كنت متخوفة طبعا باعتباري مصرية المنشأ والتربية من إجراءات الأمن التي ستكون متبعة في الدخول حتى الوصول إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة، فالمصريون مثلي يعرفون معنى إجراءات الأمن في حالة وجود مجرد وزير واحد في أي مكان فما بالك لو كان الرئيس الأمريكي!! .

تركت حقيبتي وكل متعلقاتي وذهبت كما يقولون خالصة مخلصة دفعا لبهدلة متوقعة ولكني ولعجبي وجدتني مثل الآخرين أدخل من بوابة الأمن إلى بوابة أخرى دون تفتيش ولا سؤال ولا كلام ولا حتى نظرات ريبة تتفحصني، كان مطلوبا مني فقط إبراز الدعوة وبطاقة الهوية وعلى باب القاعة وقفت بنات جميلات للاستقبال.

في الداخل لم تكن المقاعد مرقمة وبالتالي محددة بالأسماء ولكن من يأتي يجلس في المكان الذي يجده ولهذا بدت القاعة الكبرى في حالة تسوت فيها الرءوس، الوزير كالخفير

ورجل الأعمال صاحب الملايين تماما كفتاة مدعوة من إندونيسيا تبدو عليها ملامح الفقر الآسيوي إن كان هناك أساس فقر بهذا الاسم، ففي القاعة الكبرى في انتظار أوباما تساوت وجوه النجوم مع وجوه المغمورين. فقط أجزاء من الصف الأول تُركت لمجموعة أوباما ومجموعة الوزراء وشيخ الأزهر.

امتلأت القاعة منذ العاشرة صباحا بخليط من رجال السياسة والأعمال والفكر والإعلاميين والفنانين مثل: أيمن نور ود. جابر عصفور وحافظ أبوسعدة ولأول مرة يجتمع ثلاثة رؤساء وزراء سابقين وهم على لطفي ود. كمال أبوالمجد والسفير الإسرائيلي وطارق حجي والجنزوري وعاطف عبيد ومنى الشاذلي ومعتز الدمرداش وعمرو الليثي ومديحة يسري ولبلبة وعادل إمام ويسرا ونصير شمة وغادة عادل وليلى علوي وسمير سيف وخالد يوسف وشريف منير ومصطفى شعبان وأشرف زكي ومحمود ياسين ومحمد رياض وخالد النبوي وأشرف الشريف ود. مصطفي الفقي ود. عبدالمنعم سعيد وأشرف عبدالباقي وأحمد بدير، ولعجبي وجدت الفنانة ماجدة زكي وزوجها كمال أبورية وماجدة من الفنانات اللاتي عادة لا تحضر أي مناسبات فنية أو عامة حتى مهرجانات السينما أو الإذاعة والتليفزيون، فلما أبديت تعجبي من حضورها أكدت لي ضاحكة أنها كانت تفضل مشاهدة الخطاب في البيت لكن أبناءها طالبوها بالحضور لتحكي لهم عن أوباما بشكل مباشر، ولهذا حضرت إلى الاحتفال، فاقتنعت بالسبب لأنه مناسب لها!!

كانت مسئولية اصطحاب الضيوف داخل القاعة مسئولية أمريكية كاملة ولهذا لم تكن هناك حالة تشنج أو مشاكل مصاحبة لجلوس الضيوف على الإطلاق.

بدا وزير الإعلام أنس الفقي في حالة نشاط يتابع المكان ولم يبد عليه التوتر مطلقا رغم ضخامة الحدث، على العكس لقد كان مرحا وربما أعطاه الإحساس بأنه منفرد بنقل الحدث بكاميرات التليفزيون للعالم، إحساس بالانتشاء وإن شاركته النقل من داخل القاعة قناة فوكس الأمريكية للأخبار أكثر القنوات عداء للعرب التي حصلت على حق البث المباشر دون غيرها من المحطات الأمريكية.

السفير الإسرائيلي كان قليل الحركة جلس في الصفوف الأخيرة ولم يتحدث إلا لدقائق مع طارق حجي خبير البترول المصري وسيدة من السفارة الأمريكية.

مرت ساعات من العاشرة حتى الواحدة والربع ظهراً حين بدأت القاعة تمتلئ برجال السفارة الأمريكية، وظهر د. زكريا عزمي رئيس الديوان في حالة تفقد للمكان وجزء من المسرح ثم حضر عمر سليمان وتبعه جمال مبارك أمين السياسات ومعه مجموعة الوزراء على رأسهم د. أحمد نظيف وصفوت الشريف ووزير الاستثمار والثقافة والخارجية، وآخرون ثم تبعهم شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي ووزير الأوقاف. وحين دخلت هيلاري كلينتون القاعة من باب جانبي ضجت القاعة بالتصفيق وكأنها نجمة سينمائية وليست مجرد وزيرة خارجية حتى لو كانت أمريكية. بدت وكأنها تحمل بصمات نجومية هليوودية أكثر منها سياسية.

التقيت قبل لحظات من دخول أوباما بهانز ماهوني، أحد مساعدي السفيرة سكوبي، وهو يعمل في السفارة الأمريكية بمصر منذ سنوات ويجيد العربية وكان الرجل متوترا إلى حد ما وسألني عن توقعي بالنسبة للخطاب التاريخي لأوباما، وكيف ينظر له المصريون ودار بيننا حوار قصير ختمه بتخوفه أنه ربما تبدو توقعات المصريين أكبر من مجرد خطاب تصالح

وبعد لحظات قليلة من وصول السفيرة الأمريكية أعلن عن وصول الرئيس الأمريكي في الميكروفون بلا مقدمات ولا كلمات توقعها الحضور من رئيس الجامعة أو شيخ الأزهر، وهذا طبعا لأننا معتادون على شكل احتفالات معينة يحضرها الكبار ولكن في حضرة أوباما الأمر كان مختلفا.

بدأ أوباما حديثه الذي استمر ساعة كاملة تخلله تصفيق للجماهير ٤٠ مرة وانطلقت صيحات من البعض تقول (we love you obama) ورد هو عليها بـ thank you.

- بدا أوباما منطلقا في الحديث وإن كان يقرأ من شاشة غير مرئية مما جعل البعض يتصور أنه مسترسل في الحديث دون ورقة أو كلمات مكتوبة.

في بعض لحظات وجّه أوباما حديثه إلى الشرفات العليا في القاعة لأنه بالتأكيد كان يعرف أن الجلوس في هذا الجزء من القاعة هم الشباب من طلاب تم اختيارهم بشكل عشوائي. وحتى حين أنهى حديثه ورفع يده بالتحية بدت وكأنها لهم فهو كان يتحدث بلغة الشعراء لأجيال حالمة لابد أن تكون ملامحها شابة حتى تصدق أن القادم أجمل

والسلام سيعم والاقتصاد سيتحسن.

واختلفت الوجوه بعد انتهاء الخطاب فالكل في لحظة دخوله كان مترقبا سعيداً منتظراً آملا في أن تأتي الأحلام سائرة على قدمين، ولكن بدت في لحظات الانصراف الوجوه مختلفة فبعضها سعيد بمجرد أنه رأى النجم قريبا من يديه وآخرون محبطون وآخرون محللون لمحتوى الخطبة وأشياء أخرى، لكن المؤكد أن كل الحضور عبر إلى خارج القاعة في حالة مختلفة عما دخل بها.

وأمام الجامعة كانت الشوارع خالية إلا من قوات الأمن المصرية ومجموعة أمريكية من عدة أشخاص تحمل لافتات تنادي بتحرير فلسطين اسمها pinkcode وبالتالي تحمل لافتات وردية كاسمها وهي استمدت الاسم من عبارة red code، التي كان يتحدث عنها دائماً بوش وهو الخط الأحمر. طبعا ترك الأمن المصري هؤلاء ولم يجرؤ على التصدي لهم ولكن لا أحد آخر كان في الشوارع.

سرت ببطء أستمع إلى تعليقات من هنا وهناك تقول: يا بخت أمريكا جتنا نيلة في حظنا الهباب وهناك آخرون بعد أن فتحوا هواتفهم المحمولة جاءت إليهم رسالة تقول: إن شعبان عبدالرحيم يسجل أغنية جديدة تقول كلماتها: شايف الابتسامة والفرحة على الوشوش إياك يا ناسي أوباما ما يكونش زي بوش بوش يخرب بيته ضيعنا أيام وسنين والناس فاكرين أوباما حيكون صلاح الدين.. وإييه.

جريدة الفجر - يونيه ٢٠٠٩

كل الرجالة بتوع ستات

أفتقد صوت النقشبندي وفانوس رمضان المصري بزجاجه الملون والشمعة الصغيرة وفوازير شريهان ونيللي وصوت الشيخ محمد رفعت وهو يؤذن لصلاة المغرب، أفتقد رائحة رمضان الذي كان.. أفتقد فكرة أن رمضان كان يعني لي ولكل المصريين مسلسلا أو اثنين مثل صيام صيام أو ليالي الحلمية وأن هذه المسلسلات كانت تمثل درة المشاهدة، وأشعر بكثير من الغيرة من هؤلاء الذين كانوا يعملون بالنقد في ذاك الزمان لأن لم يكن لديهم كثير من الأعمال الفنية لمشاهدتها والكتابة عنها فزمانهم كان أكثر «رواقة ومزاج».. ولولا التجاوز لكنت قلت كما يقول مصطفى حسين على لسان شخصياته الكاريكاتورية: «جتنا نيله في حظنا الهباب».

ولأنني لا أستطيع الزعم بأي حال أنني امرأة خارقة ومشاهدة وناقدة فولاذية تستطيع أن تتابع عشرات من الأعمال الفنية الدرامية المعروضة في رمضان مما يؤهلني لنقدها بشكل كامل فأكتفي بالحديث عن أزمة اجتماعية عويصة تشعر بها النساء منذ بداية رمضان وتتفاقم كلما مرت أيامه وعرض التليفزيون مسلسلاته.

أكثر من ثلاثة عشر مسلسلا من بينها «علشان ماليش غيرك» و«خاص جدا» و«الباطنية» و«ابن الأرندلي» و«أفراح إبليس» و«تاجر السعادة» و«قانون المراغي» وغيرها تحكي من بين أحداثها حكاية المرأة الثانية والثالثة وربما الرابعة في حياة الرجل وكأنها تؤصل لفكرة أن امرأة واحدة لاتكفي.

كل الرجال في كل مسلسلات رمضان على اختلاف أعمارهم أو مستوياتهم الاجتماعية ما بين طبقة غنية أو متوسطة أو حتى معدمة، كما في تاجر السعادة تجد فيها رجلا أو أكثر

زوجا لأكثر من امرأة، وحتي مع اختلاف الأزمنة ما بين زمن المصراوية إلى زمن خاص جدا تجد الرجل الذي يهجر المرأة لأخري أو يجمع بين أكثر من امرأة.

ولو أن متابعا غريبا شاهد مسلسلات رمضان المصرية وقرر أن يستخلص منها بعض مقومات المجتمع المصري يقرر أن المرأة المصرية مسكينة ودائما واخدة بمبة من رجل هو زوج أو حبيب، ولا فرق في ذلك بين متعلم أو جاهل وكبير أو صغير وغني أو فقير.

والسؤال: هل الدراما التليفزيونية التي تحظى بكثافة عالية في المشاهدة وكتابها هم المذنبون في حق المجتمع والمرأة ويعودون بنا إلى زمن زوج الأربعة، أم أن الكتاب والدراما انعكاس لواقع يفرض عليهم تصويره، وأن الحقيقة أن المجتمع المصري بل والعربي يعود إلى الوراء سنوات وسنوات ليس فقط في الفكر الأصولي ولكن أيضا في جوهر العلاقة الأساسية للبشرية وهي علاقة الرجل والمرأة؟

الإجابة ليست بالتأكيد بنفس سهولة طرح السؤال، ولكني أظن أن كتاب الدراما عكسوا بعضا من الواقع.

هناك مثل عامي يقول: «خذوا بالكم من عيالكم» ولكن في مصر كما في كل العالم الناس يأخذون بالهم ويأخذون قيمهم من نجومهم وقادتهم ومثلهم الأعلى.

في مصر المثل الأعلى والنجوم هم أهل المال والسطوة وبعض من السياسيين وكل هؤلاء مع قليل من الاستثناء لايكتفون بامرأة واحدة ولا اثنتين ولا حتى ثلاث، والإعلام صار وحشا كاسرا يستطيع أن يدخل حتى غرف النوم والحمامات، وبالتالي ينقل للعامة تنقل الرجال من امرأة لأخري سواء بالزواج كما في حال أحمد عز مثلا وهو رجل السياسة الأبرز، أو كما حدث مع حسام أبوالفتوح أو هشام طلعت مصطفى ورامي لكح وعشرات بل مئات ومئات من أسماء رنانة في دنيا السياسية والمال وكذلك الفن.

ويحضرني هنا ما حدث منذ سنوات حين عُرض مسلسل الحاج متولي الذي كتبه مصطفى محرم، وعُرض منذ سنوات وقامت الدنيا ولم تقعد بسبب ذلك المسلسل وكيف انتفض المجلس القومي للمرأة وغيره من الجمعيات النسائية تطالب بمنعه وتتهمه بترويج أفكار هدامة في المجتمع.

جريدة الفجر - سبتمبر ٢٠٠٩

ايوه كده يا وديع

كما يتم تقديم السم في العسل في جريمة قتل ناعمة، أو بوضع المخدر في قارورة عطر في جريمة تحويل شخص صحيح إلى مدمن.. استطاعت قناة ميلودي أفلام أن تقدم الفجاجة والقبح في كبسولة خفيفة الظل، ونجحت بالفعل في مهمتها.

صار وديع وتهامي والآنسة رشا عنوانا لقناة متخصصة في الأفلام، بل صاروا أبطالاً لدى عموم الجماهير ينتظرون ظهورهم أكثر من الأفلام المصرية ذاتها التي تعرضها القناة. وتحول وديع وتهامي إلى نجوم لهم جروبات خاصة معجبة على الفيس بوك بها الآلاف وحاليا يتم التفكير في إنتاج فيلم خاص من بطولتهما.

مصيبة إعلامية وإعلانية وأخلاقية بكل المقاييس.. فالإعلان الذي صار علامة تجارية لو فكرت فيه لوهلة وخلصته من خفة ظل أبطاله وبحثت في رسالته فستجد الآتي:

أولاً: هذا الإعلان يرسخ صورة سلبية قبيحة لكل العاملين في المجال السينمائي، فالمنتج رجل جاهل فج، والمخرج شخصية مهزوزة وسيلتها القوادة، أما الممثلة فلا وسيلة لديها للوصول إلى البطولة إلا سرير المنتج.

تلك هي الصورة النمطية التي ترسحت في عقل الجماهير منذ زمن عن السينما وأهلها وكل الفنانين، وما إن بدأت هذه الصورة غير الحقيقية بشكل كامل تتغير قليلاً لدى الأجيال الجديدة بدخول عناصر كثيرة تحترمها الجماهير وتقدرها، حتى أتت قناة ميلودي بفاصل لتمحو سنوات حاول فيها كثير من الفنانين المحترمين تغيير هذه الصورة القاسية النمطية.

الفنانون بشر فيهم الصالح والطالح، والفاجر والتقي، وما بينهما، ومن الظلم إلصاق هذه الصورة النمطية بهم.

ومن الغريب والعجيب أننا ما بين كل حين وآخر نجد طائفة ما تنتفض ضد عمل فني، لأنها ترى أن فيه إساءة لها مثل المحامين أو الأطباء أو ضباط الداخلية وغيرهم، حتى رجال الأعمال، حتى إن المحاكم قد تداولت قضايا رفعها البعض دفاعا عن صورتهم، رغم أن المسألة لا تعدو دورا في فيلم يعرض بين الحين والآخر وليس بالتأكيد مثل إعلان يتكرر عشرات المرات في اليوم.

وفي مقابل ذلك ومن الغريب أنني لم أسمع أو أر فنانا واحدا أو فنانة تنتفض وتشجب الصورة التي يصورها عليها صاحب قنوات ميلودي، والذي جعل من كل نجمات السينما مدام أو آنسة رشا.

قديماً قالوا إن «الزنّ على الودان أمرّ من السحر»، وأن قناة ميلودي وتهامي ووديع ورشا، سحر أسود على صورة الفنانين أتعجب كيف لم ينتفض منتج أي منتج، أو مخرج محترم أو ممثلة تفخر بمهنتها أمام أبنائها من هذا الإعلان؟ كيف لم تخرج نقابتهم حتى لتوجه اللوم لصاحب ميلودي وتهامي ووديع والست رشا؟

ثانياً: يبدو الإعلان أن ظاهره الرحمة وباطنه العذاب.. فالإعلان في ظاهره يدافع عن الفيلم المصري في مقابل الفيلم الأمريكي، ولكن الحقيقة أنه يسيء للسينما المصرية بجدارة، بدليل اختيار أفلام من أجمل ما أنتجت السينما الأمريكية مثل «تايتانيك» و«قلب شجاع».. أفلام عظيمة حتى لو ضحكنا منها في مقابل أفلام قبيحة تخصنا مثل «قبضة الهلالي» و«آيس كريم في جليم»، قد تكون المفارقة في هذا الفاصل الساخر مضحكة في لحظتها ولكنها في حقيقتها باكية.

ولذا فحسب قناة ميلودي وإبرازها للأفلام المصرية التي تفخر بها، يجب تعديل كلمات الخاتمة لهذا الفاصل الإعلاني إلى «الفيلم الأجنبي.. أم العربي».

ثالثاً: منذ بداية انطلاق مجموعة قنوات ميلودي، فهي دائما تجنح لكل ما هو غريب ومثير وفج وأيضاً قبيح خاصة فيما يخص الفواصل ونوعية الإعلانات التي تروج لها مثل إعلانات قناة ميلودي تريكس والتي كان من بينها فاصل لسيدة تقف في شرفة منزلها تنشر

ملابس داخلية، في إشارة جنسية صريحة فجة.

وأضافت ميلودي إعلانا آخر لقناة الأفلام مستخدمة شاباً رخماً وفتاة شبه عارية للإعلان عن كسر الملل ولكن على طريقة ميلودي، ورغم طرافة الأفكار أحياناً فإن القبح والإباحية فيها سيدا الموقف.

أكثر ما أكره أن أقف في طابور المتباكين على جمال فقدناه أو أخلاق نفتقدها، ولكن أمام وديع وتهامي ومدام رشا وصديقهم والمروج لهم جمال مروان، كان يجب أن أتباكى ولكني لن أفعل إلا أن أقول إنهم رموز للزمن...تيت.. تيت.. تيت.. مش كده يا وديع.

جريدة اليوم السابع - مارس ٢٠١٠

أبو الليف .. عنوان الديمقراطية

صار أبوالليف هو المطرب الأول حاليا في مصر، فأمام اكتساح أغنيته «أنا مش خُرنج أنا كينج كونج ده وأنا رابط إيديه بألعب بينج بونج»، تراجعت مبيعات أغنيات عمرو دياب وحماقي وهاني شاكر وحتى إليسا وهيفاء،صار أبوالليف هو مطرب الشباب الأول.. والله العظيم هذه ليست نكتة، ولا هو اسم حركي لمطرب، بل هذه هي الحقيقة، ولا يعني أن أحدا يجهل من هو أبوالليف، ولم يستمع لأغنيته أن ينكر هذه الحقيقة.

وإن كان أكثر ما أكرهه هو التنظير، وادعاء القدرة على التحليل، وأن أزعم أنني وحدي أمتلك الحقيقة المطلقة للظواهر، إلا أنني مضطرة لكي أحكي لمن لا يعرف قصة أبوالليف أو كينج كونج لاعب البينج بونج، مضطرة أن أعود إلى الوراء لأحكي لكم حكاية.

كانت الإذاعة قديما هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع أي فنان أن يصل من خلالها إلى قلوب المستمعين، وبالتالي الجمهور، فما من نجم من نجوم الطرب أو حتى التمثيل، إلا واعتبر أن جواز سفره إلى عالم الشهرة والنجاح لا يتم إلا من خلال مروره من البوابة الذهبية، الإذاعة.. وكانت لجنة الاستماع وكبار رجال الإذاعة، هم أهم من في حياة الفنان، فبجرة قلم منهم، يمنحونه الحياة، وبجرة أخرى يحرمونه منها.

وتطورت الحياة، واختلفت آلياتها بظهور التليفزيون فتراجعت قيمة الإذاعة أمام طوفان الصوت والصورة في التليفزيون، فأصبح المسئولون عنه هم أصحاب السطوة والحظوة لدى الفنان، لأنه بوابتهم الذهبية للجمهور.

وقد يذكر البعض الحرب الضروس التي قامت بين عبدالحليم وفريد الأطرش حول من يفوز بنقل حفلاته في شم النسيم وغيرها من المناسبات على الهواء في التليفزيون، وسواء كانت الوسيلة التي يصل بها الفنان إلى جمهوره الإذاعة والتليفزيون، فقد كانت في النهاية وسيلة مضنية له تستغرق كفاحا وجهدا مع كثير من العناصر الفنية أو الإنسانية.

ولأن بقاء الحال من المحال، فقد تغير الأمر منذ سنوات وفقد التليفزيون والإذاعة تفردهما في الساحة، لتصبح شركات الإنتاج وتوزيع الكاسيت هي صاحبة السطوة في فرض الذوق في دنيا الاستماع. وليس أدل على ذلك من سطوع نجم المطرب أحمد عدوية، الذي كان ممنوعا من الغناء في الإذاعة أو التليفزيون، ولكن أغنياته في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، كانت تنتشر كالنار في الهشيم عبر شرائط الكاسيت، بل ربما زاد توزيعها لأنها كانت بضاعة ممنوعة من الظهور على الأثير.

وفي غمضة عين بين ليلة وضحاها، تغيرت خريطة الحياة بظهور الإنترنت، تلك التي يطلقون عليها بالعربية الفصحى الشبكة العنكبوتية، وهي تسمية واصفة دقيقة لهذا النوع من وسائل الاتصال، فلا يستطيع أحد أن يعرف لها بداية من نهاية، لأنها حلقات اتصال متداخلة، قادرة على أن تصل بين من يوجد في قرية ليست على الخريطة، وبين أحد سكان الشارع الخامس في مدينة نيويورك، أو وول ستريت شارع المال والأعمال.

وتراجع إنتاج الكاسيت وفقد الشريط الصغير وأصحابه سطوتهم تماما، مثلما حدث مع الإذاعة والتليفزيون، فلم يعد الثلاثة هم الطريق والبوابة الوحيدة إلى الشهرة والانتشار والتأثير.

تصدر المشهد الآن الفيس بوك واليوتيوب، وسائل اتصال تسمح لكل حالم بأن يعرض على الملايين ما يراه في الغناء أو التمثيل أو التقليد أو الكتابة، أو حتى بيع الجسد، صارت تلك الوسائل وكأنها هايد بارك للفن، لا سلطان فيها لأحد على أحد.. مجرد كبسة زر كما يقول اللبنانيون وتكون على الهواء مباشرة، بلا رقابة على سيناريو أو كلمات أو لحن.. صار الفيس بوك واليوتيوب هما البوابة الذهبية للشهرة، ليس من المحيط إلى الخليج، ولكن من المحيط إلى المحيط.. فلا دستور ولا قوانين رقابة أو ميزان كلمة أو لجنة استماع تتحكم في هذه الوسائل والفنون التي تُطرح فيها.

ويفقد كثير من النجوم عروشهم أمام الطوفان، ليصبح أبو الليف حاليا هو المطرب الأول في مصر، وربما في العالم العربي، فأغنيته تناقلها الشباب عبر الفيس بوك، وخلقت بالتأكيد لديهم حالة إعجاب جعلتهم يرددونها.

ومن السهل أن نرمي هؤلاء الشباب بتهمة سوء الذوق والتقدير، ولكن نفس هؤلاء الشباب هم من يؤازرون على الفيس بوك مطربا آخر اسمه مأمون المليجي، وهو ملحن ومطرب وكاتب لكلمات أغنيات جميلة على خلاف أبو الليف، إذا، فعيونّ الشباب وآذانهم مفتوحة لمختلف النوعيات لأغنيات بانجو، وأخرى من نوع آخر.

ولكن في النهاية أذواقهم مرهونة بحالة الحرية التي يتيحها الفيس بوك واليوتيوب الذي يعرفون أنه لا سلطان لأحد عليه، لا لجان ولا قوانين رقابة ولا سلطة دولة أو رأسمال.

إذن، أبو الليف هو عنوان الديمقراطية بالنسبة لمن انتخبوه، ومن الفن يأتي كثير من الإرهاصات في الحياة.. والله أعلم.

جريدة اليوم السابع - مارس ٢٠١٠

لا احد يرفع شعار إذا بليتم فاستتروا

عجباً على بلاد تدور فيها المعارك وتتضخم ثم تنفجر بلا حياء ولا يتوقف أحد أمام أصل المعارك، وبتعبير آخر أمّ المعارك.. وأمّ المعارك الآن تدور في صحف مصر ولبنان والإنترنت بين العمْرين، عمرو دياب المطرب الشهير وعمرو عفيفي رجل الإعلان والإعلام القوي، فبعد فترة من العسل بينهما أتى البصل بكل رائحته النفاذة الكريهة.

عمرو دياب أشهر اسم في عالم الطرب الذي استطاع البقاء نجماً لمدة تزيد على ربع القرن، حتى لو اختلفنا في تقييمنا حول فنه يظل بقاؤه على القمة طوال هذه الفترة تأكيدا لقبول جمهور وذكاء يحسب له.

أما عمرو عفيفي فهو نجم أيضاً ولكن في عالم الإعلان، بزغ نجمه منذ فترة، والإعلان الآن يحرك الإعلام والفن، فالقيمة المضافة للاثنين تأتي من أسماء الشركات والمعلنين المقبلين على اسم النجمة أو النجم، فكلما استطاع هذا، أو تلك، اجتذاب معلنين على برامجه أو مسلسلاته أو أفلامه أو أغانيه صارت له السطوة والنجومية، وبغض النظر عن تقييمنا لهذا المعيار الذي أفسد المجالين، فإن واقع الحال هو كذلك ولست هنا في مجال تقييم هذه المعضلة.

المهم أن النجمين جمعتهما المصلحة فكل منهما كان في احتياج للآخر، وكما سبق أن ذكرت عاشا في شهور العسل أو سنينه. ولكن فجأة تقاطعت المصالح، شيء عادي جداً يحدث في كل العلاقات التجارية أو الفنية أو حتى الزوجية.. فمن ذا يهتم بعلاقة نجم بشركة إنتاج وإعلان؟ فقط المتخصصون في المهنة أو حتى المنافسين.

ولكن خلاف عمرو دياب وعفيفي تحول إلى اهتمام جماهيري عبر الإنترنت والصحافة وحتي هذا لم يكن ليدفعني للتوقف أمامه.. فكم من خلافات سياسية أو فنية أو غيرها لا قيمة لها وتأخذ حيزاً من الاهتمام الجماهيري والإعلامي وهي غير مستحقة مثل خلاف شوبير ومرتضى.

موقع اهتمامي هو حالة البجاحة التي تغلف خلافاتنا الآن في المجتمع المصري حتى أصبح المنطق السليم للأشياء مقلوباً. السيد عمرو عفيفي خرج على الناس بعد خلافه مع عمرو دياب يقول إنه كان يدفع ثمن جوائز النجم من جيبه الخاص، وأبرز ما يؤكد مزاعمه من فواتير تحصيل بنكية، وراح يكيل له الاتهامات والفضائح فخرجت جماهير غفيرة من كل صوب وحدب تدافع عن نجمها المحبب وأصابع عمرو دياب تدير المعركة وتكيل الاتهامات لعمرو عفيفي.

وفي خضم كل ذلك نسي المتعاركون أنها معركة تدين المتهم والشاكي معاً، أنا بالتأكيد، حتى لا يساء فهمي، أقولها واضحة، أنا لا أدافع عن عمرو دياب.. ولكني متعجبة، فالسيد عمرو عفيفي يعلن أنه دفع رشوة لكي يعطي عمرو دياب الميوزيك أوورد العربية، جائزة كانت ومازالت محترمة حتى الآن في العالم ولكنها منذ أن أضيفت إليها عبارة «عربية» صارت جائزة مشبوهة سيئة السمعة. لم نصم كل شيء يوضع في أيدينا وكأننا طاعون منتشر؟ لم أفسدنا جائزة كانت محترمة تقيم المطربين حسب المبيعات والإقبال الجماهيري؟!

احترفنا التزوير في السياسة فصارت كل استفتاءاتنا ودراساتنا وآرائنا وحتي جوائزنا مزورة.

والشيء بالشيء يذكر فهناك أيضا فضيحة جائزة البوكر العربية في الأدب والتي انفجرت مؤخراً تؤكد مزاعمي، فجائزة البوكر إنجليزية الأصل من أكثر الجوائز الأدبية قيمة في العالم، كل دول العالم الثالث دخلت فيها متنافسة مثل سيريلانكا ودول أمريكا اللاتينية وغيرها ولم تحدث فيها ولو لمرة واحدة فضيحة، إلا حين أضيفت إليها كلمة عربية منذ ثلاثة أعوام فقط ظهرت النسخة الأولى منها محترمة بلا مشاكل حين فاز بها بهاء طاهر، ولكن في عامها الثاني لم تستطع أن تصمد إلا قليلاً، ثم أخيراً أتى العام الثالث

فانتشرت الفضائح على الشرفات، خرج من يقول إن الرواية السعودية «ترمي بشرر» فازت لأن الكويت كانت تترأس لجنة التحكيم وأرادت أن تجامل السعودية، وأن الرواية لا تستحق حتى الطباعة وأشياء من هذا القبيل، المهم فضيحة.. فما أسعدنا بها.

وعودة إلى الميوزيك أوورد العربية ،التي انتشرت فضائحها أيضاً منذ سنوات حين خرج الجاسمي يؤكد أنه رفض الدفع، وغيره من نجوم الطرب فضحوا الدنيا. إذن نحن مدمنو تزوير وفضائح خلاص عرفنا، ولكن أن نصل إلى حالة البجاحة حين يعترف المنتج والمشارك في الرشوة بأنه دفع لينال نجمه البركة ثم يتصور أنه بذلك يفضحه دون نفسه، هذه هي أخلاق البجاحة أما أن ترد جماهير عمرو دياب أو عمرو نفسه بأنه المستحق الوحيد للجائزة لأنه الأهم فهو تأكيد لغباء وبجاحة أكبر، فيا جماهير عمرو دياب أينما كنتم ويا دياب: هل نتقاتل ونتفاخر بالسرقة والتزوير؟.

ألم يسمع العنزان بعبارة تقول «إذا بليتم فاستتروا»؟! يبدو أنهما لم يسمعا بها أو أننا أصبحنا في زمن تقطيع الهدوم حتى لو كانت ستكشف عوراتنا، الجنازة حارة والميت الميوزيك أوورد والكلاب تعوي.

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

الوزير والخفير في زمن البجاحة

«حين يزيد الأمر على حده ينقلب إلى ضده» حكمة جميعنا يعرفها، ويرددها، ويستعين بها حين الحاجة، رغم أننا قلما نفهمها ونعمل بها بل على العكس، أزعم أننا في مصر نعمل عكسها تماما كبيرنا وصغيرنا، الوزير والخفير والمشهور والمغمور.

كل هؤلاء يبدأون أي شيء يؤثر في الآخرين ويزيدون الأمر على حده، وعجبا أنهم لا يرونه ينقلب لضده، بل على العكس يتمادون حتى البجاحة دون توقف، فهل أكون متجاوزة إذا قلت إننا نحيا في زمان ومكان أكثر ما يميزه هو البجاحة.

واسمحوا لي أن أسوق عدة أمثلة من ظواهر في حياتنا علها تؤكد ما أقوله وأحكي عنه.

مسئول حكومي يخرج علينا بقرار يجد معارضة شديدة محترمة، بمعنى آخر، معارضة مبنية على أسباب وجيهة. ولكنه رغم ذلك يستمر في التشبث به، بل يزيد ذلك بمجموعة قرارات مشابهة ويزيد ويزيد وكأن لسان حاله يقول: مش عاجبكم القرار الأولاني طب والله لأوريكم...!! ويتحفنا بثانٍ وثالث إلى آخره ولا يرى فيما يفعل إنه انقلب إلى الضد، وصار مثالا لحالة من البجاحة.

لا أدعي أنني أفهم في الاقتصاد أو دنيا البنوك والديون وغيرها، ولذا لا قبل لي بتقييم قصص رجال الأعمال الهاربين أو العائدين اقتصاديا.. ولكنني فقط أستطيع تقييم الأمر اجتماعيا وإعلاميا.. يبدأ الإعلام بالبحث عن الهاربين لظهورهم كسبق إعلامي وطرح لقضية، كما حدث مع أشرف السعد أو رامي لكح أو الهواري أو عشرات غيرهم،

ويزيدون ويزيدون حتى يتحول الأمر إلى سرك يتم نصبه كما حدث مع رامي لكح، الذي عاد كأنه صاحب انتصار مكلل بالغار.. استقبلته الجماهير على أبواب روما، عفوا أقصد القاهرة، وتاه الناس بين رجال البنوك والهاربين.. من يصدقون؟ حتى تحول الأمر إلى أن هؤلاء الهاربين ضحايا كما في فيلم «الهارب»، يعيشون في الخارج يبحثون عن الجاني الذي ورطهم.. رامي لكح دون خوض في تفاصيل اقتصادية بنكية معقدة وغيره، هربوا لأنهم أخذوا فلوس البنوك وعاشوا بها وتركوا صغار المقترضين يدخلون السجن.

زادوا وزادوا وحين انقلبوا للضد لم يجدوا من يرد لأننا في زمن البجاحة!!

تكريم الفن والفنانين عمل يستحق الإشادة به إذا قدموا ما يستحق التكريم.. عمل له قيمة باقية أو تميز فني أو عالمي، أو مسيرة حياة تستحق التقدير، تلك هي معايير التكريم ليس فقط للفن ولكن لأي مجال من المجالات.. وقد بدأ أمر تكريم الفنانين بالمهرجانات الفنية والمجلات المتخصصة ثم انتقلت الظاهرة، التي كانت صحية إلى جهات أخرى، ليس لها علاقة بتقييم الفن أو الفنانين مثل نوادي الليونز والإنرهويل والصفوة التي بدأت تعتبر تكريم الفنانين ضمانا لنشر صورهم في الصحف حتى تحول الأمر إلى مهزلة خاصة بعد رمضان، حين يتم تكريم المسلسلات ويتم الاحتفاء بالسيئ قبل الحسن، حتى انقلبت معايير التقييم وتاهت بوصلة النجوم وصناع الدراما أو الأفلام فيما يقدمون، فانقلب الأمر إلى ضده ولكن هل من أحد وقف يسأل ماذا أنت فاعلون؟ على العكس صرنا في حالة بجاحة اجتماعية وفنية.

وانتقلت العدوى إلى مدارسنا وجامعاتنا الخاصة والحكومية التي راحت هي الأخرى تكرم الفنانين من أجل أن يضحك المسئولون علشان تطلع الصورة حلوة. محراب العلم تحول إلى مكان احتفاء بالفن الرديء في أغلبه. ومن هؤلاء لهؤلاء لآخرين حتى في بعض الكنائس وبرامج الرياضة والسياسة، وتاه الفن والفنانون من كثرة التكريمات حتى صدقوا أنهم يقدمون ما يستحق التكريم، وإن تكلم أحد خرجت دروع الجمعيات والجامعات والمدارس والكنائس والبرامج تحمي صدورهم. إنها البجاحة حين يزيد الأمر على حده ولكن لا أحد يعترف.

من منكم لم يعد معتادا على شوارع غزتها الزبالة والتراب، والزبالون في الشوارع

يجوبون الطرق بزيهم الرسمي يتسولون بعدة الشغل، هل يتوقف أحد؟ هل يتذكر أحد كيف بدأ الأمر؟ أنا أتذكر مجرد شخص يجمع القمامة، يقف يعمل، فنزل أحدهم من سيارته وأعطاه في يده شيئا ربما يكون مالا كصدقة أو نذر، وشيئاً فشيئاً زاد الأمر وتحول إلى أن أصبحت مهنة جمع القمامة هي التسول، وتحولت شوارعنا إلى مقلب كبير للقمامة وزاد وزاد ولا أحد يقول شيئا لمتسول في ملابس جامعي القمامة أو المسئول لأننا في زمن البجاحة.. فهل من أمثلة أقوى من أحمد عز رجل الحديد الهمام ويوسف بطرس غالي والي الجباية.

وعود على بدء، في مصر البجاحة صارت نهجا ومنهجا يتساوى فيها الفقير والغني والوزير مع الخفير والمثقف مع الجاهل.. فكلنا في البجاحة نسبح ثم نغرق فكيف الخلاص؟!

جريدة اليوم السابع – أبريل ٢٠١٠

الجنة لهم والنار لنا

كتب أحد النقاد الأمريكيين في مجلة «فرايتي» الشهيرة إن أغلب من يذهبون إلى السينما يبحثون عن الفرار المريح من مشكلاتهم، والغالبية يكرهون من يذكرهم بأخطائهم.. لذا فالجماهير في أمريكا لن يسعدهم مشاهدة فيلم «جرين زوون - green zone» حتى لو كان فيلما جيدا.

انتهى كلام ناقد أمريكي عن فيلم حرين زوون الذي يعرض حاليا في أمريكا ومصر، وهو مأخوذ عن رواية لراجيف شاندراسيكران مراسل جريدة الواشنطن بوست الشهيرة في العراق إبان حرب الخليج، وقام ببطولة الفيلم مات ديمون، وجريج كنير، وإيمي ريان، وإيجال ناعور، أما المخرج فهو بول جرين جراسى.

وأما الناقد الذي كتب الكلمات التي بدأت بها حديثنا، فله كل الحق بشكل عام، فيما قال، فمن يحب أن يذكره أحد بأخطائه وخطاياه. وإن كان جرين زوون يذكر أمريكا بأخطائها فهو للأسف أيضا يصفعنا آلاف الصفعات ويصرخ بأخطائنا كعرب أولا ومصريين ثانيا.

ولنبدأ بخطايا أمريكا التي يحكي عنها الفيلم، فهو يخط بداية قصة الغزو الأمريكي للعراق ووصول القوات الأمريكية مدعومة برجال المخابرات ورجال السياسة، ويصور الفيلم حالة الفوضى العارمة التي حدثت في العراق، وعملية البحث الدءوب من القوات الخاصة عن أماكن أسلحة الدمار الشامل، وبالتحديد من خلال فرقة يقودها مات ديمون، ولكن كلما تذهب إلى مكان حددته المخابرات كبؤرة سلاح دمار تكتشف

السراب فلا شيء فيه.

وتتوالى الأحداث لتصل بنا كجمهور وأبطال الفيلم في الوقت ذاته إلى الخدعة التي تعرض لها الجميع.. لا وجود لأسلحة الدمار الشامل في العراق، وأن القيادة الأمريكية ممثلة في أسماء بعينها خدعت الجميع بمن فيهم الجيش الأمريكي بهذه الحجة لغزو العراق، وأن المسألة لا تعدو أن تكون إلا مصالح أشخاص دفعت أمة إلى الهاوية والفوضى.

إذن أمريكا تدين نفسها في هذا الفيلم، والأهم أن إدانتها بشكل فني وبصري وعقلي رائع، وحين يدين الإنسان نفسه يتخلص من خطاياه بالاعتراف، وهل من اعتراف أكبر وأعلى صوتا من أفلام السينما!! السينما الأمريكية من خلال فيلم «المنطقة الخضراء» أو «جرين زوون» وأفلام أخرى تنقي أخطاءها وتُخرج ما في جعبتها من خطايا، فكأن السينما الأمريكية نيابة عن أمة بأسرها تقوم بالاعتراف والخلاص للشعب.

وعودة إلى حديث الناقد الأمريكي في مجلة «فرايتي» فلا أظن أن فيلم «المنطقة الخضراء» أو ما على شاكلته يمثل أزمة للمشاهد الأمريكي لأنه يذكره بخطاياه، بقدر ما يمثل مصدرا للراحة لأنه وجد من يعترف نيابة عنه بالخطأ.

ولكن بحسب منطق ذاك الناقد فإن مثل هذه الأفلام يجب أن تدمي قلوبنا نحن العرب والمصريين، ليس فقط لأنها تذكرنا بعجزنا وهواننا على الناس، ولكن الأهم أنها تؤكد خيبتنا الثقيلة فنيا وفكريا.. فلا نحن نستفيد من انتصاراتنا ولا هزائمنا.. لم نستطع أن نقدم مثلا فيلما واحدا عن انتصار أكتوبر الذي تُدرسه كل معاهد تعليم فنون الحرب حتى الآن، قدمنا أفلاما مثل «بدور» و«الرصاصة لا تزال في جيبي» و«أختي».. «وكسة فنية» وحتي إنسانية فيما يشبه أغانينا الوطنية التي تقام في المناسبات وتموت قبل ولادتها.. مجرد سبوبة لصناعها.. هذا في حالة الانتصار أما في الهزيمة فحدث ولا حرج.. ماذا فعلنا بهزيمة ٦٧ في السينما؟ قدمنا مجموعة أفلام لم تخرج عن نفس شكل «أختي» و«بدور» ويوم أن شمرنا سواعدنا قدمنا فيلم «العصفور» أو «عودة الابن الضال» أفلام رمزية لا تحمل وضوحا وصوتا يسمحان لآخرين غيرنا بفهمها.

وهل من مثل أسطع من أن فيلم «المشير والرئيس» يعاني من رفض الرقابة له منذ سنوات، خوفا من أن يتعرض من قريب أو بعيد للمؤسسة العسكرية في زمن مضى ولم

يتم الإفراج عنه إلا بحكم محكمة، ورغم أني لم أقرأ السيناريو ولم يتم بعد تنفيذ الفيلم فإنني على ثقة بأنه سيأتي مثل غيره من الأفلام التي تتحدث عن هذه الفترة ليس لأني أضرب الودع، ولكن لأن صناع الفيلم، كاتب السيناريو ممدوح الليثي ومخرجه خالد يوسف في لقاءاتهما بعد الحكم ذهبا يدافعان عن الجيش وصورته وأن هذا الفيلم تحية إعزاز وليس نقدا لتلك المؤسسة على الأقل تاريخيا.

ومن العبث الحديث طبعا عن أفلام تتحدث عن حرب لبنان أو العراق أو إيران أو اليمن أو السودان. فإن لم نستطع أن نقدم ونتخطى خطايانا وهزائمنا وانتصاراتنا كمصريين نمتلك ناصية السينما أكثر من غيرنا في المنطقة. فكيف نفعل بقضايا عامة.

ودعوني أزيدكم من الخيبة حكايات مجرد أمثلة.. تركيا تصنع حاليا فيلما اسمه «وادي الذئاب. القدس» عن القضية الفلسطينية كما قدمت من قبل «وادي الذئاب.. العراق» والأفلام تحصد اهتماما عالميا على المستوى العالمي والمادي.. تربح تركيا من قضايانا كما ربحت بمسلسل «صرخة حجر» الذي باعته لقنواتنا بأموال وأجبرت إسرائيل على الاعتذار بسبب تهجمها على تركيا بعد هذا المسلسل.

إذن أمريكا وتركيا وآخرون يربحون أموالا ومكانة من خطاياهم وهزائمنا وأحزاننا، حتى أفراحنا، بينما نحن نكتفي بالمشاهدة ومصمصة الشفاة.

شاهِدوا المنطقة الخضراء ومصمصوا شفاهكم حتى نقوم بدورنا، فالجنة لهم والنار لنا.

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

شيزوفرينيا التكنولوجيا

أنا من بين هؤلاء الذين مازالوا يكتبون بالورقة والقلم، ويقرأون الصحف حتى تسوَد أيديهم، ويحملون أرقام الهواتف في نوتة صغيرة في حقائبهم.. وتلخيصاً أنا واحدة ممن يكاد الزمان أن يبتلعهم.. ولذا قررت منذ أسابيع أن أضيف إلى عاداتي البحث في عالم أرحب حتى لا يبتلعني الزمان أو بعبارة أدق ألا أكتفي بقراءة الصحف من جانب واحد وهو كُتّابها، ولكن أن أقرأها من خلال قرائها.

فالصحف التي تصدر في مصر أو أي بلد في العالم تعبر عن وجهة نظر من يكتبون فيها، وهم بالقطع يعبرون عن قطاعات كبيرة من الشعب لأنهم بعض منهم، ولكن ظلت المعادلة ناقصة إلى أن اكتملت الصورة أو الدائرة بظهور الصحف على الإنترنت، مما سمح بمعرفة رأي القارئ الذي يمثل نصف الدائرة الناقص حين تقرأ الصحف الورقية.

وكأن هم قراءة الصحف لم يكن يكفيني فأضفت هماً على هم حين تابعت ما يكتبه القراء على اختلاف الموضوعات المطروحة من سياسة إلى اقتصاد إلى فن أو ثقافة وحتى جريمة أو غيرها، هايد بارك مصري عربي.

لا أستطيع الزعم أني أملك مقياس حرارة دقيقا للمجتمع المصري، ولا أستطيع أن أؤكد أنني تعاملت مع كل المكتوب بحرفية باحثي الظواهر المجتمعية من تحليل مضمون وقياس الرأي، وغيره من الأساليب العلمية، ولكني تأملت عالماً رحباً فوجدته قد ضاق بمن فيه.

وجدت عدة ظواهر متكررة في كل ما هو مكتوب:

١- طالت ألسنة الشعب المصري كتابا وقراء، ولم نعد أصحاب اللسان الطيب الذي اعتدناه، لغة الخطاب تدنت فتساوت الرؤوس ما بين كاتب وقارئ، وحاكم ومحكوم، وميدان وشارع أو حارة، تدنت لغة الشارع فانساق الإعلام والصحافة إليها لينقلاها، فصارت سمة الجميع.

٢- ضاقت الصدور عند الاختلاف فصرنا جميعاً متطرفين دون استثناء، فمن كرة القدم إلى المعارضة السياسية أو الحكومة إلى الخلافات الدينية حتى عند الحديث عن الفن فهناك المتطرفون تجاه الفن النظيف وآخرون في اتجاه الفن الأبيح أو القبيح، كل فريق من هؤلاء صار كأنه جيتو أو مجتمع مغلق على أصحابه، كما هى حال اليهود في أي بلد عاشوا فيه.

٣- صرنا مجتمعا أصم لا يسمع فيه أحد الآخر، فكأننا بدلنا حالنا عما خلقنا الله الذي حبا الإنسان بأذنين ولسان واحد ليسمع أكثر مما يتكلم، فرحنا جميعاً نتكلم بل نصرخ ولا نسمع.

شوارعنا، مقاهينا، محالنا، إعلامنا.. كلها تشير إلى شعب أصم يتكلم ولا يسمع.

الحكومة تغلق أذنها عن سماع من يعارضها، وتكتفي برجالاتها وصحفها وأدواتها، فلو جلست لأي مسئول رسمي، وكم جلست إليهم، فستجده يحدثك دون أن يسمع أو حتى يعي قسمات التعجب على وجهك مما يتحدث فيه من أن كل شيء تمام.

أما المعارضة فهي على الطرف الآخر من الصمم العام لا تسمع إلا صوتها تلطم الخدود وتشق الجيوب، ولا ترى إلا السواد، وفيهم الفساد كما في الحكومة ولكنه مستتر، فالأزمة طالت الإنسان المصري والحكومة والمعارضة حتى النخاع!!

٤- الدين أو بتعبير أصح صار مظهر الدين من كلمات ولباس نتحدث عنه، كلمة دائماً بين قوسين كلما تحدثنا عن أي شيء، فقد تجد مقالا سياسيا ما منشورا وبدون مناسبة تجد كلمات محشورة فيه مثل «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» صدق الله العظيم، دون مناسبة ونجد أبوابا باسم متدين في دنيا الفن، أو كما في مجلة فنية تجد في باب الفن رسالة تستفتي المجلة شيخا من دار الفتوى حول مشهد في عمل فني، أي والله هذا يحدث، وفي المقابل تجد تعليقات القراء دون مناسبة تُدخل الله ورسوله والدين وأهله في كل تعليق حتى في

الطب والاقتصاد والفن.

وعجباً.. فعلى قدر ما تزيد المآذن في مصر ويصرخ الأقباط طلباً لزيادة الكنائس وتغطي النساء رؤوسهن ونودع بعضنا بلا إله إلا الله محمد رسول الله، ورغم كل هذا وأكثر فإن الأخلاق فاسدة والعمل أفسد.

٥- مازلنا نملك بعضاً من خفة الظل برغم كل ما فينا، والسخرية من الأشياء حين يضيق بنا المنطق عن الاستيعاب، فكم تضحكني كتابات وأكثر منها تعليقات، ولكنه أحياناً ضحك كالبكاء.

وليس فيما سطرت سابقاً كما سبق أن ذكرت استقصاء علمي أو دراسة قائمة على منهج بحثي، ولكنها مجرد انطباعات أو حتى مشاهدات، لحديثة عهد بالاتصال الإلكتروني الصحفي، وليس فيما كتبت إلا ما رأيت وقد يكون لا شيء فيه حق، لأنني مصرية فيها ربما من كل ما قلت جزء.. ربما!!

جريدة اليوم السابع - مايو ٢٠١٠

أيها العقلاء حاربوا بالسينما

من يقول ماذا؟ ومتى؟ ولمن؟ وبأي طريقة؟ تلك كانت القاعدة التي حفظناها عن الأساتذة الذين علمونا أبجديات الإعلام في جامعة القاهرة يوم أن اخترنا الصحافة مهنة ومستقبلا. تلك مقدمة قد لا تبدو مفهومة إلا إذا ربطتها ببقية الحكاية.. وأما الحكاية فهي قصة صراع سياسي وإنساني وجغرافي وحتى حربي تدور رحاها منذ أكثر من نصف قرن بين العرب وإسرائيل. وجرب العرب كثيرا من الأسلحة في حربهم فانهزموا في كثير منها وانتصروا في القليل، ومازالت الحرب قائمة والصراع دائرا. وسلاح واحد لم يقرب منه العرب رغم أنه الأقوى والأكثر فاعلية في ظل غياب أسلحة أخرى لا يملكونها.. الفن بكل أشكاله وخاصة السينما.. وربُ قائل بأن حديثي ما هو إلا هذيان أو تمسك بتوافه الأمور في ظل حديث جد خطير وهو الصراع العربي الإسرائيلي، ولكن دعوني أسوق أسبابي ربما أجد لقضيتي أنصارا حتى لو على الورق.

قبل أن تتحرك جيوش أمريكا وحشودها العسكرية وآلتها الحربية لأي بقعة من بقاع الأرض انتشرت موسيقاها وأفلامها وموضة ملابسها الجينز، واحتل الهامبورجر والكتاكي مطاعم العالم ثم بدأت الغزو العسكري.. أي أن الدولة الأقوى في العالم عسكريا استعانت بآلة الفن والموضة قبل أن تستعين بالدبابة والبندقية. فما بال العرب الذين لا يملكون الدبابة والبندقية لا يستعينون بالفن والموضة التي يستطيعون امتلاكها؟!

للأسف تقف تهمة التطبيع حجر عثرة أمام أي شخص يتحدث في هذا الأمر، سواء

كان الحديث عن إسرائيل أم حتى عن الغرب بشكل عام. فينتهي بنا الأمر دائما إلى أن فنوننا وموسيقانا وثقافتنا تتحدث مع نفسها ولا تخرج أبعد من ذلك.

أفلامنا لا تخاطب أحدا إلا جمهورنا بل حتى بعض الجمهور، وموسيقانا لا تطرب أحدا إلا بعض الآذان، وطعامنا لا يعرف إلا بالكاد أفواهنا. بل أكثر من هذا إذا وجدنا فنانا ما يحاول أن ينطلق بموسيقاه لأي مكان خارج الحدود اتهمناه بأنه حالم بالسراب، وإذا وجدنا سينمائيا يسعى للوصول بأفلامه للاشتراك في مهرجانات عالمية أو إنتاج مشترك اتهمناه بالعمالة للغرب، وإذا حاول فنان أن يشارك في احتفالية ندًّا لإسرائيل قلنا عنه «مطبع» وذبحناه كما حدث مع يسري نصرالله منذ شهور.

في نيويورك تُعرض حاليا مسرحية على أحد مسارح حي منهاتن اسمها «فلسطين» تعرضها نجلاء إدوارد سعيد ابنة الفلسطيني الراحل، وهي من الجيل الثاني أو حتى الثالث للفلسطينيين في المنفى ولا تتحدث إلا الإنجليزية ولكنها تتمسك بجذورها، فهل احتفى بها أحد وهي تتحدث عن فلسطين فنيًّا في عقر دار العدو؟.

إسكندر قبطي مخرج عربي يحمل الجنسية الإسرائيلية مكرها، فيلمه «عجمي» مثل إسرائيل في مسابقة الأوسكار الأخيرة، شاهدته على قناة BBC العربية يقول؛ إنه لا يمثل إسرائيل رغم أن شريكه في الإخراج إسرائيلي، ولكنه لم يجد سبيلا لصناعة فيلم إلا بأموال إسرائيلية، فهل نجرؤ على عرض فيلمه ومساندته لأنه مخرج شجاع وقف أمام كاميرات العالم في أهم حدث فني عالمي ليهاجم الدولة العنصرية التي دعمته؟! فإذا كنا لا نستطيع أن نقدم أفلاما تنافس على الأوسكار كما تفعل إسرائيل منذ ١٩٦٤، فهل، على الأقل، نستطيع أيضا أن نساند هؤلاء الذين يجاهدون نيابة عنا؟

- كل أموال العرب مليارات المليارات التي تستثمر في الفن، تنفق على مطربي الكليبات العرايا، ويا ليت عريهم يفيد. كل مليارات شيوخ النفط تنفق في غرف نومهم وللأسف حتى رجال الأعمال في مصر حين ينفقون على الفن والثقافة فإنفاقهم مرتبط بمتعتهم الشخصية أو البرستيج ولن أعطي أمثلة على المتعة الشخصية ولكني سأكتفي بالحديث عن البرستيج كما يحدث في دعم مهرجان القاهرة السينمائي مثلا. أما في مجال الحديث عن أصحاب اللحى الذين يمثلون الإسلام المرتبط بالشرق فحدث ولا حرج، فضائياتهم

ينفقون عليها أيضا المليارات ولكن حديثنا كحديث الطرشان، جمهورها المستهدف هو جمهور بالفعل مسلم أو على الأقل مرتبط بالإسلام، ينفّر من هم بالفعل على دينهم ولا يزيد منهم بل في أنجح الأحوال ينقصهم.

منذ عام تقريبا كنت عضواً في لجنة تحكيم المهرجان القومي للسينما، ومن بين الأفلام القصيرة والتسجيلية المعروضة في المهرجان كان هناك فيلم عن لقاء شباب مصري وإسرائيلي في مهرجان سينمائي وتحاورهم سويا، وكنت بشكل شخصي أرى أن فكرة الفيلم جيدة وشجاعة ولكني قوبلت بسيل من الهجوم من أغلب أعضاء لجنة التحكيم الذين اعتبروا الفيلم دعوة للتطبيع، ودار حديث مطول حول الأمر لن أطيل عليكم في نقله.. ولكن انتهي بي الحال وأنا المقاتلة إلى أن أنزوي في ركن بعيد هادئ لأني متهمة بالدفاع عن فن التطبيع.. تهمة كفيلة بإخراجي من رحمة العباد لا الخالق.

فلكل هؤلاء الذين يتحدثون بلغة بالروح والدم نفديك يا وطن، أو دين.. لكل هؤلاء طوق نجاتكم في السينما والموسيقى والفن ولكنها بالتأكيد ليست سيما الترسو ولا موسيقى الملاهي الليلية ولا فن العوالم، فهل هناك من مجيب؟

وعودة إلى البداية، القاعدة التي تقول من يقول ماذا.. أجيب.. أنا مصرية قومية موحدة بالله أقول قولي لأناس علّهم يعقلون ويتدبرون فيفعلون...

جريدة اليوم السابع - أبريل ٢٠١٠

أحلى من الشرف مافيش بين القاهرة وبيروت

ما أسهل أن تسير في الركب، وتنافق العامة، وتمشي مع الجماعة، وتغني بالنغمة التي تلقى قبولا ويحفظها الصغير والكبير.. وما أصعب أن تستفز العقول وتبحث عن أغنية ونغمة غير مألوفة ولكنها صحيحة وتتحدث بالعقل الذي منحنا الله إياه حين يغيب أمام ضغط الجماعة والمألوف والعيب واللاأخلاق.

مقدمة ليس فيها من الفلسفة شيء ولكنها ضرورية بل في صلب موضوعين أثارا صخبا طوال الأسبوع الماضي، أولهما حدث في قرية من قرى لبنان، بلد أشجار الصنوبر والأرز، الذي يعتبره العرب كل العرب قِبْلة التحرر والجمال، بل في أغلب الأحيان الانفلات الأخلاقي والفني. في هذا البلد الذي يعتبره المصريون والعرب بلد المقررات السهلة حدثت جريمتان وحشيتان، الأولى كما تقول مصادر الأخبار مقتل أسرة من أربعة أفراد على يد شاب، ثم تلتها الجريمة الثانية وهي انتزاع المتهم الذي لم تثبت الجريمة عليه بعد من يد رجال البوليس وقتله ضربا، ثم التمثيل بجثته، وربما يظن البعض أني أغفلت ذكر جنسية الجناة في الجريمتين، ولكني لم أشر إليهما لأن الأمر ليس له علاقة بهوية القتلة، فالأمر لا يخص لبنان ومصر بقدر ما يخص البشر، بغض النظر عن جنسيتهم السياسية.

إذن، في لبنان الجماعة قتلت رجلا ومثّلت بجثته وعلقتها على عامود الإنارة كما في العصور البربرية، ولكن باسم الشرف والأخلاق والعرف والتقاليد. البوليس لم يستطع أن يوقف طوفان الجماعة، بل لعله وهو الذي يحفظ النظام رأى فيما أرادت الجماعة جزءا من إرادته، فرجال الشرطة يسيرون أيضا في جماعات، وحين يكون الحديث عن الشرف

تضعف إرادة الأفراد أمام ضغط الجماعة، ومن العجيب أنه مهما كانت هذه الجماعة تتكون من أفراد لا يمتون للشرف والأخلاق من بعيد أو قريب لكنهم حين يجتمعون في قطيع ينسون كل خطاياهم ويتحولون إلى أنبياء يبشرون بالجنة ويلوحون بالنار، وتصير كل أثوابهم نقية وكأن الثلج قد غسلها، إذن الاحتكام إلى القطيع ليس دائما في الغالب هو الصواب، ولكنه الأسهل، والأضمن في الاختيارات وفي خداع الرأي العام.

وفي نفس الأسبوع، ولكن في القاهرة عاصمة المعز وهوليوود الشرق، دارت حادثة أخرى، مع الفارق الكبير بينها وبين الجريمة اللبنانية وبشاعتها، ولكنهما يتشابهان في الأسباب أو الدوافع باسم الأخلاق والأعراف وسيرا وراء القطيع ولعبا في المضمون.. يصدر منير الوسيمي نقيب الموسيقيين قرارا بمنع سير إلتون جون المطرب العالمي الإنجليزي الأصل، من الغناء في مصر.. قال إيه لأن الرجل شاذ يعلن عن شذوذه، وقد هاجم في تصريح له الحملة على الشواذ وقال إن المسيح كان بهم رحيما.. وأقوالا في هذا السياق.

ومن المثير أن الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان معقل الدفاع عن المسيح والمسيحيين قد ردت وقتها بأن هذه تصريحات خرقاء لن تطلب حتى الاعتذار عنها.

سير إلتون جون أحد أقدر وأفضل مطربي العالم وأكثرهم موهبة، نقيب الموسيقيين المصري يمنعه من الغناء في هوليوود الشرق لأنه مثلي، عجبا أليس هناك كثير من النفاق الاجتماعي والسير مع القطيع واللعب على المضمون فيما فعله نقيب الموسيقيين؟! هذا النقيب ذاته هو من منح بيانسيه وآكون وشاكيرا وغيرهم من مطربي الخلاعة كما يراهم البعض.. أليس هو الرجل الذي يمنح التصاريح لعشرات من مطربات السرايز؟ والأهم وفصل الخطاب: كم من مطربات أو مطربين شواذ أو منحرفين أعطاهم الرجل ألحانه أو عزف خلفهم، وأنا أعرف منهم أسماء ولكني لست في مضمار معايرة أو رصد فضائح.

نقيب الموسيقيين المصري لا يرتدي ثوبا غسله الثلج والبرد، ولكنه في خضم خوضه لمعركته الانتخابية آثر أن يكون من القطيع أو أن يكون على رأس القطيع وغازل الأخلاق وتدثر بها وهو ليس بكاهن.

الشذوذ الجنسي آفة ابتليت بها البشرية منذ قوم لوط، وحذرنا منها الله سبحانه

وتعالى، هذا في كتب الدين وكلام الأخلاق، ومعيار حين نفتش في نسب أو زواج، ولكنه بالتأكيد ليس ضمن مسوغات الغناء أو الرقص أو غيره من الفنون، وإلا فسيضطر الوسيمي وغيره من نقباء المهن الفنية وحتى غير الفنية إلى شطب كثير من الأسماء من بين أعضائها.

خلط الأوراق واللعب على مشاعر الأخلاق والمحافظة وضمان أصوات القطيع في انتخابات جعل نقيب الموسيقيين يفعل ما فعل، ويتساوى في ذلك مع سادة طالبان الذين كسّروا تماثيل أفغانستان بحجة أن الإسلام منع الاحتفاظ بالتماثيل تشبيها لها بالأوثان، وكما فعل القطيع في لبنان بقتل القاتل قبل محاكمته والتمثيل بجثته لأن الدين يقول من قتل يُقتل. ثلاث جرائم تتفاوت درجاتها ولكنها جميعا تتدثر بالأخلاق أو الدين أو التقاليد والأعراف وبصيحة قطيع لو قلنا عنه «أغنام» لقطعوا ألسنتنا.

ولكن عفوا لن أسير في الركب ولن أمشي مع القطيع ولن أغني نغمة تلقى قبولا ويحفظها الصغير والكبير وليكن الطريق الصعب ضد بارونات القطيع والعازفين على المضمون، وأحلى من الشرف ما فيش.

جريدة اليوم السابع – مايو ٢٠١٠

شعار المثقفين .. لا تعايرني ولا اعايرك

تاريخ المعارك بين المثقفين طويل يحمل معارك بعضها فكرية، مثل تلك التي خاضها طه حسين حول كتابه الشعر الجاهلي، أو حتى لأسباب شخصية أو نفسية كتلك المعركة التي دارت بين اثنين من كبار كتابنا حين راح أحدهما يعاير الآخر بأمه، قائلاً «يا ابن من لو أغلقت ساقيها لُمت جوعا!».. مجرد مقدمة مقصدي بها أن معارك المثقفين منذ زمن أرسطو أو ما قبله تحمل دائماً أنواعاً مختلفة من السباب، وتصل إلى مدى كبير حتى في زمن الأدب، وكما قرأتم كيف وصف الأديب الكبير أم الأديب الآخر، فبدلاً من أن يقول له «يا ابن العاهرة» قال له ما قال، وبأسلوب رشيق رغم فجاجة المعنى.

كانوا وسيظل لمثقفون دائماً يتناطحون ويختلفون، لكن أتى عليهم زمن جديد، وهو الذي نعيشه الآن، فلم يعد التبارز بالفكر ولا المعايرة حتى بالأم في أقصى الأحوال، ولكن مثقفي مصر الآن صارت معاركهم والسبة الموجهة من طرف لآخر منهم بأنك «بتاع الحكومة» أو «بتاع المعارضة».. د. جابر عصفور أحد أساتذة الثقافة الحقيقيين في مصر، رجل ذو قيمة ثقافية عربية ومصرية، أستاذ لأجيال، ود. علاء الأسواني كاتب استطاع أن يصل بمبيعات كتبه إلى درجات لم تعهدها الحياة الثقافية المصرية الحديثة، التي هجرت الكتاب إلى الصحيفة على أكثر تقدير والإنترنت على أغلبه.. استطاع أن يعيد للرواية شعبيتها حتى لو اختلف النقاد على قيمة رواياته واستطاع أيضاً أن يعيد إلى الرواية المصرية وجودها على أرفف المكتبات لأوربية والأمريكية، التي لا تعرف إلا نجيب محفوظ وآخرين على استحياء.

إذاً نحن أمام قامتين من قامات الثقافة وساداتها، ولكننا أيضاً أمام نموذج للخلاف الثقافي في هذا الزمان.. والقصة بدأت بمقال كتبه الأسواني عن تكريم فرنسي حصل عليه وملاحظاته عليها، فرد عليه د.عصفور بمقال ناقد لفكرة الاستعلاء بالغرب والإيحاء بأن الأسواني يوعز للصحافة الغربية أن رواياته تتعرض في نشرها للمضايقات، وهو ما نفاه د. عصفور، فرد عليه الأسواني بحوار يصفه فيه بأنه حامل أختام وزير الثقافة والمدافع عن النظام، ويرد د.عصفور بأن هذه لغة الردح الجديدة في الحياة، إذاً معارك المثقفين الآن واتهامهم لبعضهم البعض أفسدته الدولة والسلطة، فكأن العلاقة بالحكومة صارت عهراً تماماً كالمعارضة، وكل منهم يعاير الآخر بما هو عليه.

والحق أنه لا فرق بين حكومة ومعارضة، فالفساد جذوره تضرب الجناحين لا فرق بيه بين مثقف وآخر.. فإن قال الأديب في زمن مضى ما قاله في وصف العهر، فإني أود لو قلت لسادة الثقافة المعاصرين، الذين أحترمهم وأجلهم لثقافتهم «لا تتنابزوا بالألقاب».

ولتكن كلمتكم «لا تعايرني ولا أعايرك الهم طايلني وطايلك».

جريدة اليوم السابع - مايو ٢٠١٠

الجنازة حارة والميت إيه ده

في كل العالم إعلام وصحافة يهتمان بقضايا كبيرة وهموم عامة، وأيضاً أشياء صغيرة، وهموم قد تبدو تافهة لدى البعض، في كل العالم وبلاد الدنيا صحافة تكتب عن النجوم وفضائحهم وخلافاتهم وحكاياتهم وأشياء أخرى، ولكنهم تظل مختلفة عما يحدث في مصر المحروسة. وأخيراً في كل العالم وبلاد الدنيا هناك فاصل واضح ومعروف بين صحافة محترمة وصحافة التابلويد أو الفضائح والهبل.

ولكن في المحروسة كما يختلط ماء النهر العذب بماء البحر المالح، وكما يختلط القبح في شوارعنا وبيوتنا وملابسنا وأخلاقنا ببعض الجمال، يختلط إعلامنا صحافة وتليفزيونا بنفس المعايير وبصورة غير مسبوقة.

خلطة صنعناها تدفع المتابع لأي شيء في حياتنا، إما إلى اللخبطة، أو في النهاية، إلى الكفر بكل المعايير.

فعلي مدى أسابيع طالعتنا الصحافة بأخبار بدأت في صفحة الحوادث بتقديم هيفاء وهبي بلاغا ضد من تقول عنه إنه مدير أعمالها، بأنه باع أغانيها لمغنية أخرى مصنفة في نفس فئة هيفاء التي تغني ولا تطرب وهي المغنية رولا سعد.

خبر بالتأكيد يستحق أن تنقله الصحافة، فاسم هيفاء جاذب للأنظار، وقد يستدعي نقل هذا الخبر أن تحدث له متابعة ما. ولكن أن تتفرغ صحافة قومية وخاصة بصفحات مطولة عن خناقة على أغنية «إيه ده إيه ده» بين هيفاء ورولا فهذا عين العبث.

فحين تكون الجنازة حارة والميت «إيه ده إيه ده» لا تقل لي إن على المشيعين أن يكونوا

بالمئات من الأخبار والصفحات والحوارات في صحف رصينة وأخري من فئة «إيه ده إيه ده»!!

هذا التناول الإعلامي لخبر هيفاء يدل على أن المالح والحلو قد اختلطا في إعلامنا وصار عشوائياً.. فلا صحافة رصينة ولا أخرى راقصة، صرنا نستطيع التفريق بينهما.

ورغم أنني من كتيبة العاملين في هذه المهنة، فإنني في الأصل من قبل أن أمتهنها حتى وأنا بينهم، فأنا قارئة للصحافة ومشاهدة للإعلام المرئي أتأثر به وأتعاطاه..

وقد يتهمني أحد بأنني توقفت شخصياً عند أغنية «إيه ده إيه ده» وهيفاء، ولكنني ما توقفت أمام هذا الأمر إلا كعينة عشوائية من اختلاط الأمور في حياتنا.. ولتكن أغنية هيفاء المسروقة وخبرها الذي يتصدر صفحات الفن مجرد مثل لحالة خلط مزرية لها كثير من الأمثلة، كفتاة تغطي شعرها بحجاب وتعري مؤخرتها ببنطلون بوسط ساقط، أو محطة تليفزيونية قومية بفلوس الناس تتبارى في التفاهة، مثل قنوات بفلوس فرادى ربما حصلوا على ثرواتهم من غسيل الأموال.. مناطق راقية سعر المتر فيها بآلاف مؤلفة، ورغم هذا تحيطها عشش وبيوت من صفيح.

منحتنا الطبيعة التقاء البحر بالنهر على شواطئ منطقة رأس البر، فعز على المصريين الآن أن يكتفوا من الخلط في الطبيعة، فأضافوا إليها خليطاً خاصاً ربما يتصوره البعض مماثلاً للطبيعة، ولكنه في حقيقة الأمر تشويه للحياة، حتى إذا نظر إلينا غريب لن يجد إلا عبارة واحدة يقولها وهي «إيه ده.. إيه ده..»؟!

جريدة اليوم السابع - يونيه ٢٠١٠

قريبا الفن على رصيف مجلس الشعب

أظن أن بعضا أو حتى كثيرا من الناس في هذا البلد قد أصابهم اليأس من السياسة والاقتصاد المصري، بدليل أن برامج التوك شو الليلة قد فقدت كثيرا من جمهورها والمتابعين لها.

فقد اكتشفوا أن الأمر لا يعدو كونه صراخا يزيد من همومهم ولا شيء يتغير أو يتبدل، فالمعارضة تتكلم والخبراء يحللون وقيادات حقوق الإنسان تبكي وعشرات المئات من الضيوف لهذه البرامج يتكلمون كل ليلة بلا جديد. لم تعد هذه البرامج تثير الدهشة أو تجذب المشاهد الذي كان يرى فيها خلاصا وصوتا يعلو ويمثله أحيانا.

ولم تعد هذه البرامج إلا فرصة أو أملا وحلما لطالب معونة إنسانية بدليل العشرات الذين يقفون على أبواب ماسبيرو في انتظار محمود سعد فقط لعله ينطق أسماءهم ويحكي عن حاجاتهم للمال، فيتم منحه طلبه من مساعدات المشاهدين الباحثين عن مكان في الجنة التي وعد الله بها المتصدقين.

وبذلك فأخيرا لم تعد هذه البرامج إلا فرصة لطلب مساعدة مادية أو علاجية.. فتساوت مع برامج طارق علام أول من قدم هذه النوعية من برامج المعونة

وعود على بدء، يئس بعض الناس من السياسة والاقتصاد والرياضة عموما ولم يبق لهم إلا الفن من سينما وغناء ومسرح أحيانًا حتى لو كان في ذيل قائمة اهتماماتهم، وكنت كأحد المهتمين والعاملين في هذا المجال أرى أن قوة مصر الناعمة المتسللة إلى المنطقة

تكمن في هذه المرحلة التاريخية في الفن، فالسينما المصرية ونجومها ومطربوها ومسرحها مازالوا هم الزاد والزواد لدى كل عربي، حتى أهل العجم قد لا يعرفون عن المنطقة الكثير أو القليل ولكنهم يعرفون فقط معلومة أن مصر هي هوليوود الشرق ومصدر التنوع والبهجة في المنطقة.. فهل عزَّ على مصر أن تحافظ على آخر قلاعها الصامدة؟!

كنت لا أتمنى أن أكتب بنفس منطق برامج التوك شو الليلة التي خلقت تبلدًا ورفضًا لسماع أخبار نكد، ولكني للأسف مضطرة لذلك رغم أني أمتهن الكتابة عن البهجة... عن الفن.

نظرة على حال السينما في مصر تدعونا إلى الخوف والرعب، فالحالة الاقتصادية أثرت بشدة على الإنتاج السينمائي الذي أفسده المنتجون أنفسهم على مدى عقود، وما يحدث الآن من جدل بين النقابات الفنية من جهة مدعومة بمجلس الشعب، والمنتجين من جهة أخرى يدعونا إلى التساؤل: هل سيكون هذا هو المسمار الأخير في نعش السينما؟ النقابات تقول إن لديها فنانين فقراء تبحث لهم عن موارد للمعونة، مما دفعها للتفتيش في دفاتر القوانين القديمة فوجدت أنها تستطيع أن تحصل ضريبة ١٪ من منتجي الأعمال الفنية عند البيع، إضافة إلى ٢٪ التي تحصلها من كل شخص يعمل في أي عمل فني حتى لو لم يكن عضوا في النقابات الفنية.

ويأتي طلب النقابات الفنية في مرحلة يصرخ فيها المنتجون من ارتفاع أسعار الخامات والعمالة وعزوف الدول العربية عن شراء أفلامهم، وأخيرا عزوف الجمهور المصري حتى عن دعم الأفلام بالمشاهدة، وتحت الضغط يقرر المنتجون وصناع السينما وأصحاب دور العرض أنه إذا أصرت النقابات ومجلس الشعب على موقفهم فإنهم سيضربون ويغلقون دور العرض.. وربما يأتي قريبا يوم نرى فيه الفنانين يقفون على رصيف مجلس الشعب إلى جوار عمال المصانع... فالرصيف فيه مأوى لأصحاب أي اعتراض وشكوى.

ومن حال السينما الذي لا يسر عدوا أو حبيبا إلى حال المسرح، المسرح الحكومي والخاص... مسرح الحكومة يعاني من نصوص وعزوف نجوم عن العمل بملاليم الحكومة، أما المسرح الخاص فقد انطفأت أنواره بعد أن اختفى رواده من عرب أو فئات قادرة على دفع آلاف الجنيهات في سهرة واحدة.

ويقي جلال الشرقاوي وحيدا يريد أن يستمر ولكن الشمع الأحمر أغلق مسرحه وجلس الرجل وشباب الفنانين الذين يشاركونه العرض على الرصيف أيضا.

وإلى الغناء تصل بنا قاطرة الحديث حيث يجلس مطربونا على الرصيف أيضا بعد أن لفظتهم روتانا التي احتكرت الأسواق والأصوات ووضعتها في الثلاجة طويلا فصار نجومية الغناء للهجة الخليجية أو اللبنانية.. أجمل الأصوات المصرية تترنح كما أقبحها تماما ولم يعد لدينا من صوت مازالّ يحارب وحيدا إلا محمد منير.

وحدِّث ولا حرج عن سطوة الدراما التركية التي احتلت أعين المشاهدين في مصر ودراما أخرى خليجية وسورية تعلن عن نفسها على القنوات العربية للشهر الفضيل القادم، والتي كانت فيما مضى لا تتحدث إلا اللهجة المصرية. ما الذي حدث لفن مصر وأهله؟ هل أصابه ما أصاب السياسة والاقتصاد والرياضة؟ هل سنخفض آخر أسلحتنا في وجه الزمن والتاريخ.. أم سينفض القائمون على الفن في مصر الغبار عن أنفسهم ويفكرون في الخلاص ومعهم القائمون على هذه الدولة.. أم سيتركونهم على الرصيف مع أمثالهم من أصحاب قلة الحيلة؟ الفن المصري هو آخر قلاعنا سواء حللناه أو حرمناه.. سواء احترمناه أو ظننا أنه مجرد شغل عوالم.. أتمنى أن نفيق قبل أن نجد أنفسنا باكين مثل آخر ملوك الأندلس الذي وقف يبكي على مُلكه فقالت له أمه «ابك كالنساء على ملك لم تستطع أن تحميه كالرجال» وجلس بعدها على الرصيف.

جريدة اليوم السابع - يوليو ٢٠١٠

رقبة الرئيس

لا أدعي أني من بين هؤلاء الذين يشعرون بالولاء للحكومة كملايين غيري، ولا بالشفقة على المسئولين، ولا بحب الحزب الوطني برغم اسمه ولا أدين بفضل لعصر مبارك أو رجاله.

ولا أدعي أني من هؤلاء الذين يتبنون فكرة أن العيب ليس في المؤسسة الرئاسية، ولكن العيب فيما يحيطها، ولكني أعترف أني صحوت اليوم وبعد أن قرأت الصحف أحسست بالإشفاق لأول مرة على الرئيس المصري مبارك الذي طالب مجلس الشعب بالعدول عن مشروع القانون الخاص بتحصيل ١٪ من ثمن بيع الأعمال الفنية لصالح النقابات الفنية المهنية. هذا المشروع الذي تساننده النقابات ومجلس الشعب في مواجهة منتجي الأعمال الفنية السينمائية والتليفزيونية الذين هددوا بإغلاق دور العرض ووقف الإنتاج.

الرئيس طالب مجلس الشعب بعدم تمرير القانون لعدم دستوريته، وطالب المجلس بأن يتريث في المطالبة بمشاريع قوانين يثبت عدم دستوريتها لأنها تسن على عجل دون دراسة كافية.

شعرت بالفعل بعد قراءة هذا الخبر بالإشفاق الشديد على رجل يحكم بلداً يتطلب منه أن يجتمع بالمسئولين عن الزبالة، وأن ينبه مجلساً تشريعياً عن تجاوزاته الدستورية. شعرت بإشفاق على حاكم بلا غطاء تشريعي أو تنفيذي، فلا مجلس الشعب المنوط به معرفة وسن القوانين يعرف الفرق بين ما هو دستوري وما هو غير ذلك، ولا حكومة تنفيذية قادرة

على أن تيسّر أبسط احتياجات المواطن من أن يعيش في شوارع بلا ربالة

منذ سنوات ليست بكثيرة، كتب أحد رؤساء تحرير إحدى الصحف القومية أنه يشعر بالإشفاق على الرئيس من حكم الشعب يومها، كتبت عشرات الأقلام تهاجم الصحفي الذي وصل به التملق أنه مشفق على الحاكم من المحكومين، وصارت الحكاية نكتة صحفية وقفشة سياسية، ولكني لا أشفق على الحاكم من المحكومين، ولكني أشفق عليه ممن اختارهم ليشاركوه الحكم، ولعلي في ذلك أخرج من الاتهام بتملق السلطة بأقل قدر من الخسائر، وأتساءل ما هذا البلد الذي صار كل خطب فيه يبدأ من عند الرئيس وينتهي إليه؟ كل صاحب حق أو كل متصور حق يطلب اللجوء للرئيس؟ وكل تجمع يظهر أمام الشاشات من متضرري سيول إلى زلزال إلى غلاء إلى عشوائيات كلهم يمسكون برقبة الرئيس؟ ما هذا البلد الذي صار حتى مرضاه يحلمون بالشفاء على يد الرئيس، وكأننا خلعنا على الرجل رداء آلهة الإغريق القادرة على أن تضع عصاها على النحاس ليتحول إلى ذهب أو حكام الفراعنة الآلهة.

حسني مبارك مجرد رجل يأكل مما نأكل ويمشي أحيانا في الأسواق، ولا يملك عصا آلهة الإغريق ولا الفراعنة، فكيف به يحمل ما تحمله له حكومته الرشيدة بشقيها التشريعي والتنفيذي؟ ولذا أنا لن أشفق على الرئيس من الشعب ولكني أشفق عليه من حكومة ومسئولين اختارهم ليتبوأوا كراسي المسئولية إلى جواره، فما كان منهم إلا أن خذلوه دون استثناء، أما الشعب فلا عزاء له إلا الإمساك برقبة الرئيس وله الحق فهل من رقبة أخرى نمسك بها؟!

جريدة اليوم السابع - يوليو ٢٠١٠

سلام على الاستفتاءات

اعتاد المصريون منذ عقود على سماع كلمة استفتاء في المجال السياسي، كما اعتادوا أيضاً على أن يكون يوم الاستفتاء يوم إجازة رسمية حتى لو لم يعلن ذلك، لأن لا أحد فيهم يذهب إلى صناديق الاقتراع على الاستفتاء، سواء كان خاصاً بقانون أم تعديل دستوري أو انتخابات، ولكنهم يجدونها حجة قوية للتغيب عن العمل، وكما لا يهمهم أن يذهبوا للمشاركة في الاستفتاء لا أحد في الشارع عادة ما يتوقف أمام نتائج تلك الاستفتاءات، لأنهم يعرفون نتيجتها مسبقاً ٩٩٪، وبالتالي كفر أغلب المصريين بالاستفتاءات السياسية منذ زمن ولم تعد تهمهم، لأنهم يعرفون أنها مضروبة وتضاءلت أمام المصري القدرة على الاستفتاء، إلا في مجال واحد وهو الفني، فالاستفتاء على نجومية أحد أو حب الجماهير لعمل فني ما معاييره ثابتة يصعب تزويرها وتكون واضحة جلية من خلال إيرادات الأفلام أو المسارح وغيرها وكثير من المظاهر التي لا تخفى على أحد فبقي الفن المصري بأنواعه هو المجال الوحيد مع كل عيوبه الذي يصعب فيه تزوير إرادة المنتخب أو المستفتي.

ولكن يبدو أن البعض قد استكثر علينا هذه الميزة ورؤوس الأموال التي باتت تنفق، خاصة في مجال الإعلام والتليفزيون لا يرضيها أن تقبل الهزيمة.

وصار موسم رمضان وما بعده موسم ضرب الاستفتاءات وحتى شركات قياس المشاهدة والتي تعد في كل مكان في العالم صاحبة كلمة كالجنية الذهب صارت هي الأخرى تضرب قياسات المشاهدة على هواها وهوى أصحاب المحطات الفضائية

ومنتجي البرامج والمسلسلات

ونظرة سريعة على أي من الاستفتاءات، سواء التي أعلنتها الصحف أو المحطات الفضائية أو شركات قياس المشاهدة ستعرف معنى ما أقوله فالبرنامج الفلاني لفلان الفلاني هو البرنامج الأول في المشاهدة والأجدر بالتكريم، وتسأل نفسك ومن حولك ومن حولهم فيه حد يا جماعة شاف هذا البرنامج أو حتى سمع عنه كلمة حلوة أو وحشة، فلا تأتي إجابة ويقول الاستفتاء فينا يقول إن الست فلانة الفلانية هي أعظم مذيعة وأن المسلسل الفلاني هو الذي حصد الأصوات وأن الممثل الفلاني والمطرب الثاني هو أحق بالتكريمات والأصوات وتظل أنت كمتلق لهذه النتائج تسأل وتسأل كيف ومتى ولماذا، ولكن أسفاً لا تجد إجابة حتى إنك تكاد تشك في نفسك وفيمن حولك بأنكم جميعاً كاذبون وأن ما أخرجته نتائج الاستفتاء هو حق.

فإن كنت من بين هؤلاء مثلي فلا تحزن، لأن الحقيقة قد زوّرها الآخرون ولا تشك في نفسك أو في آخرين كثر قالوا لك رأيهم في الأعمال الفنية أو في المحطات الفضائية التي تطاردنا ليل نهار ببساطة، لأن التزوير صار سمة حتى الاستفتاءات الفنية.

لقد عز على أصحاب هذه الاستفتاءات دون استثناء أن يكتفي المصريون بالتزوير السياسي، فصار التزوير حتى في المجال الوحيد الذي كنا نتباهى بأنه ليس فيه واسطة أو وساطة، وسلم لي على الاستفتاءات.

جريدة اليوم السابع - أكتوبر ٢٠١٠

لعبة تحرق البلد

تواترت الأنباء حول معركة الأجور بين عمرو دياب وتامر حسني حتى صار الأمر يبدو كمزاد من يعلو على الآخر، ولست هنا في معرض الحديث عن حكايات عموره وتموره أو غيرهم من النجوم وأجورهم، فأجور الفنانين والنجوم يدفعها منتج من ماله الخاص ولا تمنحهم إياها الدولة من أموال دافعي الضرائب، إذ إن هذه الأجور هي نتيجة تعاقد خاص لا يجب أن تخضع لمراقبة الرأي العام ولا يجب أيضا أن تكون موضع انتقاد أو تهليل من قبل الصحافة.

ورغم ذلك، لا تخلو صحيفة من أبواب مثل بورصة النجوم أو اقتصاديات النجوم وحديث عن من يتقاضى كم حتى يبدو البعض حين يكتب في هذا الأمر يكتب بمنطق «جتنا نيلة في حظنا الهباب».

وقد تفاقمت هذه الظاهرة بشكل كبير ليس في الصحافة فحسب بل في المجتمع بأسره، ولم يقتصر الأمر على نجوم الفن وحدهم بل نجوم الكرة ونجوم الإعلام وغيرهم من المشاهير حتى صار حديث الأجور حديث الشارع في غير محله.

واستشرت الظاهرة ولا أقصد هنا ظاهرة الملايين ولكن ظاهرة الإعلان عن الملايين، وخاصة لدي أهل الفن، فبعد أن كانوا يخفون أجورهم في عقود خاصة عن الضرائب، صاروا يسرِّبون أخبارا مغلوطة عن أجورهم للصحافة كنوع من المباهاة وكيدا في الأعداء وتقييما وهميا كأن الملايين تمنحهم هيبة.

وحكاية عمرو وتامر أخيراً مثال صارخ على ما أوردته، ويتناسى الجميع في غمرة

حديث الملايين نجوما وصحافة، ما هي مهمة كل منهم في مجتمع على سطح من صفيح ساخن، إنهم يلعبون بالنار وللأسف نارهم لن تحرقهم وحدهم ولكنها ستحرق مجتمعا بأكمله.

ففي بلد مثل مصر يعاني من آلاف المشكلات من فقر وغياب العدالة الاجتماعية وتآكل الطبقة الوسطى وجهل عام، يؤدي إلى حالة غل مجتمعي بين الطبقات، وفي بلد يغامر آلاف من شبابه بركوب مراكب لموت هربا، ومتوسط دخل أغلبه عشرات من الجنيهات فقط في الشهر.. في ظل كل ذلك تنسى الصحافة وبعض الصحفيين دورهم في الحفاظ على هذا المجتمع من الانفجار، فالصحافة كما علمها لنا أساتذتنا التزام تجاه قارئ بالحقيقة وتجاه المجتمع بالحفاظ عليه، فما فائدة إخبار قارئ بأجر نجم؟ وماذا يمكن أن يحدث في مجتمع ظروفه كما أردفت سابقا وكلنا نعرف؟ والأهم أن كل أخبار أجور النجوم كاذبة، فلا عمرو سيحصل على ٤٠ مليوناً ولا تامر سيحصل على ٨٠ مليوناً.

والسؤال الأهم والأخير، ماذا سيحدث إذا لم نعرف أجر النجم؟ هل ستقل معلوماتنا العامة؟ هل ستكون الصحافة مقصرة في مهمتها تجاه المجتمع، هل وهل والإجابة بلا كبيرة وعالية.

أما ماذا يحدث حين نكتب عن الأجور الكاذبة أو حتى الحقيقة إلا أننا نزيد من إحباط المحبطين وغيظ المطحونين وحقد وكراهية المظلومين.

الأستاذ تامر ومعه كل الأساتذة الذين يسربون أنباء ملايينهم للصحافة يلعبون بالنار وهم غافلون، وحين تجاريهم الصحافة في لعبتهم فإنهم بغير وعي يحرقون مجتمعا بالفعل تحاصره النيران وهم يلعبون.

جريدة اليوم السابع - أكتوبر ٢٠١٠

هوامش على دفتر الوكسة الإعلامية

يبدو أن الحديث عن الإعلام سواء كان مكتوبا أم مسموعا أو مرئيا أصبح حديثا يهم العامة بمختلف شرائحهم.. بعد أن كان الحديث في شئون الإعلام حديث الخاصة على مدى عقود من الزمان.. فما إن تجلس في تجمع أيا كان تخصصه أو اهتماماته تجدهم يثيرون الحديث حول الصحافة، وهنا مقصدي، ليس ما تنشره الصحف ولكن ما يثار بالصحف من شأن داخلي، كما أن حديث العوام قد كثر أيضًا على تداعيات أزمة إغلاق محطات فضائية وبرامج بعينها. إذن خلاصة الأمر أن الشأن الداخلي للإعلام الذي كان حديث أهله فحسب صار شأنًا عامًا يحق للقاصي والداني أن يدلي فيه بدلوه مع ما في الأمر من كثير من الالتباس وخلط الأوراق، فحين تقل المعلومات المتاحة للجمهور عادة ما يخطئ التقييم.

ولست أدعي أن ما سأسطره في السطور التالية هو فصل الخطاب، أو الحق الكامل الذي يجب أن يبني عليه أي مراقب من الناس للمشهد الإعلامي رأيه، ولكنها شهادة حق أكتمها أغلب الوقت لأنها تخص أهل الدار، ولكن حين تناثرت أخبارهم ما عاد الصمت عليها شرفا.

في ظل أزمات إعلامية متلاحقة تسبق أزمة جريدة الدستور وبرنامج القاهرة اليوم وقرارات وزير الإعلام بإغلاق عدد من المحطات كانت هناك أزمات ربما نسيها الناس، مثل أزمة الأهرام وكثير من الصحف القومية التي تغيرت قياداتها، فثار لغط كثير حول رؤسائها السابقين وتربحهم من وظائفهم والملايين التي كانوا يتقاضونها و«السونا» التي

كانت ملحقة بغرفهم، وحكايات أخرى كثيرة.. في ظل كل هذا وأكثر لم أجد إلا أن أخط بعضا مما أشهد عليه لعلها تكون مجرد هوامش على دفتر النكسة أو الوكسة الإعلامية والمهنية التي نعيشها.

أولاً: يحفل المشهد الإعلامي بكثير من الكذب والخداع، فأكثر من يذكرون الشرف في مقالاتهم، وأكثر من يتحدثون عن الشفافية والمواطن الغلبان في برامجهم، وأكثر من يزعمون المعارضة في حديثهم ليسوا كذلك، أو كما تنطق ألسنتهم بل أغلبهم أبطال من ورق لو رأيتهم في لحظات الصدق القليلة، وخلف الكاميرات وبدون أقلام لفررت منهم ولكنها الدعاية التي قال عنها جوبلز داهية النازي إنها تصنع المعجزات وفي الإعلام المصري والعربي الدعاية على ودنه على رأي توفيق الدقن صاحب العبارة الشهيرة أحلى من الشرف ما فيش، وهو من كان أبعد عن الشرف.

الإعلام إخبار بحقيقة أو على الأقل حقيقة كما يراها ناقلها، ولكن الدعاية إخبار بكذب ناقلها واثق من كذبها، وفي مصر الفروق بين الإعلام والدعاية تكاد تكون منعدمة.

ثانياً: مرت عقود وسنوات طويلة كان فيها الإعلام مهنة الناس الغلابة كما كانت مثلا مهنة المدرس، ولكن تغيرت الأحوال كما هي عجلة الحياة فلا صار الراكب راكبا ولا السائر سائرا، فلا المدرس صار المواطن الغلبان الذي يتقاضى الملاليم ولا الصحفي أو الإعلامي، صار شرطا أن يكون من أصحاب الدخل المحدود، وبالتالي صارت المهنة جاذبة للضوء ومع كثرة الأضواء يزداد الهاموش وكثير من الكائنات الطائرة والزاحفة.

ثالثاً: من العجب أن ما حدث وما قيل عن رؤساء تحرير ومجالس إدارة الصحف القومية والملايين التي يتقاضونها وانفجار حقائق كثيرة مخزية بقوة القانون بردت نارها، والعجيب أن من يجلسون على كراسي السابقين يتقاضون نفس ما كان السابقون يتقاضونه، فاللاحقون بقوة القانون الذي سنه السابقون لم يغيروا ما انتقدوه بل صاروا يتمرغون في خيراته وربما يدعون بالرحمة لمن سبقهم لأنهم ستّفوا الأوراق لتعطيهم ما ليس من حقهم، وعاد الصمت للصحف القومية وما عاد أحد يقول من أين لك هذا، ربما ينتظرون لحظة تغيير ينتفضون عندها ويقولون: أحلى من الشرف ما فيش.

رابعاً: صناع الصحف الخاصة هم من أهل البيت الذي تربى في حضن صحف الحكومة، ولذا فأغلبهم يبدو كمن يتمرد على أمه وأبيه إذا شب عن الطوق ولكنهم في النهاية تربية الحكومة وأحلى من الشرف ما فيش.

خامساً: كشفت أزمة جريدة الدستور بعضا مما يدور في الكواليس، وإن ظلت الغيوم تعمي العيون، فالكلام عن تهرب من الضرائب وعمولات وكتابة أسهم بأسماء غير حقيقية من الطرفين الملاك أو التحرير، كشفت هذه الأخبار وإن تناساها البعض، لارتفاع أصوات الصراخ، عن فساد خلف الأبواب مهما علت أصوات أصحابها بكلمة أحلى من الشرف مافيش.

سادسا: في ظل تباري الإعلام بالتسابق على مهاجمة الحكومة والنيل منها وكأنها الشيطان الوحيد بيننا «الحكومة شيطان نعم ولكن ليست في عالم ملائكة بأجنحة» نسي الجميع المهنية الأصلية كمعيار للبقاء وصارت القوة للصارخ الأكبر في لعن الحكومة وصارت الزعامة والعبقرية لطولة اللسان وقلة الأدب حتى صار إعلامنا نسخة من شوارعنا وما أكثر زبالتها.

سابعاً: لم يسلم أصحاب اللحى والمتشدقون بكلام الله ورسوله من كل الرذائل التي أحاطت بالإعلام، ولم تفطن وزارة الإعلام لتسللهم عبر دماء الشعب إلا بعد خراب مالطة حين تحول رجالاتها إلى قادة تماما كقادة الإعلام أبطال من ورق ولكنهم ورق يحمل نارا في مجتمع مشبع بالبنزين.. الناس في الشارع تردد شتائم الإعلاميين وفتاوى أهل الدين على الشاشات ويعلم الله أن أغلبهم كاذبون، سيدهم الإعلان ومعبودهم الدولارات وأحيانا الجنيهات وأحلى من الشرف ما فيش.

كانت هذه مجرد هوامش على «دفتر النكسة» أو الوكسة الإعلامية، وعذرا لنزار قباني صاحب تعبير «هوامش على دفتر النكسة».

جريدة اليوم السابع - أكتوبر ٢٠١٠

المقاطعة ليست هي الحل

طالعتنا الأخبار بنبأ إصدار اتحاد النقابات الفنية، الذي يضم الممثلين والسينمائيين والموسيقيين، بياناً يستنكرون فيه وجود منتجة إسرائيلية بين ضيوف مهرجان أبو ظبي السينمائي، الذي انتهى منذ أيام، اعتبرت النقابات الفنية وجود هذه المنتجة وفيلمها «الغرب هو الغرب»، بل فوزه بجائزة الجمهور نوعاً من التطبيع، وبالتالي يحرم على أي فنان ينتمي لهذه النقابات التعامل مع هذا المهرجان، إلا إذا أعلنت إدارة المهرجان، التي يترأسها المخرج الأمريكي بيتر سكارليت اعتذارها وجهلها بكون هذه المنتجة إسرائيلية.

وتبارى الزملاء الصحفيون وبعض من المثقفين في شجب، ورفض الفعلة الشنعاء لمهرجان أبو ظبي.

هذا كان ملخصاً لما خرجت به الصحف خلال يومين حول هذا الخبر، وعلى الجانب الآخر، لم يصدر من مهرجان أبو ظبي أو من أي مؤسسة أخرى تابعة للمهرجان أي تعليق، اللهم إلا مقال منشور على موقع ميدل إيست نيوز يرد على هذه الحملة الصحفية، بأن نقباء الفنانين في مصر يهاجمون مهرجان أبو ظبي بسبب فشل المهرجانات المصرية، ولا أتمنى بالتأكيد بما أكتب أن أدخل طرفاً في سجال أن مهرجاناتنا أحسن من مهرجاناتكم، أو أننا أكثر وطنية من رجال أبو ظبي، أو أن أحكي عن دماء شهداء أكتوبر المصريين وأبكي عليهم، لأنه في ذات الشهر بعد عقود تستضيف أبو ظبي مخرجة تعترف أنها إسرائيلية وتمنحها أبو ظبي جائزة الجمهور وهي ٣٠ ألف دولار.

كل ما سبق ذكره من السهل أن أقوله وأشعل حماسة القراء وأرفع صوتي بالوطنية

وبالروح والدم وأجد آلافاً، بل ملايين يقولون عني بطلة في زمن أبطال وبطولات الكلام.

ولكن للحق لا أستطيع بحال من الأحوال أن أصفق لأصحاب قرار مقاطعة مهرجان أبو ظبي، ليس لأني من رواده، فأنا لم أحضر إلا دورته الأولى، ولم أذهب ثانية، لكنني أتمنى أن نناقش الأمر بمنطق بعيداً عن المزايدات، لأن استخدام التطبيع بحق صار بغير معنى في استخداماتها الحالية.

تعبير التطبيع جاء في مطلع الثمانينيات بعد توقيع اتفاقية السلام، لكن كل أطياف الشعب كانت ومازالت ترفض تعامل الإسرائيليين في جميع المجالات، واستخدمت ورقة التطبيع في حينها كورقة ضغط شعبية على العدو الإسرائيلي.

ورغم أن إسرائيل تغلغلت في حياة المصريين، سواء من خلال بعض النخبة الاقتصادية، الذين تعاملوا معها في مشروعات زراعية وغيرها، وكثير من رجال الأعمال الذين نعرفهم بالاسم يصدرون ويستوردون بضائع إسرائيلية موجودة في الأسواق، ولست بحاجة لأن أذكر أن ما من مسئول في هذا البلد إلا وله لقاءات وتعاملات مع إسرائيل.

ورغم كل هذه السنين، التي جرى فيها كثير من المياه، ظلت تهمة التطبيع دون تعريف محدد سيفاً على الرقاب وشهره حين نريد، ونضعه في غمده حين نضعف أمام المطبقين وخلطنا الأوراق. فصار حين نترجم كتباً إسرائيلية نتهم مترجميها بالتطبيع، ومتناسين المقولة الشهيرة «اعرف عدوك»، وصار سفر فنان إلى رام الله أو غزة المحتلتين وتقديمه لحفل غنائي في مهرجان سينمائي تنظمه السلطة الفلسطينية تطبيعاً، مثل هند صبري، وحتى مشاركة فنان في فيلم أمريكي أو بريطاني يكتشف أن أحد ممثليه إسرائيلي يعد تطبيعاً، مثل خالد النبوي، وأخيراً اتهمنا عمرو واكد، لأن مسلسله الإنجليزي عرض في إسرائيل، وكأنه صاحب اتفاق العرض.

للأسف لقد فرغنا كلمة التطبيع من معناها الحقيقي، وصارت مجرد تهمة جوفاء يستخدمها البعض للمزايدة على الوطنية والحمية.

وأخيراً تأتي قصة مهرجان أبو ظبي ومقاطعته لتؤكد ما أقوله، فالمنتجة ليزلي يودوين

هي إنجليزية من برمنجهام، وتعيش حالياً في أستوكهولم، وهي ممثلة ومنتجة قدمت فيلم «الشرق هو الشرق»، وهو فيلم جيد جداً، ثم تلته بفيلم «الغرب هو الغرب» كجزء ثانٍ، والذي عرضته في مهرجان أبو ظبي وليس هناك ما يشير في أي من بياناتها أو ما هو مكتوب عنها أنها تنتمي لإسرائيل من قريب أو بعيد، أما كونها هي التي أعلنت ذلك في مؤتمر صحفي، فهذا ليس تواطؤاً من المهرجان، لأنها منتجة إنجليزية شاركت بفيلم إنجليزي، فهل كان مطلوباً من إدارة المهرجان أن تأتي بسلسّال أفكارها وشجرة عائلتها؟ يا سادة تلك مزايدات لا يصح أن يقع فيها أصحاب الصوت العالي في هذا البلد.

للأسف دائماً نخسر معاركنا، لأننا لا نوجه سهامنا في الطريق الصحيح.

إسرائيل تعرفنا بمنطق الكبار، فهي تعرف عنا ماذا نأكل ونشرب؟ وكيف ننام؟ وقبله كيف نفكر؟ وحتى نكاتنا التي نضحك عليها في الوقت الذي نحن نقاطعها بمنطق الأطفال، وكأننا نقول لها إحنا مخاصمينك، ولا نريد أن نعرف عنها شيئا، لأن الأسهل أن نقاطعها ونعيش بمنطق أنها غير موجودة.

الحقيقة إن إسرائيل مزروعة في جانبنا ترقبنا عن كثب، ونحن نرفع شعار عدم التطبيع، الذي يجعلنا نغطي أعيننا عنها، وهو عين الخطأ.

والأهم إن كانت النقابات الفنية قررت مقاطعة مهرجان أبو ظبي، فأذكر بأن عليهم مقاطعة وزير الثقافة وكل الرؤوس الكبرى في هذا البلد، لأنهم مطبعون «بمنقط الطفولة»، فهل هم فاعلون؟

جريدة اليوم السابع - نوفمبر ٢٠١٠

جامعة عين شمس وفجاجة الفن والسياسة

منذ شهور وأنا أرصد ما يحدث في جامعة عين شمس بعين فاحصة وقد كتبت في أكثر من موضع معلقة على سيل التكريمات التي حظي بها عدد من الفنانين أخيراً من جامعة عين شمس.

ولنبدأ الحكاية منذ البداية، فعلى مدار التاريخ القريب حين كان التعليم العالي منحصرا في أحضان الدولة كان هناك دائماً نشاط فني داخل الجامعة يتمثل في نشاط الطلبة أنفسهم من مسرح وغناء وغيره من النشاطات، ولكن منذ أن دخل المال الخاص في تمويل التعليم العالي تغيرت أشكال النشاطات الفنية في الجامعات وأصبحت صور وأخبار نشاطات الجامعات الفنية في صدارة صفحات المجتمع وإن اقتصر أغلبها على حفلات فنية لمطربين وراقصات، حتى بدا وكأن نشاط الجامعات الفني مقتصر على غناء شباب المطربين وتبارت الجامعات الخاصة فيما بينها على من هي الجامعة التي تحظى بالمطرب الأكثر كنجم في أرجائها.. ولم نعد نسمع عن نشاط فني يخرج طلبة من الجامعات يصيرون نجوما أو حتى أنصاف نجوم كما كانت الحال في أجيال سابقة مثل جيل عادل إمام خريج الزراعة ورفاقه أو جيل الفخراني خريج الطب وعشرات من الأمثلة.

والخلاصة، أن القانون الفني للجامعات الخاصة استشرى وتفحل فوصل إلى المدارس أيضاً حتى تحولت بعض الحفلات الفنية المدرسية إلى فضائح وتحرشات وحالة من التدني الفني.

هذه الحالة كانت حتى وقت قريب تبدو خاصة بالجامعات والمدارس الخاصة ولكن

أخيراً دخلت جامعة عين شمس منذ أن تولى رئاستها الدكتور ماجد الديب خلفاً لرئيسها السابق أحمد زكي بدر.

ولم تكتف جامعة عين شمس بالحفلات الفنية فلا اعتراض على الإطلاق أن تقيم الجامعات حفلات فنية، بل يجب أن يقام كثير من الحفلات في الجامعة، ولكن السؤال أي نوع من الحفلات والفن الذي يجب أن تؤسس له الجامعة في عقول ونفوس طلابها؟! بالتأكيد ليس فن الهمجية والرداءة.

ولم تتوقف مصيبة جامعة عين شمس عند نوعية الحفلات والنجوم المدعومة لنشاطهم الفني لكن المسألة صارت حالة انفجار إعلامي، فلا يمر يوم أو أسبوع إلا وتطالعنا الأخبار بأن جامعة عين شمس استضافت الفنان الفلاني لندوة ومنحته تكريماً خاصاً.. يا سلام تخيّلوا مصطفى شعبان تكرمه الجامعة عن مسلسل «العار» وسامح حسين عن مسلسل «اللص والكتاب» وحماقي عن غنائه وأخيراً حكيم الذي هز وسط جامعة عين شمس بأغاني «بيني وبينك خطوة ونص!!» وخرجت الأخبار بتحرشات وضرب وفضائح في تلك الحفلات، ولو صمتت إدارة الجامعة إزاء تلك الأخبار لقلت عادي ولكني قرأت تصريحاً للدكتور ماجد الديب منذ حوالي أسبوعين في صحيفة «الشروق» أصاب ضغط دمي بارتفاع مفاجئ برغم أني من أصحاب الضغط المنخفض عادة.

الأستاذ الدكتور ماجد الديب رئيس جامعة عين شمس - لا فض فوه - صرح في الجريدة بأنه سعيد بهذا التكريم للنجوم وحفلاتهم لأن «أي والله هكذا قال» هذه المناسبات تؤثر في تفاعل الطلبة مع المجتمع وفهمهم لدورهم الاجتماعي..يا سلام م م!!

أحترم الفن والفنانين وأفهم أن تكرم الجامعات بعضهم، ولكن على أسس لها علاقة بالعلم أو العمل القيم، ولكن أن يكون التكريم الجامعي مرتبطا بالفجاجة فهذا إرساء لقواعد غير أخلاقية أو مهنية، والأكبر أنه كارثة تضاف لكثير من أخلاق الأجيال الجديدة، والوكسة أن الجامعة هي التي تؤصل لها. ولذا لم أكن من بين هؤلاء الذين فاجأهم ما حدث في جامعة عين شمس منذ أيام، وأطلقت عليه الصحف والفضائيات بلطجة وكارثة أو فضيحة أو جريمة، فصور الطلبة الذين يعتدون على الأساتذة والجنازير والألفاظ، ما هي إلا تداعيات طبيعية ومنطقية جداً لصرح تعليمي يكرم أبطال «العار»

و«اللص والكتاب» و«بيني وبينك خطوة ونص» و«أحلى حاجة بحبها فيكي».

كل من كتب أو علق على حادث جامعة عين شمس الأخير ربط القصة بهدف عودة الحرس الجامعي وبأهداف سياسية ولا أنكر على هذا التحليل صحته، ولكني أرى ما حدث في جامعة عين شمس نتيجة أو ظاهرة مكملة لصورة حرم جامعي يترك أبوابه مفتوحة للفجاجة بداية من الفن مروراً بالأخلاق لنصل إلى سياسة البلطجة والتحرش، إنها الصورة مكتملة والحادث الأخير مجرد تفصيلة من تفاصيل كثيرة هزلية وكارثية في حرم جامعة من المفروض أن تخرج أجيالاً متعلمة تقود إلى النور لا إلى التحرش والبلطجة.

جامعة عين شمس بدأت بفجاجة الفن لتصل إلى فجاجة السياسة والأخلاق.

جريدة اليوم السابع - نوفمبر ٢٠١٠

(مساء الأنوار) في ٦٧٨ وسلّم لي على مصر

تعرض حاليا دور العرض المصرية فيلم «٦٧٨» الذي كتبه وأخرجه محمد دياب في سابقة أولى للسينما المصرية، حيث يتعرض لظاهرة التحرش الجنسي الذي أصبح ظاهرة ضاربة في جذور المجتمع المصري، ولست هنا بصدد الحديث عن فيلم سينمائي، فالأفلام تعيش ونستطيع الحديث عنها على مدى أسابيع، بل حتى بعد سنين إن طال العمر، ولكن حاضر المجتمعات وأزماتها لا يحتمل الصبر. وحاضرنا صار ذا مرارة كالعلقم إن لم نفتح جراحه، وبعضٌ من جراحنا أننا استمرأنا الفساد حتى صار نغمة يومية تصدح على آذاننا وأمام أعيننا ليل نهار، وبعضٌ من فسادنا متمثل في إعلامنا، وأغلب فساد إعلامنا متمثل في شقين: الدين بقنواته وبرامجه ورجالات إعلامه، والرياضة وقنواتها وبرامجها ورجالات إعلامها.

ورب سائل يسأل: أما وإن كنت أتكلم عن الإعلام فلِمَ ذكرت في المقدمة فيلم «٦٧٨» الذي يتناول ظاهرة التحرش الجنسي؟ والإجابة ببساطة أن آخر ما أصابنا من برامج الرياضة من حوادث كان أشبه بالتحرش الجنسي، فما حدث على الهواء مباشرة منذ أيام على قناة مودرن الرياضية من أحد من يطلقون عليهم نجوم الإعلام الرياضي مدحت شلبي هو تحرش جنسي، ولكن على الهواء مباشرة وليس لامرأة واحدة ولكن للملايين.

الكابتن مدحت شلبي كما يعرف القاصي والداني قرأ نكتة قبيحة ومتحرشة على الهواء مباشرة، ولم تكتف الرياضة أو الكرة في مصر بذلك، بل بعدها بساعات سمع أيضا الملايين تحرشا لفظيا جماعيا في نهاية مباراة الأهلي مع حرس الحدود، بلاعب الزمالك

شيكابالا، وساهم الإعلام حين ترك أصوات الجماهير دون قطع. وأعاده برنامج شوبير على آذان الملايين مرة أخرى دون قطع أو مونتاج كان ممكنا.

ثم اكتملت المهزلة حين خرج أيضا على الملايين السيد رئيس قناة مودرن في برنامجي «٩٠ دقيقة» و«العاشرة مساء» وهو يقول إن القناة قد وجّهت اللوم لمذيعها، وإنها لا تسمح بأي تجاوز، ولا حاجة لها بلجنة تقييم لأنها تقيم نفسها دوما.

والحق أن الآفة لا تخص مدحت شلبي أو «مودرن» بشكل خاص، الآفة صارت مجتمعية إن لم نقف ونقل فيها على الأقل كلمة، نكن فقدنا حتى أضعفِ الإيمان. ولألخص وجهة نظري في نقاط محددة:

أولا: اقتصرت البرامج الرياضية في مصر على كرة القدم دون غيرها، ولا أحد ينكر شعبية اللعبة، ولكن الإعلام قادر على تجييش الاهتمام بألعاب أخرى إن سلط عليها الضوء، ولكنه إعلام منساق أقرب للإعلان منه للإعلام.

ثانيا: شتان بين لاعب كرة ماهر أو مدرب عظيم في الملاعب أو معلق على اللعبة يعرف أصولها، وبين إعلامي يعرف أصول المهنة، ولكننا خلطنا الأوراق حين أضفنا للاعبين عقولهم تكمن في أقدامهم صفة الإعلاميين، وصاروا يجلسون بالساعات أمام الجماهير يخرجون إحباطات تاريخهم علينا في صور مختلفة.. ومن الغريب والمثير أن براجهم جميعا تأتي في الليل وآخره، حين تهدأ المدينة ويجلس الناس أمام الشاشات إما في بيوتهم أو على المقاهي. ويتصدر المشهد مجموعة كباتن «جمع كابتن» تفتي في كل شيء حتى السياسة، ويتناطحون فيما بينهم للفوز بالكعكة الإعلانية بأي صورة، وكلها صور هزلية حتى كان آخرها نكتة جنسية.

ثالثا: أغلب مشاهدي هذه البرامج هم من البسطاء أو المحبطين من الشباب بسبب البطالة، أو عدم القدرة على الزواج أو غيرها من الهموم، وبالتالي فهم الأكثر تأثرا بفجاجة هذه البرامج، وهم أيضا الأكثر تأثيرا في فجاجة عامة في المجتمع.

رابعا: في مصر هناك ظاهرة متميزة في السوء يلخصها المثل الشعبي الذي يقول «كلما زاد الشيء على حدِّه انقلب إلى ضده»، وتحت هذا العنوان زادت مظاهر الدين وقنواته وقنوات الرياضة ورجالها، وما زادتنا الأولى تقوى وحسّنت حياتنا، وما أضافت الثانية صحة أو أخلاقا ترتبط بكلمات الرياضة، وبالتالي ينتفي الغرض من الاثنتين، بل صـ

إثمهما أكبر كثيراً من أسباب وجودهما

خامساً: حتى تاريخ ليس ببعيد كان للذوق المصري الذي تندرج تحته صفات عديدة مثل الذوق في الملبس والمأكل والشكل والأخلاق والفن، كان هذا الذوق رفيعاً، وكانت الأمم العربية تتمثل بنا، ولكن للأسف انحسر كل ذلك، فصارت أذواقنا فجة في الملبس والمأكل والحديث والفن حتى أصبحت «زهرة وأزواجها الخمسة» بفجاجتها وملابسها وأدائها نموذجاً للنساء، وصار أباطرة قنوات الدين في تجهمهم وتعصبهم نموذجاً، وأباطرة قنوات الرياضة بصوتهم العالي وأخلاق الملاعب . . . داء أصابعهم وألسنتهم نموذجا للشباب. هل لا يذكر أحد أن مدحت شلبي نفسه منذ فترة وعلى الهواء مباشرة بعد مباراة مصر مع الجزائر أدى بيده حركة لها معنى قبيح، ولم يتوقف أمامه أحد ليقول عيب!

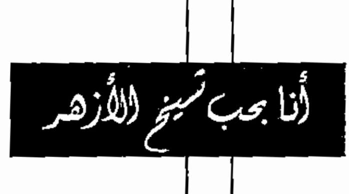
أخيراً: قد يقول قائل. أفسدتِ علينا حياتنا وجعلتِ الكل باطلا.. فما الحل؟ وعفوا لا أملك الإجابة القاطعة بحل سحري يعيد للمجتمع المصري سلامه وذوقه وأخلاقه، ولكنني أطالب بديكتاتورية عادلة مع المخطئ، وديكتاتورية أزمة الحرب، فالسارق يُقتل والمخطئ في الإعلام يُفصل. نحن في زمن حرب مع القبح و«الإباحة» والتطرف.. فلا يكفي عقاب مثل توجيه اللوم أو الإنذار، فهذه عقوبات لينة تصلح في أزمنة هادئة، ولكنها لا تصلح في زمن الحرب.

وعلى عكس كثير من الدول نحن مازلنا في دولة مركزية، بها وزارة إعلام وعلى رأسها وزير إعلام، والدولة هي التي تملك حق الإشارة والبث التليفزيوني. وعلى وزير الإعلام أن يعلم أنه كما هو مكلف من قِبل الحكومة والدولة بمنع ما يتجاوز عن سياساتها، فهو أيضا مُكلف من قِبل بعض الشعب الذي لم يفسد بعد، بأن ينقذه من فساد الإعلام الرياضي، وفجاجة كباتن الكرة.

وعود على بدء، فالبعض اتهم فيلم «٦٧٨» بالتعرض لسمعة مصر لأنه يناقش برقي ظاهرة التحرش الجنسي، فما بالهم أمسكوا بفيلم ونسوا القنوات الرياضية ورجال إعلامها الذين يسيئون لأم مصر ليل نهار، وعلى عينك يا تاجر.

ولا فرق بين «أبو ليمونة» كما في الفيلم، وأباطرة الإعلام الرياضية و«مساء الأنوار».

جريدة اليوم السابع - ديسمبر ٢٠١٠



أنا بحب شيخ الأزهر

في خضم أحداث جسام تمر بها الأمة وحزن وقهر عام ونظرات خوف وترقب من مستقبل قريب لا يبدو مضيئاً يشعر به القاصي والداني.. في خضم كل ذلك وأكثر، وفي خضم زخم إعلامي يتحدث بصوت مرتفع لا يبدو هناك فارق كبير بين محطة تليفزيونية وأخرى، فالكل يتحدث في موضوع واحد وحادث واحد وهم واحد وحزن واحد، لا فرق كبيرا بين كلام الضيوف في برنامج عن آخر أو لقاء عن آخر، الكل يتحدث ويفتي ويحلل ويشجب ويغضب، الوجوه المعارضة تستغل معارضتها، والوجوه الحكومية تدافع عن رسميتها وتتمسك بحكومتها.

في خضم كل ذلك يظهر وجه على الشاشة يبعث بصيص نور في ظلام حالك، وجه شيخ بشوش بلا لحية يستحق أخيراً لقب الإمام، فعلى شاشة «دريم» التقت منى الشاذلي بالدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر بعد أحداث حزينة لطرفي الأمة، وأعترف أني كمواطنة منذ أن تفتحت عيناي على الدنيا لم تكن كلمة الأزهر تعني لي إلا منطقة مزدحمة تواجه منطقة الحسين تقبع فيها القاهرة القديمة الفاطمية وتشع منها رائحة التوابل.. هذا كان معنى ومفهوم كلمة الأزهر عندي، أما فيما يخص تاريخ الكلمة فقد كان لها عندي معان أخرى، فالأزهر في كتب التاريخ كان منارة ومسقط رأس كثير من المواهب الأدبية والسياسية، ومنبع ثورات شعبية، ولكن كل ذلك مرتبط بالتاريخ الذي لم أره أو أعرفه وبالتالي تظل كلمة الأزهر عندي مرادفة لمنطقة قديمة في المدينة التي أسكنها. وأعترف أن كل ما كان ينتجه الأزهر من أخبار ترتبط به وشخوص يقدمون أنفسهم كنتاج له لم تكن مرضية لي بشكل عام أو مؤثرة في صغيرة أو كبيرة اللهم إلا في الأغلب تأثير سلبي.

ولن أزعم أني كنت قد شاهدت الدكتور أحمد الطيب كنتاج لمؤسسة الأزهر إلا من المنطلق الذي شرحته، وبالتالي فكنت فيما سبق أمر على ظهوره التليفزيوني مرور الكرام ولا أتوقف بالريموت أمامه، وإمعانا في الاعتراف فمنذ أن تولى الدكتور مشيخة الأزهر لم أهتم بمتابعته لأن الصورة النمطية في عقلي لمشايخ الأزهر تلح عليّ فأغير المحطة.

ولكن حين ظهر الإمام في برنامج «العاشرة» منذ أيام دفعتني الظروف التي نمر بها إلى أن أجلس لأسمع الرجل، فالموقف يحتم عليّ أن أعرف ماذا سيقول من يقولون إنه إمام للمسلمين وأنا منهم، خاصة بعد موقف مؤسف تعرض له من شباب غاضب في صحن الكنيسة، جلست ويدي على قلبي خوفاً مما سيقول رجل الأزهر.. فهل سيقول كلاما كأغانينا التي تفقد معناها في هذا الظرف أم سيزيد الأمر سوءاً.. فإذ بي أجدني أمام رجل حكيم رائع يحمل صفة الدين دين الله الذي أنزله من فوق سبع سماوات ليحسن حياة البشر، رأيت شيخاً يحمل حكمة نفتقدها في زمن مجنون، يقول إن بناء جامع أمام الكنيسة يؤذي أصحابها فلا يجب أن نفعل، رأيت وسمعت رجلاً وإماماً يقول بكلمات الله إن من واجب المسلم أن يحافظ على الكنيسة والمعبد لأنها بيوت يذكر فيها اسم الله، رأيت وسمعت إماماً يقول إن الشباب الغاضب الذي وجه له ما يشبه الإهانة محق في حزنه وإنهم في مكانة أبنائه فلا عتب عليهم، رأيت وسمعت شيخاً يستنكر أن يُحرم المسيحي من بناء كنيسة. رأيت وسمعت أخيراً ما كنت أقرؤه في كتب التاريخ عن أئمة الأزهر، وأعترف أني شعرت لأول مرة بفخر الانتماء لإمام الأزهر وفخر انتمائه لي.. فقد أحببت واحترمت سماحته وهدوءه وحكمته، والأهم قيمة تمثيله لدين سماوي عظيم.

وفي نفق مظلم دامس بدا لي الإمام الجليل كطاقة نور علنا نهتدي بها، ويهتدي بها أكثر الشيوخ الذين يتكلمون باسم الدين وما هم منه وما هو منهم.

أيها الإمام.. أنا أحبك، لأنك جدير بأن تحبك مواطنة تحب بلادها وتخاف عليها، ولا حيلة لها إلا أن تجد من هم مثلك لتقوى بهم، وأعيد عليكم الكلمة والمعنى فأنا مواطنة مصرية أحببت واحترمت الإمام لأني مصرية وليس لأني مسلمة، فمصر الآن ومن قبل تحتاج الحكمة والتسامح والعلم والفهم، والإمام في حديثه على قناة «دريم» مع منى الشاذلي كان نموذجاً لكل ذلك بلا ادعاء ولا نفاق.

جريدة اليوم السابع – ١١ يناير ٢٠١١

تائه بين السماء والأرض

ما تمر به الأمة العربية الآن من موجات تشبه موجات تسونامي من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب حالة ربما تدفع عشرات بل مئات المحللين والكتاب والمنظرين إلى كتابة عشرات المقالات والتحليلات، حتى هؤلاء الذين يجلسون على المقاهي وكانوا قديماً يطلقون عليهم حكماء ريش نسبة إلى مقهى ريش الشهير حتى هؤلاء سيطلقون الأحكام ويحللون الظروف ويتنبأون بما سوف يكون استناداً على ما كان.

فالعراق في عراك من أجل الذهب الأسود والنخيل.. ولبنان بقعة صغيرة ولكنها سلاح إثبات قوة لصالح قوة إقليمية على السيادة، وسوريا تائهة تبحث عن هوية بين لقب الجهاد أو الخضوع، والأردن يصرخ فيه الناس ويرد عليهم أهل الجزائر التائهون بين الضاد العربية وحلم الوصل بالأم الفرنسية المتحررة.

والسودان ما عاد البلد الشقيق الواحد الذي يربطه الحبل السري بمصر، وتونس تخوض حرب التحرير الثانية، ويركب موجتها قطاع الطرق واللصوص، والثورة التي قام بها المطحونون يكسب قوتها عادة النهابون، ومصر لها الله فيما هي فيه من فساد وغياب عدالة اجتماعية وتطرف ضرب عناصر تكوينها.

خلاصة الحديث.. وبغض النظر عن أهمية تحليل كل ما سبق أجدني مدفوعة كإنسانة محبة للفن والسينما بأن أنظر للمشهد العربي من زاوية درامية بحتة، فما أعظم الدراما الحياتية العربية وما أكثرها ثراء لصناع الفن، لكنهم قليلاً ما يستغلونها، واسمحوا لي رغم أني لست من صناع الفن السينمائي أن أرصد لكم مشهداً سينمائياً أحلم بأن يقدمه لنا يوماً

أي فيلم سينمائي، مشهد قد يتكرر بين عدة وجوه لنجوم السياسة والحكم.

المشهد الأول

ليل خارجي: لحظة الغروب في مطار تونس الدولي.. طائرة رئاسية تحمل من كان بالأمس المال والسلطة ملك يمينه، وتتحرك الطائرة ببطء على أرض المطار ثم تطير في السماء باحثة عن أرض، أي أرض تستقبلها فلا تجد.

ليل داخلي: من داخل الطائرة الرئاسية.. الطيار يتصل بعدة أبراج مراقبة في دول مختلفة والإجابة لا تهبط لن نسمح لك، ثم يبلغ قائد الطائرة أحد مطارات إيطاليا أنه مضطر للهبوط من أجل التزود بالوقود فتوافق روما على مضض، وبالفعل تهبط الطائرة ثم نراها تسرع بالإقلاع.

المشهد لن يعرض لنا صورة ركاب الطائرة فقط، صورة قائدها وهو يحدثهم، فصورة ركابها اختفت من على الشاشة، لأنهم طالما كانوا في صدر المشهد والآن هم مجرد أشباح تبحث عن مكان يأويهم بعد أن كانت كل أرضي هي ملك لهم.

يستمر الليل الداخلي في غرفة قيادة الطائرة لنسمع صوت مساعد الطيار يقرأ في كتاب الله.. بسم الله الرحمن الرحيم «ذق إنك أنت العزيز الكريم»، وحين يسأله قائد الطائرة عن الآية التي يقرأها يرد بأنها الآية التي تحكي للبشر اللحظة التي سيلتقي فيها الظالمون الطغاة بالعذاب، فيقول لهم خزنة النار ذوقوا من العذاب يا من كنتم طغاة بعزتكم في الأرض.

يقطع حديث قائد الطائرة ومساعدة صوت يأتي عبر اللاسلكي معلناً أن بلاد الحرمين دون غيرها من بلاد الدنيا هي الوحيدة التي قبلت أن تحط فيها الطائرة بركابها الهاربين من الجحيم.. قطع.

المشهد الثاني

البرازيل بلاد السامبا نهار خارجي ملايين من الكتل البشرية تقف حاملة شموع وصور لرجل في الستين وإن بدا أصغر وتصرخ الجماهير لولا لولا لولا، تتحرك الكاميرا في اتجاه منصة مقابلة للجماهير يقف عليها صاحب الصور وإلى جواره سيدة الرجل هو لولا دي سيلفيا الرئيس البرازيلي الذي انتهت ولايته وهو يسلم مساعدته مقاليد الحكم،

الرجل الذي خرج من رحم الطبقة المقهورة العاملة الفقيرة في البرازيل، واستطاع كرئيس للبلاد في سنوات قليلة أن ينقل بلاده من دولة مُشهرة الإفلاس مقهورة، إلى دولة صاعدة فتية، والأهم حين يقرر رغم نجاحه أن يترك الحكم باختياره لمساعدته.

نهار خارجي: وجه لولادي سيلفيا في كادر كبير على الشاشة ودموعه تسقط كلما سمع صوت الجماهير يناديه فيعود بذاكرته لأيام كان هو وبلاده معاً مقهورين وفقراء، ثم يلقي بالورود على الناسّ فتسقط.

ليل خارجي: وكما تنزل الورود على الناس في البرازيل تنزل وثائق ويكيليكس على الناس في تونس والوطن العربي مكتوب على أحد عناوينها التعاون بين زين العابدين وإسرائيل أقوى ما يكون، ووثائق أخرى تشير على تورط الحكام العرب في فضائح سياسية ومالية.

النهاية: طائرة رئاسية في السماء تائهة في الغيوم وجماهير هادرة تنادي لولا دي سيلفيا وأخرى تحمل لافتات قطع إرحل.

النهاية أو ربما البداية

ملحوظة ما بعد الختام: لا أفهم كيف يعيد الطغاة كتابة تاريخهم دون أن يقرأوا تاريخ من قبلهم ليتعلموا أن النهاية دائماً تكون قريبة، فإن لم تأت من القدر فإنها تأتي على يد الغاضبين الذين صبروا طويلاً، ويالها من نهاية تائهة بين السماء والأرض يتردد معها صوت جهوري يقول: بسم الله الرحمن الرحيم «ذق إنك أنت العزيز الكريم» صدق الله العظيم..

جريدة اليوم السابع - ١٩ يناير ٢٠١١.

أبطال من ورق

في حياة أي صحفي قصص عديدة تختزنها الذاكرة، وإن لم تنشر في حينها تعد شهادة مؤجلة لوقت لا يجب فيه أن تؤجل الشهادة، والآن يمر الوطن بمحنة إن لم تتكاتف فيه كل الجهود لا يعلم إلا الله ماذا سيحل بنا؟

وأما الحكاية، فهي قد حدثت منذ أكثر من عام حين كنت أجلس في الجريدة ودخلت زميلة شابة تحكي بصفاء نية عن لقائها المرتب مع الدكتور البرادعي، وقالت: إنها سألته عدداً من الأسئلة، وأن أخاه هو الذي كان يرد، وراحت تحكي كيف أن أخوات الدكتور البرادعي هن اللاتي يرتبن اللقاءات، وبدا لي أن الزميلة لم تكن تفطن لما تقوله، إلا من شكوى إنها لم تحصل على إجابات لأسئلتها، لأن أخو الدكتور البرادعي قال لها، إنه لا وقت لديه لوسائل الإعلام المصرية، وأنه في إطار إجاباته على الميديا العالمية سيجيب عن بعض أسئلتها، وبالتالي تستطيع هي أن تنقل ذلك عنه، وكانت تلك هي مشكلة الزميلة الصغيرة أنها تريد أن تأخذ من البرادعي الإجابات مباشرة.

أما أنا فكان همي أنني كنت حتى هذه اللحظة أحترم الرجل الذي عاد إلى بلاده بعد رحلة طويلة يطلب التغيير ويكرس قدراته الدولية من أجل الإضافة لبلاده، ولكنني فوجئت بنموذج مختلف على أرض الواقع، فالرجل لم يكن من حقه بعد الترشح للرئاسة ولا يقود حزباً أي حزب، وهو بلا صلاحيات سلطوية، ورغم ذلك تظهر أسرته تحيط به وتتحدث باسمه للإعلام وتتعامل مع الصحافة المحلية بصلف وتكبر يا سلام، فماذا لو أصبح مرشحاً فعلياً؟ يا نهار أسود! هل تتحول أسرته إلى عائلة ملكية؟ واعتبرت أن تلك

ما يصدق عليها القول أول القصيدة كفر.

وبقت حكاية البرادعي الصامت وإخوته أو أسرته المالكة المتحدثين باسمه في ذاكرتي إلى أن قرأت خبر عودته الميمونة وتصريحاته بأنه عائد إلى أرض الوطن لكي يقود التغيير السياسي يا سلام سلم.. كيف يستطيع ذلك الرجل المتلعثم دوماً، اللعب على الأوتار المجروحة، أن يمتلك تلك الجرأة على أن يأتي ليقتنص أحلام الشباب، الذين يبدون كالورد في شوارع المحروسة، وليس البرادعي مناضل التويتر وحده هو الذي يبحث عن مكان في الصورة، فعديد ممن خرجوا يسيرون مع الشباب هم أبطال من ورق يبحثون عن دور وضوء، وليقل لي أحد أي أحد: من يكون راميّ لكح حتى نراه يتصدر مشهد غضبة الشباب، أليس هذا هو الرجل الذي هرب سنين إلى باريس يجلس على مقاهيها وينفق أموال البنوك في شراء صحف ومقاهي، وللأسف لم يقف الأمر عند البرادعي أو رامي لكح، لكنني رأيت وجوهاً أخرى تبدو كالأشواك في وسط الورود..

فإن كانت الأرض يرثها الأتقياء فيبدو لي أن ثورة الشباب في مصر من الممكن أن يرثها أبطال من ورق هم في الأصل أشواك في حياتنا.

ولا أجد خيراً من أغنية حمد الله ع السلامة.. يا جاي من السفر.. وحشانا الابتسامة.. وشك ولا القمر.. ليكتبها مستقبلو البرادعي على يافطات وهم في انتظاره على أبواب مطار القاهرة.

جريدة اليوم السابع - ٢٧ يناير ٢٠١١

الشارع لمين

«ذهبت السكرة وأتت الفكرة» مثال شعبي مصري يعبر عن حالة أطياف كثيرة سياسية في مصر الآن، فبعد أن ظلت كل أطياف المعارضة والمواءمة السياسية فاغرة فاها منذ الخامس والعشرين من هذا الشهر أمام اجتياح شعبي شبابي.. بدأت الآن تغلق فمها وتبلع ريقها في محاولة لإيجاد مكان لها على الخريطة المصرية التي لم تحدد بعد.

اجتمعت أمس كل أطياف المعارضة الشرعية أو ما كان يقال عنها معارضة شرعية، ترأسها سيد البدوي رئيس حزب الوفد والحزب الناصري وحزب التجمع وأقطاب أحزاب أخرى ليصدروا بيانا يتماشى مع شوارع مصر، وبينما هم مجتمعون يدخل عليهم أسامة الغزالي حرب الذي يمثل جبهة التغيير يطالبهم بالانضمام إلى بيان الجبهة الذي يقول: إن أطياف المعارضة وكلت البرادعي للحديث باسم مصر أمام الجهات الداخلية والخارجية، والمقصود بالداخل كما هو مفهوم الجيش والخارج هو أمريكا.

وترفض أحزاب المعارضة هذا البيان ويخرج أسامة الغزالي حرب بورقته المرفوضة ثم يخرج بعده بلحظات أقطاب الاجتماع ليعلنوا بيانهم الذي يطالب الرئيس بالرحيل لأنه فقد الشرعية ويعلنوا أسماء مقترحة لوزارة انتقالية مثل د. يحيى الجمل وآخرين لصياغة دستور جديد.ورغم أني كنت حاضرة لهذا المؤتمر فإنني فوجئت بالأخبار بعد لحظات تتلاحق على الفضائيات بأن المعارضة المصرية والشباب يفوض البرادعي وهم كاذبون ما فوضت المعارضة المترهلة ولا الشباب النضر البرادعي ولكن الكل الآن يريد أن يركب الموجة، الرجل الذي كان يحتمي بالتويتر ويجاهد عليه بكلمات مقضية، البرادعي الذي

ظل مختبئا منذ أن وصل من سويسرا إلى القاهرة ظهر ليلا أمس فقط في ميدان التحرير ليعلن بكلمات مقتضبه أنه موجود ولكن بمكبر صوت، الشوارع في مصر تشتعل بالشباب ولكن الكبار معارضة أو حكومة للأسف مازالوا يتعاملون بذات الصيغ القديمة التي ما عاد لها مكان على أرض الواقع.

مصر الآن لا تريد مبارك ولكنها أيضا بالتأكيد لا تريد مثل البرادعي الذي يحلم بالتفاوض باسم مصر، فهيهات، الشباب الآن وكأنه يغني أغنية فيلم الابن الضال: الشارع لنا إحنا لوحدنا والناس التانيين دول مش مننا، وكم هم اللي مش مننا.

جريدة اليوم السابع - ٣١ يناير ٢٠١١

لا نريدها حربًا أهلية

بعد أن بدأت الثورة في مصر من ميدان التحرير عاقلة نظيفة شابة أطارت عقل رجالات الدولة وكل المحادين وصنعت بمصر ما لم تشهده منذ مولدها من سبعة آلاف سنة أو يزيد، بدأ النظام السياسي يستجمع قدرته وأساليبه القديمة في حشد مؤيديه المدفوعين الذين حملوا آخرين من الصامتين على الخروج لتصطدم فئات الشعب في شبه استعداد لمواجهات دامية.

حين كنت أسير في شوارع القاهرة منذ الثلاثاء الماضي وفي وسط المدينة أقسم أني لم أخف للحظة سواء كنت في طوفان من البشر أم وحيدة، فكل الوجوه كلها دون استثناء كانت تحوطني بالرعاية فهي كانت وجوهاً مصرية جميلة، أما اليوم ففي طريقي للجريدة وأنا أسير في الشوارع رأيت وجوهًا مخيفة مفزعة، فالشارع في القاهرة حتى أمس كانت تموج بالمؤمنين الذين تعلو وجوههم علامات الإيمان والصدق، أما اليوم فالوجوه تملؤها علامات البلطجة، الثورة أخرجت من مصر أجمل ما فيها والآن يخرج النظام أقبح ما في أحشاء مصر، نبرة غل أو حقد في الحديث عن الآخر، ولكن اليوم تبدلت النبرة والحديث.

حتى الأمس فقط كنت من هؤلاء الذين يحكمون العقل ويسيرون بمنطق السيسية التي تنادي ببعض المكاسب على الأرض مقابل مطالب أكثر، كنت أسير بين شباب ميدان التحرير أطالبهم بالرحيل، ولكن اليوم لا أستطيع إلا أن أطلب من مبارك الرحيل فهل لن يرحل إلا على جثة مصر وشبابها؟! وأردد نداءات شباب ميدان التحرير أنت تمشي مش هنمشي.

جريدة اليوم السابع – فبراير ٢٠١٠

هوامش على دفتر مواطنة تريد خروج آمن

توقفت عن الكتابة منذ يوم ٢ فبراير، فكان آخر مقال كتبته كصحفية محترفة بعنوان «لا نريدها حربا أهلية»، ففي ذلك اليوم لو تذكرون خرجت جماهير أغلبها مدفوع وبعضها برغبة خاصة مؤيدة لمبارك، مقابل ملايين غاضبة رافضة مبارك، ثم حدثت معركة طاحنة في ميدان التحرير عُرفت باسم «معركة الجمل والبغال».

ثم أخذتني الأحداث والأيام، ليس كصحفية، بل كمواطنة مصرية وأم لشاب قرر أن يكون بين الثوار، فقررت كأم أن أصحب ابني فيما هو ماضٍ إليه فإن مات مت معه، وإن عاد مهزوما أو منتصرا عدت كما عاد.

واليوم أعود للكتابة، ليس كصحفية محترفة، ولكن مجرد مواطنة تخط بيدها هوامش على دفتر أحوال حياتنا، ولهذا فلا عتاب على قلمي إن تحدث عن إعلام أو صحافة أو ناس، كنت كصحفية فيما سبق أكف قلمي عنهم، ولكني اليوم أستطيع لأني أكتب كمواطنة وأم، فلست منهم. أنا مجرد راصدة لمسرحية من عدة فصول حتى الآن ولكني لا أعرف خاتمتها، ولا أظن أن أحدا غيري يعرف.

الفصل الأول: المشهد الأول

مظاهرات يوم ٢٥ يناير، ثم تأتي الجمعة الحزينة يوم ٢٨ يناير نعيش وأعيش أحداثا جساما بدا لي رغم عنفوانها أنني أحيا في يوتوبيا أو مدينة فاضلة، برغم أني كنت أعيش في الشارع، وكم كنت أكره شوارع القاهرة قبل ذلك، ولكني في تلك اللحظات والأيام العصيبة كنت أحبها.

المشهد الثاني: « فجر يوم جديد »

يتنحى ويخرج الطاغية الغافل إلى غير رجعة، فأرقص وأضحك وأسعد كملايين الناس ونقضي ليلة العمر، ثم يأتي الصباح وكأنه فجر يوم جديد فأمشي في الشوارع أكاد أحتضن كل من وما فيها، مستنشقة هواء مختلفا، وأشعر كأن الصِّبا ما رحل.. والحلم بات واقعا وزمن واقعية الكوابيس قد رحل إلى غير رجعة.

الفصل الثاني: المشهد الأول

تتواتر الأحداث ولا معنى لأن أعيد على الجمهور تفاصيل ما حدث من وقائع يومية سياسية، تغييرات في الوزارات أو قبض على مسئولين سابقين، أو بيانات عسكرية أو غياب شرطة، فكل ما حدث يعرفه الجمهور، لكن أهم ما في الفصل الأول هو نهاية مرحلة الأحلام وزمن أيام المدينة الفاضلة، ويظهر قبح وجه القاهرة الهادرة بل تزداد قبحا، والفضل كل الفضل لأبنائها الذين ما إن انتهوا من القبض بيد من حديد على رقبة الطاغية حتى مدوا الأيدي نفسها الحديدية، ولكن على رقاب بعضهم البعض، فمسك الكل في تلابيب الكل، في خناقة لا متناهية ولا أحد فيها رابح، لأنها تسير على نفس قواعد اللعبة التاريخية القديمة صاحب الصوت العالي يكسب ولو حتى مؤقتاً، وما أدراكم ما أصحاب الصوت العالي الآن، فبئس ما يقولون وبئس أصواتهم، وفي المشهد الثاني بعض من ملامح هؤلاء.

المشهد الثاني

- ثبات في المنظر ولكن كل من على المسرح يخلع ملابسه ويبدلها أمام الجمهور مع اختفاء حمرة الخجل، حتى الجمهور نفسه صار يشارك في عملية تبديل الملابس والوجوه.

- كل الصحف فجأة تحولت إلى صحف صفراء بالغل، وحمراء مثل ليالي الدعارة، وسوداء كوجوه الكاذبين، الكل يكتب دون أدنى ضوابط مهنية أو أخلاقية، فمن يدعى اليوم من الصحفيين أن الفساد الذي يكتب عنه هو مفاجأة له، فهو إما كاذب أو في أفضل الأحوال صحفي خايب.

فكلنا وكلنا هنا أعني بها كل من كان لديه طرف من معلومة في المجتمع، كان يعرف أن الفساد يدب في أوصال الوطن حتى النخاع، أوليس من المفارقات الكوميدية أن زكريا

عزمي أحد أقطاب حكم مبارك قال في التسعينيات: «إن الفساد وصل للركب»، فإن كان هذا رأي الفاسدين المفسدين فماذا عن الراصدين أو الإعلاميين؟!

أما وإن كان هناك صحفي يكتب الآن عن الفساد متعجبا فهو ثانية إما كاذب أو خايب، وفي الحالتين ما بين الكذب والخيبة لا معنى الآن لأن تقرأ إلا من باب النميمة.. ولعجبي فإن حتى ما يُكتب عن الفساد للأسف كله دون مستندات وكلام مرسل، فيبدو أغلب الصحافة المطبوعة مثل كلامي المقاهي - أي مار أو عابر سبيل- يستطيع الكتابة في أي شيء وحول أي شيء.

وما سأرصده هو مجرد أمثلة من بعض الطوائف، فهل يُعقل أن أحدا ممن يكتبون عن الفساد مثلا في ماسبيرو هو ذاته كان متهما متلبسا بقضية زبي «أي رشوة» كاد على إثرها أن يتم رفته من صحيفته.

هل من المنطقي أن تُكتب عناوين في صحف على لسان مثلا الممثل عبده الوزير: «لولا الفساد لكنت نجما» والممثل أحمد عبد العزيز الذي نشروا قوله بأن نجوميته تأثرت بسبب الفساد.. ما هذا الهراء؟!

فتبدو لي الصحف وعناوينها وكأنها تهيص في الهيصة.

فكل الهراء الذي كان يحدث في الصحافة سابقا كوم، والآن هراء الصحافة كوم آخر كارثة.

المشهد الثالث.. ظهور خالتي فرنسا الغجرية

• والله هذا سؤال شديد البراءة من مواطنة شديدة البراءة: لماذا أكثر من ٩٠٪ من بلاغات الفساد التي يحقق فيها حالياً النائب العام مصدرها صحفي واحد، فهل كان يعلم كل هذا وأبقاه كأوراق ضغط على مسئولين في البلد لوقت عوزة أم أنه بعد ثورة ٢٥ يناير وجد فانوسي علاء وجمال الدين لكشف الفساد؟ والله سؤال بريء!!

من غرائب الحياة الآن في الصحافة أن الصحف تنشر اتهامات تطال رجال أعمال ومشروعات، ثم نفس هذه الصحف تنشر إعلانات مدفوعة للرجال أنفسهم وذات المشروعات تقول إن ما ينشر كذب وافتراء، وهو ما لا أفهمه فأنا كمواطنة أصدق من؟!

كنت فيما سبق أقول وأكتب في مواقف كثيرة بأن مبدأ الغجرية ست جيرانها صار في المجتمع المصري، ولكنى الآن أستحيي خجلا مما كنت أقول، فإن كان ذلك يحدث سابقا في بعض الحالات، فإن مصر الآن كلها تحولت إلى حالة غجرية عامة، أو على الأصح كلنا تحولنا إلى خالتي فرنسا، وفي الطليعة الصحافة والإعلام التي جرت المجتمع كله إلى حالة ردح عامة، وللحق فإن الأعلى صوتا الآن في الردح هم الفاسدون سابقا ولاحقا

فلتنسوا أو لا تنسوا كل الأخبار التي تقرؤونها وإليكم خبرا واحدا نشرته الصحف يقول إن المخرج حسني صالح قرر أن يؤجل تصوير مسلسله القادم لأجل غير مسمى بسبب تهديده، لأنه قرر أن يعطي أدوارا لبعض الوجوه الجديدة، وحددها بالاسم، فإذا ببعض خريجي معهد المسرح يهددونه بالقتل والحرق لو لم يكونوا بين هذه الوجوه، لأن حقهم أن يعملوا، فحتى التمثيل والفوز بدور في مسلسل سيسير على مبدأ «خالتي فرنسا»، فبعد أن كنا نعاني من البلطجة في مواسم محددة صارت البلطجة قانونا والاعتصام شرفا والتهديد قوة، وصرنا جميعا«خالتي فرنسا».

المشهد الرابع «الجمهور عايز كده»

كانت عبارة «الجمهور عايز كده» هي دائما عبارة يستخدمها منتجو الأعمال الفنية الفاسدة لتمرير أعمالهم ولتبرير عدم قدرتهم على مواجهة فساد الذوق.

في زمن مضى كنت أقف لمثل هذه العبارة بالمرصاد حين كان حيز استخدامها الوسط الفني أو السينمائي، ولكنى الآن لا أستطيع أن أواجهها فهي تقتلني لأني الآن أعيش في بلد كل ما فيه ومن فيه يرفع شعار «الجمهور عايز كده»، دون أن يتساءل بضمير حي: هل الجمهور على حق أم أنه يحتاج لبعض ثقافة حتى يعرف ما يريد أو يستطيع أن يفعل ما يريد؟

المشهد الخامس: «القوى الوطنية وسلم لي على البتنجان»

ما كفرت بوطني يوما حين كان يحكمه الطغاة، ولكنني الآن كفرت به حين يتحدث فيه أمام الكاميرات من يطلقون عليهم القوى الوطنية، فما أقبح هذه الكلمة! وما أقبح تلك الوجوه التي لا تستحيي! فلكل منهم حكايات مثل ذاك الذي دفع بواحد لينتحل اسم ابنه ويؤدي بدلا منه الامتحان.. فهذا من بين الرموز الوطنية.

فغريب أمر الناس سواء قوى وطنية أو غير وطنية، كرهوا الطاغية لأنه أراد أن يولي ابنه، وهم الآن من يتظاهرون ويصرخون مطالبين أماكن عملهم بتعيين أبنائهم.

الفصل الثالث: «التفاحة المعطوبة»

المشهد الأول

في زمن مضى قال الفيلسوف الروائي برناردشو: لو أن كلا منا لديه تفاحة وتبادلناها، لصار كل منا في نهاية المطاف لديه مجرد تفاحة، ولكن لو أن لدى كلٍّ منا فكرة وتبادلناها لصار لدى كل منا عديد من الأفكار.. واسمحوا لي أن أضيف على قول شو تساؤلا: فماذا لو أن كلا منا لديه تفاحة ولكن معطوبة وتبادلها مع الآخر ألن يصير العطب لغة التبادل؟ وهو ما أظنه يحدث في الفصل الثالث.. فصل التعصب الديني والنوم على الأسفلت اعتراضا.

المصريون الآن في الفصل الثالث يتبادلون التفاح المعطوب.

أما أنا فأقسم أني ما عدت أريد أن أشاهد بقية المسرحية، ولا أن أرصدها وأحكيها، لأني أبحث عن تذكرة سفر بلا عودة، فابحثوا أو لا تبحثوا عن آخر يكملها لكم.

الختام.. أنا مجرد مواطنة مصرية لم تعد لدي رغبة في نقاش التعديلات الدستورية، ولا ترتيب انتخاب الرئيس قبل المجلس التشريعي أم بعده.. أو تحليل كلمة ثورة مضادة لأني ببساطة أبحث عن «رحيل آمن».

جريدة اليوم السابع – مارس ٢٠١١

سنوات في قلعة الخطيئة (١)

تنويه ضروري قبل البداية:

لم أختر أنا هذا العنوان، بل اختاره وحدده من يطلقون على أنفسهم ثوار ماسبيرو، فهم الذين أطلقوا هذا الاسم على المكان الذى عملوا ويعملون فيه لسنوات فإن كان أهل الدار يروون ذلك فلا يصح للغرباء عن المكان مثلى أن يجدوا له أسم مخالف.

هذه شهادة منى على مكان وزمان كان يُصنع فيه بعض من الإعلام الذى تقدمه الدولة للشعب المصرى، سأذكر بعض أسماء غائبة عن المشهد بما لها وما عليها ،وسأحجب أسماء ليس خوفا من أصحابها ولكن لأنهم أمثلة متكررة فى مبنى ماسبيرو كما فى أماكن كثيرة فى مصر.

البداية

كان مبنى التلفزيون بالنسبة لى كطفلة لا يعنى إلا مبنى طوييل وفى نهايته خازووق ، على كل حال لم يكن إلا مبنى قابع على نيل مصر أصم قبيح الشكل وهو عكس إحساسى تماما تجاه جهاز التلفزيون القابع فى غرفة المعيشة فى منزلنا فقد كان له معنى آخر ، كان يمثل الدنيا وما فيها من عجائب، كان يمثل ماما نجوى وبقلظ وتوم وجيرى وبعد فترة صار يمثل ليالى الحلمية وليالى رمضان وعادل إمام وإسماعيل ياسين و كل نجوم السينما الذين اعشقهم وصوت محمود سلطان ونشرة أخبار الساعة التاسعة المقدسة لدى والدى أى أنه فى النهاية كان يمثل لى الحياة.

ومرت سنوات وظل جهاز التلفزيون عندى منفصل عن المبنى. وحتى بعد التحاقى بالدراسة فى كلية الإعلام ظل المكان بالنسبة لى مجهولا لأنى أحلم بالمطابع وصالات التحرير

وليس الاستوديوهات . والتحقت بقسم الصحافة وعملت صحفية تعشق الكلمة وترى فيها حياة أو موت . وتخصصت فى الكتابة عن السينما و الفنون التى اعشقها ودرست فنها . و كان كثير من الزملاء يعملون على أخبار ماسبيرو أو التلفزيون وكذلك يعملون فيه أحيانا فى الإعداد كما فى محطات أخرى بينما أنا أرى فى ذلك قلة قيمة ولا افهم ما أهمية خبر عن موظف يعمل فى قطاع مش عارف إيه. ولم تكن تثيرنى مثل هذه الأخبار قارئة أو صحفية بل كنت أشعر أن من يغطى أخبار ماسبيرو يبدو كمن يكتب عن قلم الأطفال أو قلم الغناء كما قال نور الدمرداش عنه فى فيلم «صغير على الحب» حين دخله باحثا عن سعاد حسنى.

وكثيرا ما عرض على أن أعد برامج أو أن أكون ضيفة فيه بعد أن كسبت سنين فى عمر مهنتى، ولم أكن أقبل فقد كان لى مرة أو اثنتين تجارب بائسة فى برامج يائسة دخلت فية مبنى ماسبيرو فوجدت مذيعة لا تعرف الموضوع الذى ستتحدث فيه إلا قبل دقائق من بداية اللقاء ، أما المعد للقاء سعيد بأن ضيفه صحفى فيعتمد عليه فى تحديد نقاط الحديث ،يعنى الخلاصة تجربتين او ثلاث تتسم بالكآبة و فقر الحال و الفكر ، ولم يكن المكان أيضا أفضل حالا من البشر..... فالاستوديوهات تعلوها الأتربة وتزينها الورود الصناعية الحقيرة .

وغاية الأمر أن ماسبيرو كمبنى وبشر لم يكن يعنى فى عقلى إلا حالة من حالات البؤس الحكومى الذى لم أنتمى يوما له.

و لأن الحياة تجود أحيانا ببعض الحظ فقد كنت جارة للناقد الكبير د.عبد القادر القط الذى جلست إليه طويلا و هو يشاهد التلفزيون وينتقد على الهواء ما يُعرض أمامنا من مادة ومن أداء بائس وهو رحمه الله كان صاحب قلم ولسان لاذع على قدر دماثة خلقه، وكان ذلك كفيل بأن يؤكد لى دون شك أن ما يُعرف بالتلفزيون المصرى وما يمكن أن يكتب عنه ليس إلا مسخرة . ومرت سنوات وبدأت عيونى وعيون الناس تتفتح على إعلام خاص وفضائيات قادمة من مختلف بقاع الأرض، لتؤكد لنا أن ليس كل ما هو مرتبط بالفن التلفزيونى يعنى الفقر بل على العكس كثير منه يحتاج إلى جهد و فن يصل أحيانا إلى فن السينما. وبدت كلمة الريادة التى عشنا نسمعها ونقرؤها سنين على ألسنة المسؤولين عن التلفزيون تبدو مثيرة للسخرية.فحتى نشرة أخبار التاسعة ما عادت تغرى أبى بالمتابعة وصارت نشرات محطات عربية مثل أم بى سى وغيرها هى التى تتصدر المشهد الإخبارى.

و جاءت حرب الخليج الأولى لتعلن سيادة الإعلام الأمريكي على العقل العربى مُمثل فى قناة السى إن إن، ثم تأتى حرب الخليج الثانية لتعلن سيادة قطر الإعلامية عبر قناة الجزيرة ،ونحن فى مصر فى سبات عميق نحلم بالسيادة والريادة فى إعلام كسيح لا يشاهده حتى الفلاحين فى النجوع، فالشعب يبحث عن الحقيقة و المعلومات عبر الفضاء وأهل ماسبيرو لا يكلمون إلا أنفسهم

و لم يكن التراجع فقط على مستوى الأخبار ولكن التراجع أيضا صار سمة حتى البرامج الترفيهية أو كما يقال عنها برامج المنوعات وما كان هناك ما يمكن متابعته أحيانا على شاشة التلفزيون المصرى إلا المسلسلات المصرية التى تستهوى بعض ربات البيوت من السابعة والربع. غاب الإعلام المصرى الرسمى عن العقل المصرى واحتله إعلام آخر من الشرق والغرب. وكانت دائما مذيعات التلفزيون ومذيعيه عُرضة لكل نكات وسخرية المجتمع وبرامجه وأفكارها موضع كل انتقاد .ولم يسلم من هذا الانتقاد إلا عدد قليل من البرامج التى كان يضطلع بتقديمها عادة وجوه ومعدين من خارج مبنى ماسبيرو، حتى لو لم تحظ بإعجاب الجميع ولكنها تظل الأفضل و الأكثر تميزا فى مكان فقير بائس مظهراً و جوهراً مثل حديث المدينة لمفيد فوزى سواء أحببناه ام كرهناه، أو حتى برنامج ككلام من ذهب لطارق علام رغم إختلافى معه، أو برنامج مع الناس للورا خرسا والذى كان يعد أول برنامج توك شو ينقل ما فى مصر من شرقها إلى غربها الى الشاشة بصورة مختلفة .

المهم ظل المبنى بشكله الذى يشبه مبانى أوروبا الشرقية الشيوعية الخالية من أى جمال معمارى بالنسبة لى يشبه محتواة القابع فى غرفة الجلوس بمنزلنا و لم يبق منه لدى إلا ذكريات صاحبت الطفولة

الفصل الأول:

عرفت المهندس أسامة الشيخ اسماً شهيراً و صانعاً للعديد من نجاحات الإعلام الخاص وقنوات مثل (الإيه آر تى - و دريم - و قناة الرأى الكويتية)، وغيرها الكثير وإن لم تكن المعرفة شخصية، ثم حدثت للرجل حادثة أقعدته لفترة وترك العمل وكعادة الحياة والبشر تدير ظهرها للبشر حين يفقدون السلطة ، وكان ذلك حال المهندس أسامة الشيخ حين تعرفت عليه رجل بلا سلطة أو سلطان ولكن جمعنا حب الصحافة أنا كاتبة

وهو قارئ نهم للصحف و مثقف كبير وصاحب خبرة كبيرة فى الحياة ،والاهم انه كان معارضاً رائعاً للنظام وصاحب مشاكل كبيرة معه ،فهو كان أول من فتح باب الظهور التلفزيونى لهيكل على قناة دريم وهو ما سبب مشاكل كبيرة فيها بعد للقناة ولأحمد بهجت صاحبها و حكايات كثيرة من الاصطدام بالسلطة والتى كانت لها دور بالتأكيد فى احترامى لأسامة الشيخ وتوثيق الصلة به فى حين لم يكن صاحب سلطة أو سلطان.

ويدون إنذار مسبق فوجئت بالصديق يخبرنى أن أنس الفقى وزير الإعلام آنذاك طلبه للعمل كرئيس لمجموعة القنوات المتخصصة التى لم نكن كمشاهدين نعرف عنها إلا سلمى الشماع وبرنامجها اسهر معانا، و أحيانا كان المشاهدون يعرفون سهير شلبى وهى تقدم برنامجاً يعاد عشرات المرات و هى ترتدى قلوب كثيرة و دمتم....

وتعجبت كيف يقبل الرجل العمل فى هذا المكان البائس بعد تجربة إعلامية حرة ثرية ولكنه أكد لى أنه اشترط ألا يكون أولا عضواً فى الحزب الوطنى بالتبعية لمنصبه، ثم أسرى إلىَّ أن مصر بحاجة لكل خبرات أبنائها وانه لن يبخل بخبرته الآن على بلاده. ومن الغريب أن يكون نفس هذا الشخص الآن قابع فى سجن طره ينتظر المحاكمة بتهمة إهدار المال العام....... على كلٍ، و حين تأكدت من موافقته قلت له إذاً أنت ستناسب الحكومة وستصبح صاحب منصب وبالتالى ستنقطع صلتى بك لأنك ستعمل فى المبنى ابو خازوق حسب تسميتى له فى حينه.

ولم أكن اعرف أو أتصور أنى سأضطر يوما لدخول نفس المكان وأن أُناسب الحكومة ولكن بلا سلطة أو سلطان.

جريدة اليوم السابع أبريل ٢٠١١

سنوات فى قلعة الخطيئة (٢)

انتهينا فى الفصل الأول بأن أعلن لى أسامة الشيخ موافقته على قبول منصب رئيس القنوات المتخصصة التى تشمل باقة قنوات لم نكن نعرف، كمشاهدين، إلا القليل عنها، مثل المنوعات والدراما والثقافية والرياضة والمعلومات، وتعجبت أن يوافق الرجل على أن يتحمل مسؤولية محطات شبه ميتة وهو صاحب التجربة الإعلامية الثرية، إضافة لأنه سيخسر راتبا كبيرا من عمله فى مؤسسة إعلامية كويتية. قَبِل الرجل المنصب وغاب عنى لبعض الوقت، إلى أن فوجئت به يتصل بى ويطلبنى للمقابلة على وجه السرعة فى مكتبه بماسبيرو، وكانت أول مرة أدخل فيها مبنى ماسبيرو. كنت ذكرت أن استوديوهات ماسبيرو كانت أماكن بائسة، أما المكاتب فكانت أكثر بؤسا.

فى طريقى لمكتب أسامة الشيخ بالدور السابع من مبنى ماسبيرو لم أشعر أننى فى صرح إعلامى تم إنشاؤه فى الستينيات من القرن الماضى، ولكنه بدا ديوانًا من دواوين الحكومة فاجأنى أسامة الشيخ بطلب فكرة وشكل لبرنامج يعُرض على قناة الدراما فى رمضان كفاصل بين المسلسلات. تصورت أنه يقصد رمضان العام القادم لأن رمضان كان بعد ٦ أيام من لقائنا. أبديت له استحالة ذلك لقصر المدة وعدم استعدادى للدخول مع التليفزيون المصرى فى عمل، أصر وقال لى عبارة صارت موضع تندر لى فيما بعد وهى: علشان مصر.. لابد أن نقدم برنامجا يعيد المشاهد المصرى للتليفزيون بعد أن سرقته المحطات السعودية واللبنانية. كان الرجل جاداً لكننى جعلت كلمته نكتة أرددها كلما أعيتنى مصر. وأتساءل: أليس هناك من أحد يحب مصر غيرى؟!

استطاع أسامة الشيخ أن يجدد إقامتى فى التليفزيون منذ ذلك الحين من أجل المسلسلاتى، وجعلها قضية وطنية. كان الوقت المتاح ضيقاً ومعرفتى بالمكان والبشر معدومة، طلبت أن أشاهد شرائط للمذيعات المتاحات، واخترنا مجموعة على كل حال. واستجاب أسامة الشيخ لطلبى فى أن نحضر لهن ستايليست وكوافير من خارج المبنى، لأن مظهر المذيعة وخاصة فى برامج المنوعات مهم جداً، وأغلب مذيعات التليفزيون لدينا يفتقرن إلى حسن المظهر، إما بسبب فقر الحال، أو الذوق، أو عادة الاثنين معاً. وطبعا كان البدايات صعبة، فالفنانون المصريون خاصة النجوم فى خصام مع التليفزيون، والقنوات الأخرى تدفع لهم بالدولار لتستضيفهم خاصة فى رمضان، ولكنى تعلمت من أسامة الشيخ أن لكلمة علشان خاطر مصر مفعول السحر معى، وأيضاً مع فنانى مصر الذين لم يرفض أحدهم الدعوة للظهور على التليفزيون المصرى دون مقابل، إضافة لأن المذيعات اللاتى كن ممتنات للظهور فى برنامج جيد إلى حد ما وأصبح له مشاهدة، بعد أيام تصورن أنهن نجمات، وصار التقاتل والمشاكل بينهم على أشده، ورغم أنى امرأة إلا أنى أدرك جيداً أن أشرس خصومة هى خصومة النساء. فما بالكم لو كن مذيعات فى التليفزيون المصرى؟. ولكن المشكلة الأكبر تمثلت فى أن وجودى فى البرنامج صار يعنى انتقادا لبعض الفنانين حول أدوارهم الرمضانية فكنت أنقل بشكل يومى آراء الجمهور السلبية بعيداً عن مجاملات المذيعات وإن كان أغلبهم تقبلها، إلا نادية الجندى التى شكتنى لأنس الفقى الذى لم أكن التقيته من قبل وأسامة الشيخ، ورفضت الظهور فى البرنامج إلا فى حضور زميلة أخرى صحفية تضمن رقتها معها بدلا من انتقادها مثلما كنت أفعل.

«المسلسلاتى» وصحفيو التليفزيون

البرنامج استطاع أن يحصل على مشاهدة دفعت بقناة الدراما التى كانت مجهولة لدى المشاهدين وتنتج ٤٥ برنامجا، إى والله، ولم يكن أحد يعرفها، استطاعت ببرنامج واحد مدته ١٥ دقيقة وفكرة بسيطة أن تنقل القناة نقلة نوعية، فأصحاب القرار فى التليفزيون المصرى عادة ما ينظرون للشاشة على أنها بحاجة إلى تعبئة شرائط ووقت وليس فكر حتى على بساطته قد يجذب المشاهد، ولهذا لم تكن نادية الجندى والمذيعات ومشاكلهن العقيمة هن فقط المشكلة ولكنى اكتشفت أن هذا البرنامج خلق حالة هجوم من بعض الزملاء

الصحفيين الذين يغطون أخبار التليفزيون ولم أكن أعرفهم بشكل شخصى، قال إيه.. علشان هذا البرنامج قطع عيشهم لأن بعضهم كانوا يُعد خمسة وعشرة برامج أحيانا على طريقة «عبى شريط ودمتم».. وكونهم ينقلون أخبار المبنى للصحف كان يسمح لهم باعتبارهم مراكز قوى، وللأسف كثير منهم له ثمن يتراوح من ساندويتش أو وجبة فى كافيتريا التاسع إلى برنامج أو أشياء أخرى!!! ونَجُمَ عن هذه العلاقة غير السوية نظرة فيها كثير من الكراهيّة وعدم الاحترام للصحافة والصحفيين داخل مبنى ماسبيرو وفى ذات الوقت يحتاجون لهم من أجل ضربات تحت الحزام بين الزملاء وبعضهم فى التليفزيون.

أخلاق الزحام تجتاح ماسبيرو

والغريب أننى اكتشفت منذ أن دخلت ذلك المبنى أن ما بين الاهتمام بما تنقله الصحافة عن أهل المبنى والتشاحن الذى يحصل على ماذا من درجة أو مرتب، لا يُبقى لأهل المكان مجهودا للحديث فى تجويد العمل أو إضافة الفكر. ولكى لا اتهم بالظلم أو التعميم لكل قاعدة استثناء، وفى ماسبيرو هناك استثناءات بالتأكيد، ولكنها تائهة بفعل أخلاق الزحام التى تجتاح المكان.. ففى مبنى قوامه أكثر من ٤٠ ألف موظف ويمكن أن يديره ألف شخص، يصعب أن تتحدث عن جودة أو ابتكار. وفى بلد لم يتعلم أهله لغة العمل الجماعى حتى فى الإعلام يصعب أن تجد عملاً جيداً إلا بشق الأنفس، وعادة ما ينتهى بتقاتل القائمين عليه ليثبت كل منهم أنه صاحب النجاح منفرداً وينسى مشاركة آخرين له، وإن كان ذاك سمة غالبة فى مصر، فإنها السمة الوحيدة فى التليفزيون المصرى الذى يمثل كل سلبيات البلد والمرحلة.

وإضافة إلى أخلاق الزحام والفردية هناك أخلاق التدمير، فعادة كل برنامج يعمل فيه مئات دون داع إلا أكل العيش وهؤلاء يتفننون فى تعطيل العمل أى عمل إما لنقص فى الموهبة المطلوبة أو ليأس من التواجد.

انتهى شهر رمضان، وكان يجب أن ينتهى المسلسلاتى، طلب أسامة الشيخ منى الاستمرار ورفضت، لأن طبيعته تصلح لرمضان أو على الأكثر حلقة أسبوعية وليس يومية. كان الرد وماذا أفعل مع العاملين؟، لابد أن أجد لهم برنامجا يوميا لزيادة دخلهم!!!

- فأيقنت أن كثيراً من قرارات بعض المسؤولين داخل المبنى ترتبط باعتبارات كثيرة آخرها قيمة ما يقدم. اعتذرت ورغم ذلك استمر البرنامج من أجل العاملين. ومات على الشاشة وصار علامة لسوء السمعة بين البرامج على اختلاف معديه والمسؤولين عنه ولم يفكر أحد فى أن يدفن الجثة ويقول وحدوووه.. بقوا يأكلون «عيش» على الجثة التى كنت يوماً واحدة من شهود ميلادها. ومازال المسلسلاتى مستمراً حتى الآن والحاجة أكبر لاستمراره بعد الثورة ليس لدوره الرائع فى الوعى، ولكن لأن بعضاً من العاملين فيه وجوه تقف فى بهو المبنى ثائرة، فأتعجب ألا يرون عيبا فيما يفعلون على الشاشة وأن أولى بهم-أن يثورا على ما يقدمون.. ولكن يبدو أن أسهل على بعض ثوار ماسبيرو الكلام عن فساد عام من معالجة فساد يخصهم والمسلسلاتى خير مثال.

حنان شومان

سنوات في قلعة الخطيئة (٣)

خلق الله الإنسان مزيجاً من الفجور والتقوى ولكنه ما خلقه فرعونا متجبراً، ولكن البشر هم من يخلقون الفراعنة، فأبحث فى التاريخ ماضيه وحاضرة عن أى فرعون ستجده صناعة المحيطين به. ومبنى ماسبيرو للحق كما شاهدت من أبرع الأماكن فى صناعة الفراعين،فيكفى أن تكون رئيسا ،أى رئيس،لتثق انه سيتم نفاقك دون حدود وأنك لا يأتيك الباطل من أمامك أو خلفك ولكن عليك أيضا أن تثق فى أن الخصومة فى ذات معقل النفاق تكون خصومة طاحنة.

وعلية فإن النفاق أو الخصومة فى ماسبيرو لا وسطية فيها،هذا كما قلت لو أنك مجرد رئيس فما بالك لو كنت وزيراً أو رئيس قطاع إنسى......لأنك يا ريس ستكون صاحب الحكمة والقول السديد والرأى الرشيد. وفى مبنى ماسبيرو لا يستطيع إلا الملائكة مقاومة هذه الفتنة، وبما أن الملائكة لا يسكنون الأرض ومبنى ماسبيرو إختار له سكانه أسم قلعة الخطيئة فإنه أيضا من الصعب أن تحاكم فراعينه دون أن تحاكم من صنعوهم على كثرتهم. هذا هو العدل الذى سيفرضه الله يوم الحساب ولكنه مفقود على الأرض ،فهل هناك أحد فى ماسبيرو يحاكم نفسه الآن لأنه ساهم على مدى سنوات فى خلق فراعين يرجمونهم الآن؟؟؟؟؟ كنت قبل سنوات من دخولى المبنى أسمع والله أعلم أن أكثر خطايا ماسبيرو كانت خطايا أخلاقية ولكنى أشهد أن أكثر الخطايا التى شاهدتها كانت من النوع الذى أشرت إليه من صناعة الفراعين.

***

فصل جديد

كنت أتصور أن بخروجى فى نهاية شهر رمضان عام ٢٠٠٧ من ماسبيرو بعد انتهاء برنامج المسلسلاتى بالنسبة لى، لن أعود له ثانيةً ولكن كان القدر يكتب لى مساراً أخر فى عودة ثانية ظلت لسنوات أخرى، وكأن مقدر لى أن ارتبط بالمكان لأرى فيه نهاية عصر و بداية عصر آخر.وفى خلال هذه المدة لم أكن قابلت وزير الإعلام أنس الفقى آنذاك رغم أن لا شيء يتم فى المبنى وليس هناك من جملة مفيدة تقال إلا ويكون فيها أسم الوزير.... فكل مسئول يصدر قرار أو يقول جملة ينهيها بأنه أمر الوزير وكل موظف كبر أو صغر يفعل شيئا يذيل فعله وقوله بأنه حسب اتفاقه مع الوزير....لم أكن أشاهد أو قابلت الوزير ولكنه كاسم كان يحيط بى من كل جانب وإن أكدت لى الأيام أن الكثير ممن كان لاسم الوزير فى كل ممن كان يردد أسم الوزير ليبرر أعماله كان كاذبا،ليس لان الوزير كان ملاكاً أو غافلاً ولكن لان الوزير كان مهموما فقط بتهيئة مناخ يبدو حراً من أجل تمهيد التربة لعصر شباب لجنة السياسات. مبنى ماسبيرو كما سبق وذكرت مثال حى قائم لكل سلبيات الناس فى مصر وخطاياهم فى إفساد المسئولين. ولدى تجربة خاصة مع أنس الفقى قبل أن ألقاه حين أتى رمضان عام ٢٠٠٨ واتفقت على أن أعد برنامج الكمين على قناة نايل لايف ،وفى أعراف التلفزيون يتم إرسال أسماء الضيوف المقترحة إلى الوزير لإجازتها مما سبب لى ضيق شديد وإحساس بالرقابة المبكرة على عمل لم يتم،ولكنى على كل حال أرسلت قائمة بالضيوف لمكتبه الذى رد على برفض مجموعة من أسماء الضيوف للأسباب سياسية، وحين اتصل بى مدير مكتب الوزير لإبلاغي أصررت على قائمة ضيوفى وإلا سأعتذر عن البرنامج وأوضحت وجهة نظرى بإصرار وبالفعل عادت الإجابة بالموافقة على أى ضيف أقترحه لدرجة أن مدير مكتبه قال لى مش ناقص يا أستاذة غير استضافة أيمن نور فضحكت وقلت والله فكرة فرد يبدو إنك عايزة لينا خراب البيوت!!!! إذا كلمة «لا» فى وجه الحاكم أى حاكم تعتمد على صاحب حق مصرٌ على حقه، وأزعم ان طوال عملى فى ماسبيرو لم يقهرنى حاكم ولكن قهرنى وعذبنى ضعف المواهب وقلة ضمير كثير من الفنيين مثل مخرجين ما هم بمخرجين وبعض مصورات ومصورين يناموون خلف الكاميرات ونوعيات ممن يعملون بالمونتاج ما انزل الله بهم من

سلطان ومساعدين لهم لا تأخذ منهم عمل إلا إذا ضمن الحوافز فى يده قبل العمل. أسلوب العمل فى ماسبيرو وعدد العاملين خلق موظفين ولم يخلق مبدعين،فالعمل الذى يمكن أن يفعله واحد يُجدد له عشرة و فى النهاية يقوم واحد فقط بإنجازه بشق الأنفس وينتظر الآخرين الثواب والدرجَة والحوافز فيسود الظلم دون إجادة.

أنا والوزير والناس:

كنت قد آليت على نفسى ألا أكتب عن التلفزيون وبرامجه سلبا أو إجاباً منذ أن بدأ تعاملى معه حتى لا أُتهم بمحابة أحد أو الهجوم على أحد ولكنى خالفت هذه القاعدة مرة واحدة حين تم العدوان على غزة من قبل إسرائيل، وبدا التلفزيون ببرامجه وتناوله الإعلامى كسيح أمام الهجوم على مصر،لم استطع أن التزم الصمت لأنى فى هذا الموقف لم أكن ملزمة بالحديث عن برنامج أو شخص ولكنى أتحدث عن سياسة إعلامية عامة هاجمت فيها الوزير وقلت إن حين تتخذ لأول مرة مصر موقف سياسى قوى يخذلها إعلام دولة كسيح مسئول عنه وزير وجب حسابه لأنه فاشل فى أهم ما يجب الدفاع عنه .اتهمت الوزير بالفشل ولم أفكر فى أنى أقدم عملا فى التلفزيون فأنا اقول كلمة حق. وفوجئت بصدور قرار بمنعى من العمل فى التلفزيون وأن العاملين داخل المبنى فى ذلك اليوم لم يسلم فيهم أحد على بل يديرون وجوههم عنى ربما خوفا من أن يقال عنهم انهم سلموا على اللى شتمت الوزير.....ثمن قليل تصورت أنى سأدفعه من أجل حرية رأى. ولكن لعجبى اتصل بى الفقى الذى لم أكن التقيته من قبل واعتذر عن قرار اتخذه موظفوه ظنا أنهم بذلك يدافعون عنه وقال أن من حقى أن اعبر عن رأيى فقلت له جملة كان عليها شهود قلت اللهم إجعلنى كلمة حق عند سلطان جائر أو حائر فلما رد بأنه ليس كذلك قلت إن من يحكم ويتحكم فى أكثر من ٤٥ الف نسمة لابد أن يكون حائر وجائر وقد كان كذلك بالفعل.......

والغريب أن بعد هذا الموقف دون أن أدرى صاروا يحكوا عنى داخل المبنى أنى من الأقوياء وحكايات ليس منها شيء حقيقى، وانضم الزملاء الصحفيون فى نسج أرقام أتقاضاها عن برنامج أقدمه وأنى اعمل مستشارة للمسئولين فى التلفزيون وما من شيء مما كان يتردد صحيحاً، فقد كنت فقط معدة لنشرة فنية يومية ثم تلى ذلك تقديم برنامجا

نقدى للصحافة الفنية وهى مهنتى وكان يصعب ان يقدمه أحد غيرى من المتاحين من مذيعات التلفزيون بتوع يا قمر يا جميلة وبرنامج كلام على ورق كان فى المقام الأول برنامج نقدى لاذع ، والاهم أنى كنت شاهدة على نهاية عصر وبداية آخر.

الفتنة الطائفية الغائبة الحاضرة:

كانت مصر تموج طوال سنوات ماضية ومازالت بفتنة دينية غذتها السياسة وأطماعها وجهالة تعليم وعقول مظلمة حصرت علاقة البشر بعضهم ببعض بخانة الديانة وصورة الحجاب ورغم كل ما كان يموج به الشارع ما بدا أن مبنى ماسبيرو يعانى من هذه المشكلة على الأقل فيما كنت أرى، إلى أن حدث موقف أكد لى أن الفتنة دائما نائمة لعن الله من أيقظها. كانت رئيسة التلفزيون نادية حليم سيدة من وجهة نظرى طيبة وإن لم أكن أعرفها من قبل إلا كمذيعة بلا لون أو شخصية تدعوك لتذكر أى من برامجها ، وطبعا كل هذه المواصفات بالتأكيد لا تكفى لكى تقدم رئيسة كفء للتلفزيون ولكنها على كل حال كانت كذلك. وكم ممن تبوؤا مناصب فى هذا البلد كانوا اختيار فى غير محله إذاً لم تكن نادية حليم استثناء.ولكن المصيبة كانت فيما اكتشفته من عقل سيدة كانت مسئولة عن جزء من الإعلام . لم أقترب من ناديه حليم طوال فترة عملى فى التلفزيون ولكن كنا نلتقى مصادفة مع تحية متبادلة غير أنى وجدتها على غير عادة

تسألنى فى مرة عن أسمى بالكامل فتعجبت وقلت حنان شومان فقالت أنها طبعا تعرفه ولكنها تريد أسمى الثلاثى فقلت غريبة وذكرت اسمى ثلاثيا يتوسطه عبد العزيز فقالت يعنى مسلمة فزاد تعجبى فردت بأنها منذ أن رأتنى وتصورت انى مسيحية لأنى فى معرض حديث لى أمامها قلت عن أحد القساوسة كلمة أبونا ولما سألت وما الفرق فقالت أصلى مش بحب المسحيين قلت يا نهار أسود سيدة مسئولة كما هو المفروض عن جزء من وعى المجتمع تصنف الناس حسب الدين وهى أيضا ترأس بالتأكيد مسيحيين ومسلمين فكيف تعدل بينهم وهى من تجهر بحب أصحاب ديانة وكراهية آخرين!!!!!

وأيقنت وقتها إن مصر فى خطر وورطة كبرى إن كان بعض كبار مسؤوليها يفكرون بهذا المنطق فما بال نعيب على الدهماء جهلهم.

وإن كان الآن هناك من حديث عن ديمقراطية وانتخاب أصحاب المناصب ،أولى أن

نطلب إجراء اختبارات نفسية وعلمية على من سيتولون المناصب حتى نأمن ألا يكونوا متطرفون قد لا يجاهروا بآرائهم فى التطرف ولكن سيمارسوه بالتأكيد وينقلوه بالتبعية لآخرين.

جريدة اليوم السابع مايو ٢٠١١

سنوات في قلعة الخطيئة (٤)

تنويه لازم:

أثارت الثلاث مقالات السابقة ردود فعل كنت أتوقعها ليس لأننى أتمتع برؤية ثاقبة ، ولا لأننى قصدت أن أصنعها بكتابتى عن مبنى التلفزيون ،ولكن لأن فى مصر خلال السنوات الأخيرة وبالتالى فى مبنى التلفزيون كمثال مصغر لهذا البلد ،فقدنا كثير من الموضوعية والوسطية حتى فى الخصومة فأنت إما معى أو ضدى و لو كنت معى فأنت صديق ولو كنت غير ذلك فأنت عدو تستحق الرجم. وقد رجمنى البعض من أهل المكان وكأنى كنت اتهمهم بشكل شخصى حين تحدثت عن سلبيات مكان يضم آلاف من البشر على اختلاف نوعياتهم ولكنهم فى النهاية يمثلون نماذج سلبية وإيجابية فى ذلك البلد.لم أكتب عن مبنى ماسبيرو لأكون صديقة أو عدوة لأحد بل يعلم الله انى ما كتبت إلا لكى أضع أمام القارئ نموذج من كثير من مؤسسات مصر الإعلامية وخاصة الحكومية التى تئن من التخمة ابتكار أو تميز،وهو ما أتمنى أن يتغير . والتغيير لا يمكن أن يأتى إلا إذا وضعنا أيدينا على أسباب الداء ولو لم يقتنع أهل ماسبيرو ومصر كلها أن العيب ليس فى حكامهم فقط ولكن فيهم أيضا وأننا جميعا بحاجة لتربية أنفسنا على العمل الجاد والتركيز فيه والتعود على العمل الجماعى وكثير من الخصال التى نفتقدها فعلينا أن ننسى،فلا ثورة ولاعشر ثورات كفيلة بأن تحسن أحوالنا لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرو ما بأنفسهم.

وأخيرا فإن اكتسبت عداوات مما كتبت فقد ربحت فى مقابلها وهو الأهم احترام لدى البعض الذين يدركون أن المصريين بحاجة لثورة أكبر على سلبياتهم هم قبل حكامهم

سواء كان الحاكم رئيساً أو وزيراً أو مديراً،وأن الإعلام الذى هو لسان حال الناس يجب أن ينقى نفسه حتى ينقى اللسان والفعل والكلام.فالشكر واجب إذاً لمن هاجم لان هذا يعنى انى نكأت جرحه فصرخ والشكر موصول لمن اختلف أو اتفق ولكن بموضوعية.

الفصل الأخير:

كانت مصر كلها تعاني مما يعان منه أهل ماسبيرو فهم من أهلها، وإن بدا لمن ليسوا منه أنه لسان حال الحكومة وبالتالى فأهله مسئولون وموافقون عما يجرى على شاشاته من تأييد لحكم كنا جميعا نعانى منه....ولكنى أشهد بأن النكات السياسية الساخرة من الحكومة التى كنت أسمعها من أهل ماسبيرو سواء من كبار المسئولين أو صغارهم لم تكن إلا دليلاً على رفضهم لواقع سياسى وإجتماعى رافضين له ولكنهم لا يملكون من مقاومة له إلا النكتة والسخرية منه وهى صفة أصيلة فى تكوين المصريين على مدى العصور.

وجاء يوم ٢٥ يناير وما تلاه من أحداث لم يكن فى حسبان أحد أنها ستحدث بهذه الوتيرة والسرعة ، وحين أتى يوم ٢٨ وأدركت كأم أن ابنى وأبناء آخرين قد يُقتلوا على يد قوات الشرطة وأنهم يطالبون بها أطالب به عمراً قررت أن أكون معهم ولتكن نهايتنا واحدة لو أراد الله وكان ماسبيرو يبث أكاذيب حول ما يحدث فى ميدان التحرير فقررت فى صباح يوم ٢٩ يناير أن اتجه إلى مبنى ماسبيرو المبنى الذى عملت فيه بعض الوقت وأزعم أنى أعرف فيه بعض أصحاب القرار فمشيت على قدمى باكية حتى مبنى ماسبيرو الذى أحاطته القوات من كل مكان ودخلت إليه كمواطنة مصرية تطلب أن تقول الحقيقة لأهله علهم يجهلونها رغم ثقتى من الفشل ولكنى كنت أحلم بالأمل.

وصعدت إلى الدور الثامن على قدمى لأنهم عطلوا المصاعد خوفا من محاولات اقتحام المبنى وبدا المكان مهجورا على غير عادته.

وصلت إلى مكتب رئيس الإتحاد أسامة الشيخ ودخلت عليه فوجدته واضعا يده على رأسه منكسا وجهه فحين رآنى سألنى كيف وصلت وكيف هى أحوال الميدان وحين رجوته بكل ما بيننا من مودة أن ينقلوا الحقيقة على الشاشة قال لى شهادة اشهدها للتاريخ وأمام الله، «أنا أجلس هنا مغلول اليد الوزير وعبد اللطيف المناوى هم من يديرون المعركة لدرجة أننى كدت اضرب المناوى ولكنهم منعونى اصعدى للوزير ربما سمعك،

أتمنى أن أرحل من هذا المكان الآن إلى التحرير ولكن لا أجد وسيلة للهروب».

صعدت إلى الدور التاسع حيث مكتب وزير الإعلام أنس الفقى وحين دخلت غرفة السكرتاية التى تؤدى لمكتبه وجدت الفقى واقفا يراقب المشهد الذى يجرى أمام المبنى من خلف الشباك وفوجئ بى فسألنى كما سأل أسامة الشيخ عن كيفية وصولى للمبنى فوقفت أمامه باكية كأم أطلب منه ان تظهر الحقيقة على الشاشة لان هؤلاء الذين يقولون عنهم بلطجية منهم ابنى وقد يُقتل ولا أخجل أن أقول أنها المرة الأولى التى أتوسل فيها لمسئول ولكن توسلاتى كانت توسلات مواطنة وأم تخاف على بلدها وابنها معاً.

وأشهد أمام الله أن ما سأنقله حدث دون زيادة أو نقصان حين قال لى الفقى «وهل هؤلاء(مشيرا للمتظاهرين فى الشارع) سيفهمون الحقيقة» فصرخت فيه قائلة نعم فطلب منى أن أعود لبيتى لأنه لن يستطيع حمايتى وما كنت بحاجة لحمايته بل هو الذى كان بحاجة لحماية من آخرين.

وعدت مرة ثانية للدور الثامن حيث مكتب أسامة الشيخ الذى قال لى ما إن رآنى ألم أقل لكى أنه لا فائدة ونظر إلى شاشة التلفزيون أمامه والتى كانت تظهر عليها قناة العربية مصورة اكتمال احتراق مبنى الحزب الوطنى وقال : «احتراق مبنى هذا الحزب رمز لاحتراق الظلم إبقى طمنينى على مصر».

النهاية وربما البداية :

وكان ذلك آخر عهدى بمبنى ملسبيرو ولم أعد له ثانية، ولكنى كنت أرقبه مثل غيرى مكان ومبنى يحتاج لثورة خاصة ليست كتلك التى يقوم بها المعتصمون فى البهو الداخلى أو خارجه، ولكنه محتاج ليد قوية وعقل راجح وخيال واسع يقر بأنه لا صلاح لهذا المكان إلا اذا تم التخلص من الترهل الوظيفى المتمثل فى آلاف من الموظفين ومن هم محسوبين على أهل الإعلام وما هم بذلك. المكان والبشر محتاجين لإعادة صياغة وتسكين، والأيدى المرتعشة لن تستطيع إصلاح ولكن سيبقى الوضع على ما هو عليه. وأزعم أن من تولى مسئولية المكان وهو د.سامى الشريف غير مؤهل لهذه المهمة فى الظروف العادية فكيف به فى مثل هذا الظرف؟؟؟ فمسئول يخرج بقراراته على الهواء ،ويجرى بينه وبين بعض العاملين معه تراشق مثل ما شاهدناه على الشاشات،ويقبل أن يعلن قراراته على

شاشات أخرى غير التى يديرها وكثير مما نراه ونسمعه منه،لا يدل إلا عن مسئول فى غير محله ولا وقته. والناس على دين حكامهم غالبا فكيف بمكان يرأسه سامى الشريف ويعج أساساً بالآف فى غير محلهم......

كلمة أخيرة: لم يكن كل ما شاهدته فى تجربتى بماسبيرو خطايا ولا رأيته قلعة للخطيئة ولكن حين يراه ويقول عنه ذلك العاملون فيه فلا أملك إلا أن أتمنى زوال كل قلاع الخطايا فى مصر حتى ولو كان ماسبيرو ونبنى بدلاً منه حديقة تمنحنا هواءً نقياً على صفحة النيل بعد طول تلوث.

جريدة اليوم السابع مايو ٢٠١١

الفصل الثاني

حكايات من بلاد ومهرجانات



مقدمة عامة

قالوا قديماً في السفر سبع فوائد لكل الناس ولكن للصحفي في السفر عشرات الفوائد، ففيها يقابل ناساً غير الناس، ويرى أرضاً غير الأرض، وثقافة غير الثقافة التي يعرفها، في السفر حركة بين التاريخ والجغرافيا، وكم تحركت بينهما فقد زرت الشرق والغرب، والشمال والجنوب.. زرت بلاد الكاوبوي من شرقها إلى غربها ومن شمالها في كندا إلى جنوبها في المكسيك.. البلاد التي تركب الحمير مثل ريف مصر ولكن حمير المكسيك مزينة بالكرانيش، ودعوني إليها لأني سائحة، تصوروا أن ركوبها سيكون تجربة فريدة بالنسبة لي ولكني رفضت، فما أكثرها في بلادي.

زرت بلادًا تركب الأفيال، ووقفت أمام «تاج محل» أسطورة الحب، والخلود، وذهبت إلى بانجلادش الفقيرة الصابرة وباكستان الغنية الممزقة، وكثير من عواصم أوربا السيدة العجوز الوقور، وبلاد مهند، أما عالمنا العربي فما تركت منه بلدًا إلا وزرته، ووقعت في هوى بلاد وأهلها وكرهت بلادًا وما عدت إليها.. ولكن في النهاية يظل السفر مهماً.. كبرنا أو هرمنا، رحلة في التاريخ والجغرافيا فتعالوا معي إليها حتى وإن لخصتها في مجرد كلام على ورق.



رحلة إلى بلاد الورد والعسل والزبادي

يحكي عنها أهلها فيقولون إنها بلاد ليست كأي بلاد، فالأسطورة تقول إن الله سبحانه وتعالى قد أنشأ الأرض وقسمها بين الشعوب فأعطى كل شعب قطعة أرض يسكنها ولم يبق شعب بلا أرض إلا أهل هذه البلاد، فسألوا الله أين أرضنا التي سنسكنها؟ وقتها عرف الله أنه نسيهم وأنهم شعب بلا أرض ولم يكن هناك من حل إلى أن أتى الله بقطعة صغيرة من الجنة وألقى بها على الأرض فأسكنها هذا الشعب.

هكذا يحكي أهل بلغاريا عن نشأة بلادهم التي يرونها قطعة من الجنة على الأرض، وهي بالفعل كذلك، فهي تقع في جنوب القارة الأوربية تحدها اليونان من الغرب وتركيا من الجنوب، فقد منحت الطبيعة بلغاريا أجمل هداياها.. شواطئ جميلة وتطل على البحر الأسود وأرض خصبة وغابات وجبال تكسوها الخضرة صيفاً والجليد شتاءً.

وبلغاريا التي كانت في يوم ما دولة تابعة للكتلة الشرقية يحكمها الحزب الشيوعي، تحولت بعد سقوط حائط برلين إلى سياسة السوق المفتوحة، بل إنها بلاد حين تزورها تشعر أنها محتلة بشركة الكوكاكولا والماكدونالدز المنتشرة في كل ركن وإعلانات الأفلام الأمريكية التي تؤكد لك أنها انتقلت من بلاد تعشق الشيوعية إلى عشيقة لأمريكا تنام في سريرها، وتأكل طعامها وتتعاطى ثقافتها ولكنها لا تتكلم بلسانها بعد، فقليل من أهل بلغاريا هم الذين يتحدثون الإنجليزية بل أغلبهم يجيد اللغة الروسية والألمانية. وبلغاريا كدولة تنتظر عام ٢٠٠٧ على الإطلاق، فالشعب فقير أغلبه مزارعون كان المستوى الاقتصادي في دولة شيوعية يناسبهم، ولكن منذ سقوط الحائط بدأت الحياة تزداد غلاء

والناس تئن تحت وطأة الفقر والبطالة، فمتوسط دخل الفرد في بلغاريا ٣٠٠ ليفة، وهي عملتهم حتى الآن هذا المبلغ كان يسمح بحياة كريمة إلى حد ما في زمن مضى أما الآن فإن أهل بلغاريا يصارعون الأيام وصعوبة العيش خصوصاً إذا عرفت أن إيجار الشقق هناك يبدأ من ٦٠ إلى ٢٠٠ ليفة، هذا غير كلفة التدفئة والتي تتكلف حوالي ٢٥٠ ليفة شهرياً في المتوسط.

وإن كانت الطبيعة - كما سبق وقلت - منحت بلغاريا هداياها وتحتلها الآن الكوكاكولا إلا أن مباني كل المدن البلغارية، بداية من صوفيا العاصمة إلى أقصى الجنوب تعلن بصوت مرتفع هذه بلاد كانت في يوم ما شيوعية فكل بيوتها ومبانيها تبدو مثل بلوكات المساكن الشعبية لدينا في مصر، بفارق واحد أن غسيلهم منشور داخل البلكونات وعلى الشبابيك أصص الزرع والورد بدلاً من دولة الكراكيب التي تحتل شرفاتنا.

وبسبب الغلاء والبطالة يهاجر كثير من شباب بلغاريا إلى دول الوطن الأكبر، إلى أوربا الرأسمالية حتى إن إحدى الشابات البلغاريات التي قابلتها قالت لي إن أكثر من ٩٠٪ من زملائها في الجامعة هاجروا إلى بلاد أوربية أخرى، وهذا بالتالي يؤثر أكثر وأكثر على الكثافة السكانية بالنقصان، فتعداد السكان يبلغ ٨ ملايين فقط في بلاد لديها إمكانات كثيرة ولكن أيضاً لديها كثير من الفساد حتى إنك تجد عدداً كبيراً من التحذيرات في اللحظة التي تطأ فيها قدمك مطار صوفيا مثل؛ لا ترتدي ذهباً ولا تمشي بمبلغ كبير من المال وعليك بالحذر الشديد من الغجر والمافيا المنتشرين في هذه البلاد، فبلغاريا المورد الأكبر ومعقل الغجر داخل أوربا وتستطيع أن تتعرف إليهم بسهولة في الشوارع، فلونهم شديد السمرة وملابسهم عادة رثة ويحترفون الغناء والشحاذة في الشوارع، وحين كنت أجلس على أحد المقاهي مع صحفية ومذيعة بلغارية، أتت إلينا إحدى فتيات الغجر لتطلب مالاً ووجدت رفيقتي تشعر بالحر وتنهرها فضحكت وقلت لها وكأنني في ميدان سيدنا الحسين أو أحد شوارع القاهرة فلا داعي للحرج، ولكن الفارق بين الشحاذين لديهم ولدينا أن بعضهم يكوّن فرقاً موسيقية ويعزف في الشوارع مما يذكرك بشخصية على الأليت التي ابتكرها الفنان مصطفى حسين، فهم شحاذون لكن بشياكة ودون إلحاح. أما

المافيا فإن لها عصابات منظمة وأفرعاً كبيرة في بلغاريا، وهذا إحدى النتائج السلبية لسقوط الحائط وتحول البلاد إلى سياسة مختلفة، ورغم كل هذه التحذيرات والخوف الذي صاحبها فإني قضيت أيامي في بلغاريا دون حادثة واحدة، مما جعل البعض يقول لي إنني محظوظة، وإن كنت كذلك فحظي مع بلغاريا لم يكن إلا في هذا الشأن، أما بقية رحلتي فأفضل عنوان لوقائعها أنها رحلة الشقاء والحب والذي سيأتي ذكره بعد قليل، ولكن دعوني الآن أكمل لكم حكاية هذا البلد.

لم تهب الطبيعة فحسب العطايا لهذه البلاد.. ولكنها وهبتها أجمل نساء أوربا فقد سرت في تلك البلاد أتلفت حولي أشاهد كم جمال أشفقت منه على الرجال المصريين الذين كانوا يصحبونني في رحلتي، حتى إنني في لحظة تذكرت قول عبدالفتاح القصري في فيلم (ابن حميدو) حين قال عن توفيق الدقن دا أنا نفسي أتمناه، فصرخت وقلت لهم ضاحكة كان الله في عونكم ده أنا نفسي أتمناهن، ولم أجد كامرأة قدرة على أن أقول كلمة «بس أصلهم أيه حاجة» فكل من شاهدتهن بالعشرات والمئات والآلاف شابات يتميزن بجمال مبهر وهنا لا أقصد جمال الشعر الأصفر والعيون الزرقاء أو الخضراء ولكنه جمال سبحان من صوّر وقوام ممشوق، وفوق هذا وذاك أناقة باريسية تغيظ أية امرأة، فكل النساء يرتدين أحدث الموضات بداية من البلوزة القصيرة تحت الصدر والجيب التي تشبه المناديل أو البنطلون القصير، والأحذية ذات الكعب الرفيع جداً والمدبب الطويل جداً من الأمام، أما الألوان فهي كل ألوان الصيف المبهجة مثل الأخضر الفسفوري والروز بدرجاته وصولاً إلى الفوشيا والتركواز، ولا تهمل هناك النساء الإكسسوار الذي توجد له محلات كبيرة جداً تباع فيه أنواع الإكسسوار البلاستيك حتى الفضي والذهبي والمثير أننا دائماً نعرف المرأة الأوروبية بأنها امرأة بسيطة ولكني في بلغاريا كنت أسير وكأنني في ديفيليه كل النساء فيه عارضات أزياء من الرأس حتى أخمص القدم، وأما عن شعر النساء فحدث ولا حرج فلا توجد فيهم سيدة تشبه الأخرى فدرجات ألوان الشعر تبدأ من الأحمر الناري مروراً بالماشات ذات الألوان المختلفة مثل الأحمر والأصفر والفضي وكله في رأس واحد، وطبعاً كامرأة لم أستطع مقاومة الرؤوس البلغارية فهذا كان أكبر طموح لي فذهبت إلى كوافيرة بلغارية دفعت لديها ٢٥ ليفة أي ما يوازي ١٠٠ جنيه علها تجعلني مثلهم ولكنها قصت

لي شعري وبالفعل بدا جميلا أو على الأقل مختلفا ولكني أبداً ما أصبحت مثلهم وقالت لي المذيعة البلغارية التي اصطحبتني إلى الكو فير إن أفضل صبغات وموضات الشعر تخرج من بلغاريا لتغزو أوربا.

وتذكرت وأنا أري كل هذه النساء الجميلات المثل الشعبي المصري (يدي البخت لمكتكتين الرؤوس) أي للقبيحات فأنت لا تملك إلا أن تشعر بالغيظ إذا عرفت إن هؤلاء الجميلات جداً قليلات الحظ جداً فنسبة ازواج قليلة جداً ونسبة الطلاق كبيرة جداً، وفي الحالتين المرأة هي المسئولة عن تدبير شئون الحياة وتربية الأبناء، فالرجل في تلك البلاد يستخدم كذكر لإبقاء النوع ثم يختفي ولا يتحمل المسئولية وحتى القانون هناك ينصف الرجل غير المسئول فالمرأة إذا ذهبت للمحكمة تطلب نفقة لأبنائها تحكم لها المحكمة بنفقة تتراوح ما بين ٤٠ إلى ٨٠ ليفة كأقصي حد وهو ما يساوي حوالي ١٦٠ جنيهاً مصرياً كحد أدنى و ٣٢٠ جنيهاً كحد أقصى مهما يكن عدد الأبناء ومهما يكن المستوي الاقتصادي للأب فالنفقة محددة، مما يجعل المرأة المصرية تشعر بالتميز وتحمد الله على ما حباها من قانون منصف حتى لو كانت تفتقد كثيراً من جمال البلغاريات!!

ولأن المرأة في بلغاريا تكاد تكون العائل الأول للأسرة دون منازع فهي تعمل في كل الأعمال حتى أنك في لحظات تشعر أنك في بلاد هجرها الرجال وسكنتها النساء الجميلات والأطفال.

بلاد الورد والعسل والزبادي

يعتبر الزبادي البلغاري أشهر زبادي في العالم وهنا أقصد الزبادي التقليدي الذي يصنعه الفلاحون في بيوتهم ويبيعونه ويعتبر البلغاريون أن دخول الشركات الكبري في إنتاج الزبادي أفقدهم تميز طعمه ولهذا فحين نصحني أحد البلغار بتذوق الزبادي قال لا تشتريه من السوبر ماركت ابحثي عن محال صغيرة تصنعه في بيوت الفلاحين وتذوقيه، فوقتها ستعرفين قيمة الزبادي البلغاري وقد استمعت لنصيحته وبالفعل وجدته مختلفاً شهي الطعم.

وادي الورود أو «Rose Valley» هو اسم مدينة تقع في جنوب بلغاريا وهي اسم على مسمى ففيها لا تُزرع إلا الورود بكل ألوانها، وهي التي تمد أوربا وغيرها من دول

العالم برائحة الورد التي تستخدم في العطور ومستحضرات التجميل، ولهذا تجد أهم التذكارات الموجودة في بلغاريا هي قارورة خشبية مكتوب عليها اسم الدولة وبداخلها زجاجة صغيرة تحمل عطر الورد الذي أصبح صفة لبلاد البلغار. ويقرن إنتاج العسل بزراعة الورد بشكل خاص، لهذا فإن أكبر عبوات للعسل رأيتها في حياتي كانت تلك العبوات الموجودة على أرفف السوبر ماركت في صوفيا وغيرها من المدن مع اختلاف أنواعها، فهذا عسل الورد وذاك عسل عباد الشمس وأنواع أخرى كثيرة من الصعب على ابنة مدينة مثلي أن تفرق بينها، ولم يكن من الممكن مهما أبعد أن أنسى حبيبتي الأولى والأخيرة السينما فكانت عيناي كلما ذهبتا تبحثان عن أفيش في الشوارع لسينما تتحدث بلغة لا أعرفها، ولكن بالتأكيد أستطيع أن أتذوقها ولكن لعجبي كما كانت تحاصرني الكوكاكولا كانت تحاصرني أفيشات الأفلام الأمريكية، وحين لم أجد سواها سألت مرافقي البلغاري فحكى لي أن بلغاريا كانت تنتج عددا كبيراً من الأفلام في كل عام، ولديها مدينة للسينما تعتبر من أكبر المدن السينمائية التي تحوي ستديوهات ومعامل وغيرها من لوازم إنتاج الأفلام السينمائية، ولكن مع سوء الظروف الاقتصادية انهارت صناعة السينما ولم تعد تنتج بلغاريا أكثر من فيلمين كل عام على أكثر تقدير.

وغزت السينما الأمريكية الأراضي البلغارية كغزوها لبقية انحاء المعمورة، بل لم تكتف بذلك ولكن استخدمت هوليوود مدينة السينما في بلغاريا في تصوير أفلامها هناك، حيث إن تكلفة إنتاج الفيلم في بلغاريا مازال أقل كثيراً من تكلفة إنتاجه في هوليوود، وإلى جانب السينما الأمريكية تجد قليلاً من الأفلام الفرنسية والألمانية والروسية، ولكن يظل العم سام وأفلامه ومشروباته وطعامه هو الوريث غير الشرعي لكل ما هو موجود في بلغاريا.

عمرو دياب معشوق شباب بلغاريا

كان آخر ما يمكن أن أتوقعه وأنا أسير في شوارع صوفيا أو بورجاس في الجنوب أن أسمع في السيارات المارة إلى جانبي صوت عمرو دياب وهو يغني، مما دفعني لأن أسأل مرافقي فاسكو عن هذا الأمر، ففتح لي تابلوه سيارته لأجد فيه أربعة شرائط لعمرو دياب، وتعجبت ما الذي يعجبهم في غناء عمرو خصوصاً أنهم لا يفهمون كلمات

أغنياته، فقال لي بعضهم إنهم عرفوه عن طريق الإنترنت ويشعرون أن كلمات أغنياته رومانسية مثل الزمن الماضي الذي لم يعد موجوداً، وحين ترجمت لفاسكو كلمات حبيبي يا نور العين قال لي ألم أقل لك إننا نشعر بمعاني الكلمات حتى دون فهمها، ويحلم عشاق عمرو دياب في بلغاريا أن يقيم حفلاً هناك في يوم ما، وأظن أن عمرو نفسه لا يعلم هذا ولعله الآن يفكر في الغناء لمعجبيه في بلغاريا.

وقائع رحلة الشقاء والحب

لم تكن رحلتي إلى بلاد الزبادي والعسل والورود رحلة يمكن أن أطلق عليها أيا من صفات هذا البلد، ولكنها كانت رحلة الشقاء والحب، فقد شددت إليها الرحال مع أربعة عشر رجلاً وثلاث نساء جاءوا جميعاً من واحات مصر، من الوادي الجديد في صحراء مصر يحملون علم مصر والزاد المكون من العيش الشمسي ومجموعة من الحقائب تحتوي على آلات موسيقية وملابس من الوادي تحكي قصة هذه البقعة الغالية من أرض بلادي، رفقائي في الرحلة كانوا مجموعة من فرقة الوادي الجديد للفنون الشعبية في طريقنا إلى مهرجان بورجاس للفلكلور جنوب مصر إلى أقصى الجنوب البلغاري كانت رحلة شائقة، أجمل ما فيا وجوه رفقائي وموسيقاهم ورقصهم ورنة خلخال المصرية.

بدأت الرحلة من مطار القاهرة إلى أثينا التي مكثنا في مطارها إحدى عشرة ساعة في انتظار الطائرة التي تقلُّنا إلى صوفيا عاصمة بلغاريا، ولم يكن لدينا شيء نفعله سوى الجلوس والانتظار، وحين أعيانا الإرهاق اكتشف أصدقائي رجال فرقة الوادي مكاناً في مطار أثينا أشك أن حتى المهندس الذي صمم المطار كان يتصور أنه سيستخدم كفندق لفرقة فنون شعبية مصرية، ففي اللحظة التي وصلنا فيها إلى المطار تفرق الرجال للبحث في أرجاء المطار ليكتشفوا مكاناً يصلح للنوم والراحة والصلاة، وبالفعل وجدوه وافترشوا الأرض في خن أو مخبأ لا يظهر للعيان، وبدوت أنا المترفعة الوحيدة عن افتراش الأرض، غير أنني بعد ساعات بدأت قواي تخور فمدد جسدي على كرسي معدني أصابني بألم فظيع في ظهري لم أكتشفه إلا وأنا في طريقي للطائرة فتمنيت لو أنني سمعت كلام الرجال ولكني بعد فوات الأوان.

لم تستغرق الرحلة بين أثينا وصوفيا إلا ساعة واحدة، حيث كان في استقبالنا في المطار

المستشارة الثقافية في سفارة مصر في بلغاريا السيدة فادية جلال، وقنصل مصر هيثم جلال، فكانا وجهين مشرقين أزالا عنا بعضاً من عناء رحلتنا التي لم تكن قد انتهت بعد، وكان أيضاً في انتظارنا شاب اسمه نيكولاي الذي كان مرافقاً لنا من إدارة المهرجان، وتركنا الطائرة لنستقل أوتوبيساً في طريقنا إلى بورجاس التي تبعد عن صوفيا ستمائة كيلو متر، فكأن رحلتنا لم تكن لها نهاية من طائرة لمطار لطائرة لأوتوبيس لطريق طويل امتد لست ساعات، ولم يكتف القدر بهذا العناء بل أضاف إلينا مفاجأة لم تكن بالفعل سعيدة، فقد رافقتنا في الأوتوبيس إلى بورجاس الفرقة الصينية للفنون الشعبية المشاركة في المهرجان وما أدراكم بفرقة الإخوة الصينيين، فقد مكثنا ونحن شبه جثث إلى جوار أكثر من ثلاثين صينياً وصينية لم يتوقفوا عن الحديث لحظة واحدة، أصواتهم جميعها تتميز بالطبقة السوبرانو ولم يكن الكلام فقط هو مشكلتنا، لكنهم أخرجوا طعامهم وراحوا يتبادلون أنواعاً منه فأصاب رؤوسنا صداع فوق الصداع وأصابت معدتنا تقلصات حادة ورحنا جميعاً نبتهل إلى الله أن ينهي ساعات الرحلة التي طالت حتى بدا أنها بلا نهاية، فالطريق مظلم وضيق وتكاد تشعر أن العربة القادمة ستصطدم بك ولكن لأن لكل شيء نهاية فبالفعل وصلنا إلى مدينة بورجاس الساحلية والتي تقع على البحر الأسود، وصلنا بعد ٢٥ ساعة منذ أن تركت بيتي أما رجال الفرقة فكانت رحلتهم أطول مني، لأنهم قادمون من طريق أبعد من الوادي الجديد أي ما يقارب ٣١ ساعة من مدينتهم حتى وصلنا إلى مقر إقامتنا.

كان مقر الإقامة هو المدينة الجامعية في بورجاس، وتلك كانت الصدمة الكبرى في الرحلة فحجرات المدينة الجامعية تشبه إلى حد كبير حجرات سجن أبو زعبل بل أستطيع أن أجزم أن سجن أبو زعبل أكثر راحة.

الحجرات التي أخذونا إليها وذهب اعتراضي أدراج الرياح، فالبحر الميت أمامي ولا شيء ورائي ولم يكن هناك من سبيل إلا النوم في السجن منذ الساعة الأولى لوصولنا إلى بورجاس، حتى الدعوة على العشاء في مطعم المدينة الجامعية كانت تشبه إلى حد كبير بل تتطابق مع مشاهد المساجين وهم يحملون الأطباق ويتم إعطاؤهم التعيين رغيف عيش وشوربة عدس أو فول، أما طعامنا في السجن البلغاري فكان شوربة فاصوليا بيضاء أو

شوربة عدس بجبة وأرزاً معجناً وقطعة فراخ أو لحماً عشرين جراماً وبطيخاً أقرع بلا لون ولا طعم.. وكان كل ذلك كفيلاً بأن يهدم تصوراتي أنني في أوربا وبالتحديد في بلاد الورد والعسل والزبادي، ولكن لأنهم قالوا قديماً الرفيق قبل الطريق فرفقائي كانوا رجالاً لم تلوثهم العاصمة رجالاً من مصر معجونين بالفن محبين له، أغانيهم أجمل من كل محطات الأغنيات الفضائية ورقصاتهم أروع من كل الفيديو كليب المستحدث وبناته العرايا، كان رفقاء رحلتي هم أجمل ما فيها فكأنني انتقلت إلى بلاد بعيدة أحمل معي أجمل ما في بلادي فرقة الوادي الجديد للفنون الشعبية، وكانت كلمة معلش يا رجالة تهون على كل شيء ثم أتت الأيام التالية لتكون باقة زهر.

وقائع اليوم الأول

سطعت الشمس على الشاطئ البلغاري، واخترقت نوافذ الحجرات التي لم تكن بها أية ستائر فصحونا مبكرين لتجري الفرقة بروفات الافتتاح على مسرح المدينة المفتوح، فكان يوماً جديداً رأينا فيه الحياة مختلفة وتعرفت فيه إلى حسني ناجي مطرب الفرقة. ومحمد عبدالله مصمم الرقصات، والطبال الذي بهر بلغاريا محمد سعد، وعلى عازف المقرونة وهي آلة نفخ تشبه الناي أحمد سويلم، الذي ترك عروسه بعد أسبوع واحد عسل ليسافر في هذه الرحلة، وتعرفت على صوت الناي الجميل إسماعيل مخلوف وعلى الراقصين الذين تضحك وجوههم ببسمة أسرت قلوب البلغار مرفت آدم وسمير فرغلي وحنان وياسمين وعلى مسئول الفرقة، والرجل الجميل عم أحمد شعبان وعلى محمد النجار مدير الفرقة الرجل الذي جاب العالم ولكنه يعشق جنوب مصر، فترك روما واستوكهولم ليعيش في الوادي الجديد يتكلم عدة لغات ويبدو د ثاً أنيقاً ولكنه صعيدي من الرأس للقدم، أما أهل القاهرة في هذه البعثة كانوا ثلاثة أنا وشريف الحسيني رئيس البعثة وأحمد العدل من مكتب وزير الثقافة، وفنان صاحب صوت جميل اكتفى من موهبته أن يغني لأصدقائه ويمارس الثقافة من خلال عمله.

وفي السادسة كان موعد ما يطلقون عليه الديفيليه، حيث تسير الفرق المشاركة في شوارع المدينة بملابسها وتعزف بعضاً من موسيقاها وكانت فرقتنا أقل فرقة عدداً فكنا أربعة عشر بينما الفرق الأخرى أقلها ثلاثون ورغم هذا ما إن بدأ طابور العرض يسير في

طرقات المدينة في طريقه إلى مجلس المدينة حتى التفت الجماهير بالمئات حول الفرقة المصرية مشدودة لوقع الموسيقي ودقة الطبلة ورنة المزمار، ولم تمر دقائق حتى بدا أن الفرق المشاركة من الصرب وهولندا وبلغاريا وإستونيا وبولندا والنمسا واليونان وغيرها تركت تشكيلاتها وطوابير عرضها والتفت حول الفرقة المصرية تشجعها، وكان الطبال محمد سعد نجم هذا الكرنفال فقدم عرضاً مبهراً للدق على الطبول قال عنه مرافقونا البلغار إنه إعجاز أي والله هكذا بالحرف الواحد - It's a Miracle

وفي مساء اليوم نفسه كان الافتتاح على المسرح المكشوف المطل على شاطئ البحر والذي يسع أكثر من ثلاثة آلاف متفرج، ولم يكن هناك موقع لقدم وحضره عدد من الفنانين مشاهير في بلغاريا في مجال الرقص الشعبي، وأبرزهم كان عمدة المدينة الذي ألقى بكلمة ترحيب بالوفود، ثم نزل إلى صفوف المتفرجين ليجلس في الصف الرابع أو الخامس إلى جوار زوجته وابنته بلا حرس ولا رجال أمن يتحركون معه وكأنه أحد المشاهدين، وطبعاً ذلك كان موضع تعجب لي كمصرية اعتادت أن تعرف المسئولين بجوقة تحيط بهم من كل جانب وتوسع لهم المكان وتفصلهم عن البشر، باعتبار أنهم من غير البشر، أما عمدة بورجاس فقد كان يرتدي قميصاً وبنطلوناً بسيطاً ويجلس بيننا بعد أن افتتح المهرجان وكرم إحدى أهم مطربات بلغاريا التي تعد بالنسبة لهم كأم كلثوم، وحين نزلت بعد التكريم بين الجماهير جلست أرقب السيدات العجائز خصوصاً وهن يقبلن يدي أم كلثوم بلغاري اعترافاً وامتناناً لفنها ولصوتها الذي صاحب تكريمها فبدا بالنسبة لي كأنه صوت قادم من السماء بالرغم من عدم معرفتي بمعاني الكلمات التي تشدو بها.

وحين بدأ العرض المصري الذي استمر حوالي ٤٠ دقيقة، شمل عدة رقصات توافد الجمهور أكثر على المسرح وأصبح الوقوف أكثر من الجالسين، ونزل حسني ناجي مطرب الفرقة بين الجمهور وبدأت بورجاس في تلك اللحظة كلها وكأنها ترقص وتتحدث وتغني بالمصرية، وبلغة ورقص أهل الوادي الجديد وشاركتنا الفرحة فادية جلال الملحق الثقافي في السفارة المصرية والتي قطعت المسافة من صوفيا إلى بورجاس لكي تشارك الفرقة المصرية فرحة رفع علم بلادنا، ولم تندم فادية جلال على الحضور أبداً فقد

استكملت معنا السهرة بعد أن عادت الفرق إلى مقر الإقامة والتف حول الفريق المصري كل الموجودين في المدينة الجامعية حتى العاملين فيها في ليلة مصرية الطعم والرائحة.

كان وصول الوفد الإسرائيلي في اليوم التالى للمهرجان بالنسبة لنا أمراً غريباً فكـ السؤال ما هو الفلكلور الذي تملكه إسرائيل من الرقص والغناء وتستطيع تقديمه في مهرجان للفلكلور، ولم يكن الأمر مجرد سؤال ننتظر الإجابة عنه بمشاهدة عروض الفرقة الإسرائيلية في اليوم التالى، ولكن كان يؤرقنا كمجموعة مصرية وضع العلم المصري إلى جوار العلم الإسرائيلي في كل المواضع، فمهما حكت السياسة عن التطبيع واتفاقيات توقّع وصور تنشر للمسئولين يتصافحون إلا أننا لم نستطع كشعوب وبشر بعد أن نتجاوز مرارة وقسوة واقع لدولة مغتصبة للأرض، وبدا منذ اليوم الأول حالة من التوتر انتابت الجماعة المصرية من وجود الوفد الإسرائيلي برغم محاولتهم الكثيرة للاندماج معنا وطلبهم للعزف على طبول الفرقة التي رفضت ذلك بشدة، وحتى إلى التحدث معنا بالعربية، وحين لم يجدوا صدى منا اتخذوا موقفاً من الفرقة حتى إن مرافقنا قال لنا إنهم طلبوا لنا البوليس بحجة الإزعاج، لأن كل الفرق تتجمع ليلاً حولنا في فناء المدينة الجامعية. والحقيقة أن أكثر ما أسعدنا كمصريين كان لقاء عمدة بورجاس في مجلس المدينة والذي تم بين رؤساء الوفود والصحفيين المصاحبين، فقد ألقى كل وفد كلمة وكان العمدة يرد عليها بكلمة ترحيب وحين أتى الدور على رئيسة الوفد الإسرائيلي دعت العمدة إلى زيارة القدس، ولكنه قال لها أتمنى زيارة القدس ولكن بعد أن تنهوا حربكم التي أرى أنكم تتحدثون عن انتهائها دون أن تعملوا على ذلك فأرجو أن تفعلوا ولا تتحدثوا.

واعتبرنا نحن تلك العبارة الموجزة وكأنها صفعة على وجه الوفد الذي بدا عليه الارتباك، ثم تبادل الهدايا مع كل الوفود إلا الوفد المصري الذي انسحب في هدوء من المكان في هذه اللحظة. وكان عرض الفريق الإسرائيلي عبارة عن الرقص الحديث الذي ترفع فيه الفتيات تنوراتها لتظهر ملابسهن الداخلية نجمة إسرائيل، ولا أستطيع أن أدعي أن وجودهم قد أفسد علينا رحلتنا ولكن على العكس لقد أسعدنا أن اسم مصر كان على كل لسان، وصور الفرقة المصرية الآتية من الجنوب تتصدر الصحف البلغارية وكذلك تم إجراء مقابلات صحفية وإذاعية وتليفزيونية مع أفراد الوفد، وكانت أغلب الأسئلة التي

طرحت عليّ خاصة بوضع المرأة المصرية، وهل تستطيع المرأة أن تسير في شوارع القاهرة مكشوفة الرأس، وأسئلة من هذه النوعية التي تنم عن تخوف من بلد مجهول بالنسبة لهم على كل المستويات إلا من فنه الذي يتابعونه كل عام من خلال هذا المهرجان والذي يبهرهم، مما يؤكد أن تراثنا الفني وتراثنا هو طوق النجاة لنا كي نصل إلى أرجاء المعمورة.

وتوالت عروض الفرقة في المدن المختلفة وفي أماكن متفرقة وكان كل عرض يضم آلافاً يقفون مبهورين أمام رقصة الحزام ودقة طبلة محمد سعد وصوت حسني ناجي وابتسامة الراقصين التي لا تفارق وجوههم.

واستمرت رحلتنا من نجاح إلى نجاح وصوت التصفيق لا يفارق آذاننا وكلمة إيجيتو أو مصر بالبلغارية تتردد على كل لسان، وعرفت وقتها أن بلادي جزء مني أصيل لا أستطيع أنا أو غيري أن يعرف حبها ويمارسه إلا وهو بعيد عنها.

رحلة العودة

كانت رحلة العودة تماماً كالبداية، مع فارق كبير أن النهاية والعودة كانت مرسومة بالانتصار برغم أن رفقاء الرحلة إلى صوفيا كانوا مرة أخرى الصينيين الذين عذبونا في البداية وودعونا في النهاية بالعذاب أيضاً، ولكننا لكنا أكثر تسامحاً هذه المرة فمازالت كلمات الإطراء في آذاننا وتحمل الفرقة درع المهرجان وشهادة تقدير وذكريات إقامة في غرف تشبه السجون حوّلتها فرقة الوادي الجديد إلى غرف مليئة بالموسيقى والضحكات والرقصات، فأصبحت الأرض التي نحن عليها تتكلم عربي وتغني بالعربى.

مجلة نصف الدنيا – ٢٠٠٣

رحلات إلى بلاد المغرب

مقدمة:

ربما ستبدو بلاد المغرب هي الدولة الأكثر التي كتبت عنها على مدي رحلتي الصحفية، ليس لأنها الدولة الأقرب إلى قلبي أو الأسهل في السفر ولكن لأنها أكثر دول العالم التي تقيم مهرجانات للسينما ومهرجانات فنية على مدي العام، ولذا فتعد المغرب هي أكثر وجه ووجهة بعيداً عن مجرد كونها مكاناً منظماً لمهرجان فني أو سينمائي.

المغرب وإن كانت تقع في أقصي الغرب العربي إلا أنها بلاد تحمل زخماً وتنوعاً أظن أنني ما رأيت ولا كتبت عنه ما يكفي. ولكن يظل أني أرجو أن يكون ما كتبته عنه حتى الآن على الأقل ينقل جزءا من حضارة وثقافة مهما بَعُدت فهي قريبة باللغة وإن اختلفت لهجتها وبالتاريخ وبالجغرافيا وبأصول الثقافة والدين.

اسفي عليك يا مصر من اسفي

لا أتذكر بالتحديد متى قرأت رواية يوسف إدريس «النداهة» ولكنني كنت بالتأكيد صغيرة جدا، وإن كنت لا أتذكر متي، ولكنني أذكر كيف انفعلت بها وسحرتني فكرة النداهة.. فلكل إنسان نداهة تدعوه إلى طريق يسير فيه ولا يسأل إلى أين ولا كيف ولا متى لأنه ببساطة مسحور بتلك التي تناديه.

ومرت أعوام قرأت فيها مئات الكتب والروايات وسرت في عشرات الدروب ولكني لم أنس أبدا النداهة.. ببساطة لأنها دعتني بسحرها لحب السينما والتعرف على المدن، والوسيلة الوحيدة للجمع بين هذا الحب وذاك هو مهرجانات السينما المختلفة، فهي تسمح لمرتادها بمشاهدة أفلام من عوالم مختلفة، وفي ذات الوقت تسمح لي بأن أتحسس وأشم وأتذوق طعم المدن والبشر فيها، وكانت القاهرة تموج بأحداث وطوابير الخبز ودعوة للعصيان المدني.. حين دعتني النداهة لأن أرحل إلى أقصى الطرف الشرقي للمحيط الأطلسي أو آخر بلاد المسلمين «المغرب»، حيث يقام مهرجان «آسفي» للفيلم الفرانكفوني، وهي مدينة أطلق عليها ابن خلدون حاضرة المحيط، فهي تقع في الجزء الغربي من بلاد المغرب وتطل على المحيط الاطلسي، سافرت محملة بهموم القاهرة وأهلها، متصورة أن الابتعاد كفيل بأن يجعلنا ننسى ولو لبعض الوقت ولكن كيف والقاهرة تسكننا بهمومها وأحزانها وغبائها أحيانا حتى عن بُعد.

بلاد المهرجانات

يقام في بلاد المغرب حوالى ١٢٠ مهرجانا على مدى العام للفنون المختلفة، من بينها

٢٠ مهرجانا سينمائيا، وقد أقيم في نفس التوقيت بفارق يومين هذا العام مهرجانان أحدهما مهرجان تطوان في الشمال لأفلام البحر المتوسط على ساحله، وكذلك كان مهرجان آسفي في الجنوب على ساحل الاطلسي للفيلم الفرانكفوني، وقد حدث هذا التعارض بسبب إجازة الربيع التي يحصل عليها الطلبة في الجامعات والمعاهد وبالتالى رغبة كل مهرجان في مشاركة شباب المدينة في فاعلياته، اشتركت مصر هذا العام في مهرجان آسفي بفيلم «في شقة مصر الجديدة» لمخرجه محمد خان والذي فازت عنه بجائزة أفضل ممثلة غادة عادل، وكرم المهرجان حسن حسني في الافتتاح وأيمن زيدان من سوريا، وكان مفترضا أن يتم تكريم نبيلة عبيد في الختام، ولهذا عرض فيلمها «ما فيش غير كده» الذي أخرجه خالد الحجر، ورغم تأكيد نبيلة عبيد على الحضور والاتفاق معها على جميع التفاصيل فإنها اعتذرت قبل يوم واحد من حضورها مما سبب حرجا شديدا للقائمين على المهرجان، فنبيلة لم تخطرهم إلا حين اتصلوا بها لتأكيد موعد الطائرة، وهو تصرف غير مسئول اللهم إلا في الشدائد وهي لم تستطع أن تعطيهم سببا مقنعا للاعتذار!

وبالتالى صار حسن حسني النجم الأوحد للمهرجان، وأزعم أنه قد تم تصويره مع معجبيه في هذه الرحلة بأكثر مما تم تصويره على مدى حياته كاملة. كانت مدينة آسفي كلها تنادي باسم حسن حسني ولكنها في نفس الوقت كانت ترفض اسم نبيلة عبيد التي لم توف بوعدها وكرهوا فيلمها الأخير: حسن حسني كان يضحكني حين قال: لو أخذت درهما على كل صورة لصرت مليونيرا، ولكنه بالفعل كان كذلك بحب الجماهير المغربية له.

مئات من الأفلام العالمية تعود على المغرب بعائدات مالية وفنية هائلة، فكل مخرج عالمي وطاقمه يذهب إلى المغرب ويبني ديكورات هائلة ويتركها لتصبح بصمة على أرض المغرب، ويعلم أجيالاً من الفنيين والفنانين والكومبارس كيف يمكن أن تكون السينما، ولا يكتفي بذلك بل يعود مرة تلو أخرى ثم يصل به السحر لمداه ليقطن في بلاد المغرب أو على الأقل يشتري فيها بيتا.

ولا يسع المجال هنا لأضع إحصاءات موثقة عن المكاسب المادية والسياحية والثقافية التي تكتسبها المغرب من فتح أبوابها لتصوير الأفلام العالمية، ولحزني أن ما من فيلم تم

تصويره في المغرب إلا وكان قد مر صناعه على مصر لتصويره وقابلناهم بكل أسباب التطفيش بداية من الرقابة على السيناريوهات وتصورنا العبيط أننا قادرون على منع وجهة نظر آخرين في صناعة أفلامهم، ثم كم الإجراءات البيروقراطية التي من شأنها تطفيش الملائكة وليس السينمائيون من على أرضنا، ثم حالة النهب المادي التي يتعرض لها كل من يفكر في التصوير في مصر.

وأذكر على سبيل المثال أن أحد المخرجين الفرنسيين الجزائري الأصل حضر إلى مصر، وزار موقع مدينة الإنتاج الإعلامي وعرض سيناريو فيلمه على القائمين عليها ووافق على كل شروطهم وكان طلبه التصوير لمدة ٤٠ يوماً لفيلم بطولة النجمة العالمية صوفي مارسو، وكان سيدفع مليون دولار عداً ونقداً، وكل ما طلبه أن يتم التأمين على العمال المصريين وأن تدفع المدينة في حالة تسببها في التأخير في التصوير غرامة مالية وهي حقوق مشروعة رفضتها المدينة، فما كان من الرجل إلا أن رحل إلى المغرب وبنى فيها الأهرامات وصور فيلمه وكسبت المغرب وخسرت مصر.

مئات من هذه الحالات تحدث سنوياً حتى إنه لم يعد أحد يجرب الحضور لمصر، فسمعتنا السيئة في مقابل سمعة المغرب الجيدة في هذا المضمار حرمتنا مما تحظي به المغرب الآن.

والحق أني تعودت ألا أحقد على نجاح آخرين بقدر نقمتي على خيبة تخصني، وهذا بالتحديد هو إحساسي فأنا سعيدة ببلاد المغرب ولها، وحزينة وناقمة على كل من يتسبب في فقدان مصر كل هذه العائدات ثم بعدها نتحدث عن الريادة والسيادة. في حواري مع نور الدين الصايل، مدير المركز السينمائي المغربي، أهم جهة أو الجهة الوحيدة المنوط بها إنتاج الأفلام في المغرب، سألته كيف تسمحون أحياناً بتصوير أفلام يعتقد العرب أنها تسيء لهم وهل لديكم رقابة على السيناريوهات فرد قائلاً: «رقابتنا لن تمنع إنتاج تلك الأفلام، وأفضل لنا أن نسمح لهم بتصويرها لدينا ليتعرفوا عن قرب على حضارتنا ثم يعودوا ثانية بفكرة مختلفة عمن تصوروهم همجيين وإرهابيين».

رد احترمت صاحبه واحترمت فكره، وعرفت لم تقدمت السينما في المغرب وصارت تنتج ٢٠ فيلماً في العام، وهي ابنة الخمسين ونحن الذين تجاوزنا المائة عام ننتج خمسين فيلماً

محلياً ولا نستطيع أن ننافس بها في مهرجان واحد.

ولم يكن نور الدين الصايل هو الوحيد الذي سمحت لي رحلتي بلقائه من أهل السينما في المغرب، فقد التقيت أيضاً بمحمد على الهلالى، مدير مهرجان الصويرة لأفلام الصحراء، والصويرة هي واحة غناء في وسط صحراء المغرب في الجنوب وتقام دورته الخامسة في شهر يونيه وقد عرفت منه أنهم يقدمون ٣٠٪ دعماً نقدياً وأيضاً دون مقابل لمن يبني استديو في هذه المنطقة، وأن الهدف من مهرجانهم هو جذب السينمائيين العالميين لزيارة المنطقة والاستفادة منهم، وهكذا صارت بلاد المغرب كلها ستديو مفتوحاً ومركزاً تمثل فيه السياحة الناتج الثاني الأهم في الاقتصاد، وهي سياحة لا تقوم على ما فعله الأجداد بل ما ينجزه الأحفاد.

يا ناس! يا هوه! يا مصريين! لا تتخيلوا أننا نتحدث في أمر عبيط أو غير ذي جدوي، مصر فقدت ريادتها السياسية واقتصادها يتهاوى ولم يعد لنا من ريادة أو سيادة في ثقافة الكتاب نحن فقط نملك السينما ونجومها كرة أخيرة فلمَ ننكس كل راياتنا بيدينا؟!

اللعنة على المهرجانات والأفلام والنداهة التي سحرتني حتى أذهب لآخر بلاد المسلمين فأعود سعيدة بهم غاضبة منا، فأسفي عليك يا مصر بعد أن عدت من مهرجان «آسفي».

جريدة الفجر أبريل ٢٠٠٧

سحر السينما أقوى من خط الضبع

كنت قد قرأت منذ فترة طويلة كتاب باولو كويهلو «ساحر الصحراء»، والذي يحكي فيه عن راعي أغنام في إسبانيا، يحلم بالسفر عبر المغرب حتى مصر، ولكنني رغم هذا وضعته في حقيبتي استعداداً للسفر إلى آخر بلاد المسلمين، بلاد المغرب مصحوبة بمشاهد من فيلم «بابل»، الذي شاهدته قبل أيام وفيه أيضاً حكاية من المغرب، فكأن هذه البلاد كانت تناديني حتى قبل أن أذهب إليها، في رحلة كان دافعها سحر السينما وأفلامها لمهرجان «تطوان» السينمائي، فدخلت بلاد المغرب بتذكرة سينما، لكني خرجت منها وأنا أحمل سحراً أكبر من كل حكايات الأفلام، فبلاد المغرب فيلم قائم لا ينتهي عرضه بمجرد كلمة النهاية.. إنها حكايات بلا نهاية.. حكايات تاريخ وقفت أرقبه عند مضيق جبل طارق، حيث بدأ أجدادي فتح الأندلس، وفي ذات المكان ربما أيضاً وقف آخر ملوك الأندلس العرب عبد الرحمن الداخل يبكي على ملكه الضائع، فقالت له أمه المقولة الشهيرة «ابك كالنساء على مُلكٍ لم تستطع أن تحافظ عليه كالرجال».

بلاد المغرب تاريخ قرأت عنه وحديث قابلته، ووقعت في سحره وهواه وتلك بعض من حكاياته.

مات الملك.. يحيا الملك

أنا على أرض عربية، فصورة الحكام تتصدر المطارات وكل مكان، والدعوات بطول العمر وسداد الفكر شيء معتاد لا يستوقفني ولا يعطيني إشارة أو أمارة بأن الشعب سعيد والحكم مديد ورشيد، ولكني حين وجدت صورة الحاكم هي الصورة الثابتة على

الهواتف المحمولة للناس والعامة، مثل سائق التاكسي والشباب على النواصي والعواجيز على المقاهي، كان لابد أن يستوقفني الأمر، فمليكهم محمد السادس الشاب. حاكم أتى بعد والده الحسن الثاني، أحد ملوك العرب التاريخيين، فهو لم يأت بانتخاب أو عن طريق ديمقراطي، ولكنه وارث لحكم ديكتاتوري كان يذيب ويغتال معارضيه، فكيف صار ابن هذا الرجل هو الملك المحبوب أو كما يطلقون عليه ملك الفقراء؟ يخرج إلى شعبه دون حراسة ليسير في الشوارع ويحيا كما يقولون عنه دون مظاهر للبذخ، رغم أنه أحد أغنى أغنياء العالم، تلك حكاية ملك صغير استطاع أن يحاكم عصر والده ويجري مصالحة وطنية يعوض فيها المناهضين السابقين عن ظلم وقع عليهم، حكى لي بعض المغاربة كيف بدأ الملك الصغير حكمه بزيارة بلدة في الشمال تعرض فيها أبوه لمحاولة اغتيال، وعلى إثرها لم يزر هذه المدينة أبداً وحرمها من كل الخدمات الرئيسية حتى مماته، فحين حكم الابن عوضها بالزيارة الأولى ليمحو غُصة في حلق أهلها. محمد السادس في الأربعين من عمره متزوج من «لالا سلمي» ولديه طفلان، والمثير أن محمد السادس كان لديه صديقة إسبانية والدها كان يملك فندقاً شهيراً في مدينة تطوان. وكان الكل ينتظر زواجه منها، ولكنه تقابل مع الأميرة في حفل توزيع شهادات تخرج في الجامعة فأعجبته من النظرة الأولى، ثم تقدم لخطبتها وتزوجا، مما دفع رجل الأعمال الإسباني وابنته لبيع القرية السياحية والفندق الذي يملكانه ويرحلا، أما الملك فكون أسرة صورتها جميلة يعشقها الناس، ويعتبرونها وردة على صدر بلادهم، ورغم أن الابن سر أبيه فإن حكم محمد السادس لا يحمل من ملامح حكم أبيه شيئاً، فقد حكم الأب البلاد بالحديد والنار، أما الابن فيحكمها بالزهور والبخور التي تشتهر بها أرض المغرب.

وحين كنت في زيارة لجامع الحسن الثاني في الدار البيضاء، أحد أكبر جوامع العالم، وهو مطل على المحيط الأطلسي وظل بناؤه لعدة سنوات انتهى إلى تحفة معمارية تراها من أي مكان في الدار البيضاء، قلت لمرافقتي: فلتقرأوا الفاتحة على روح الملك الذي بنى هذا المسجد، طلبوا مني أن اقرأها على روح الشعب الذي بناه فهذا المسجد - رغم أنه يحمل اسم الملك الغائب - شارك في بنائه كل الشعب المغربي بالأمر، فقد كانت وزارة الداخلية تحصّل أموالاً من الشعب بالإكراه لبناء المسجد، وإذا امتنع أحدهم كان المعتقل مصيره،

لذا فالمغاربة جميعاً يعتبرونه ملكية خاصة حتى لو حمل اسم ملك كان ظالماً.

زيارة الساحر المصري المعتزل وهدية مخ الضبع

الملك الذي غيّبه الموت تعددت الحكايات عنه وعن الخوف منه الكثير في حديثي مع بعض المغاربة إلى أن وصلت لمحطة كنت أتحرج من طرحها، فقد حكت لي مذيعة مغربية كيف أن الحسن الثاني كان يملك هيبة تلجم حتى أكثر المتحدثين لباقة في التحدث أمامه، وأضافت أن هذه الهيبة يقال إنها تعود إلى السحر الذي قدمه له ساحر شهير من مدينة سوس بالجنوب، المعروفة بوجود كم هائل من السحرة فيها، وهنا زال تحرجي من السؤال الذي كان يلح علي حتى قبل أن تطأ قدمي المغرب عن السحر المغربي.

فكم من حكايات سمعتها عنه وعن لجوء كثير من حكامنا وزوجاتهم إلى سحرة المغرب المشاهير، وكذلك السحرة في السنغال الإفريقية، حكايات لا أملك عليها من دليل غير أن طول بقائهم في الحكم وامتلاكهم لزمام الأمور، برغم قهر الشعوب، دليل لا تفسره إلا لمسة ساحر، فكم كان في جعبتي من حكايات عن رجال أعمال وفنانات وسيدات مجتمع لجأوا لسحر أهل المغرب، فهناك قصة شهيرة عن سيدة كانت تحتفظ بالحيوانات المنوية للرجال الذين يقعون في هواها للإبقاء عليهم رهن إشارتها بمفعول السحر، وكم سمعت عن حكايات أمراء النفط الذين لا يتحركون صباحا من أسرَّتهم إلا بعد الاتصال بالسحرة الذين يتبعونهم في المغرب والسنغال، حكايات وحكايات خلقت لدي فضول الدخول إلى عالم لم تطأ قدماي أرضه من قبل، فما سلمت يدي من قبل لعرافة لتقرأ في خطوطها وما قلبت قط فنجان قهوتي لأتفحص خطوط البن السوداء على سطحه الأبيض، فكل علاقتي بهذا العالم تنحصر في حب سماع أغنية قارئة الفنجان، وصوت حليم وهو يشدو بكلمات نزار قباني، ولكني في بلاد المغرب فكيف أنجو من مغامرة مثل تلك، رحت أبحث في كل وجه مغربي عن حكايات السحر والسحرة التي أجمع كل من قابلتهم على أن أشهر أماكن وجودهم في مدينة سوس بالجنوب إلى جوار أغادير، حيث توجد قرية مولاي إبراهيم، وهو ضريح أقيمت حوله قرية، وأشهر السحرة في المغرب إما من الأمازيغ أو اليهود، ولا تضاهي مولاي إبراهيم في شهرتها إلا مدينة السويرا التي يشكل اليهود فيها أغلبية، وكاد اليأس يدب في قلبي، فأنا في شمال المغرب والرحلة إلى

الجنوب تستغرق ١٢ ساعة بالأتوبيس، وأنا بحاجة لدليل لأذهب إلى مدن السحر، ولم يكن لدي مرشد إلا أن المصادفة أوقعتني في يد رجلين وامرأة كل منهم كانت لي معه رحلة في عالم شمهورش أو مشايخ السحر.

الأول قابلته في لقاء عمل، وسأشير إليه بـ «ح» وهو من دولة خليجية ويقيم بالمغرب في مهمة عمل. لم أجد حرجا في سؤال «ح» عن سحرة يعرفهم في المغرب خاصة أن أهل الخليج معروف عنهم ولعهم بهذه الأمور رغم عصريتهم، مصادفة لم أتصور أن تتحول إلى حقيقة حين قال لي إن طلبي متوفر لديه لأقابل أشهر سحرة المغرب إن لم يكن أشهر سحرة العرب، وإن كان متقاعدا ولكنه طلب مني ألا أطلعه على مهمتي وأن تكون زيارتنا له زيارة ود وتعارف.

وافقت على جميع شروطه، خاصة أن الرجل يقطن في الرباط العاصمة وبالفعل تحدث «ح» إلى الشيخ محمد، وحدد لي موعدا للقاء، ولعجبي فإن أشهر ساحر في المغرب هو مصري يعيش في قصر منيف في العاصمة المغربية التي وصل إليها كما يحكي منذ أكثر من ربع قرن، وللشيخ محمد الذي قارب السبعين حكاية أغرب من الخيال قصها على «س» الذي لا يؤمن هو نفسه بالسحر وأصحابه، ولكنه يقع في هوي هذا الشيخ الذي جمعه به حب الشعر، فالشيخ الساحر شاعر مفوّه، طويل وعريض المنكبين ومن مواليد ماريا المعروفة باسم إسكندرية تربى وتعلم بها حتى وصل إلى الجامعة لدراسة طب الأسنان، واستمر بها عدة سنوات ولكنه هجرها ليجرب حظه في بلاد الفرنجة، حيث سافر إلى ألمانيا وهناك تزوج من امرأتين فوقع في مشاكل كثيرة ليعود مرة ثانية إلى بلاده حيث يحاول فيها تجربة حظه ولكن مشاكل أسرية تحيط به، فينظر الشيخ حين كان بعد صغيرا صوب البحر الذي يحيطه، فيقرر أن يسافر ثانية ولكن تلك المرة تكون إلى بلاد الأطلسي التي يهاجر إليها لأنه علم أن أصول عائلته من تلك البلاد، ويستقر المقام بالشاب الفتي آنذاك على ضفاف الأطلسي ويذيع صيته في أرجاء البلاد فيأتي إليه السحرة المغاربة ليأخذوا العهد على يديه، ويذيع صيته أكثر فيلتقي بالأمراء والملوك ويتعرف إلى ملك المغرب آنذاك الذي يقال إنه منحه وساما رفيعا بنفسه، ويصبح الشيخ محمد المصري هو الساحر الخاص لأحد أشهر الملوك العرب لا يفعل شيئا إلا بمشورته ولا يوقع قرارا إلا

بعد أن يقره الشيخ حتى إنه منحه سيفه الخاص، وقبل أن يموت الملك منذ سنوات قليلة أخذ عهدا على الشيخ محمد ألا يمارس سحره مع أحد من بعده في مقابل جزء من ثروة الملك فأعلن الرجل استقالته من عالم السحر.

ورغم أن زيارة ساحر معتزل لم تكن لها نفس قوة مغامرة زيارة ساحر مازال لاعباً في المضمار، ولكنها على أية حال بالنسبة لي كانت مغامرة تستحق.

وفي قصر «النجوم» القصر الذي يقطن به الشيخ عدت إلى عصور مضت، كنت أتمنى أن أحيا بها، فكأنني إحدى نساء نزار قباني التي حكى عنهن من عهد شهريار وشهرزاد.. كل ما بداخل القصر من مقابض للأبواب وأشياء ملموسة من الذهب الخالص، وتشارك الحياة مع الشيخ ثلاث زوجات اثنتان ألمانيتان تتحدثان العربية «بنطق مكسر» وواحدة مغربية.. نساء في حالة خضوع تام وتفان وتسابق لإرضاء الشيخ، ورغم الزوجات الثلاث فإن الشيخ لم يرزق إلا بابن واحد وسبحان الله فولده الوحيد معاق ذهنيا، فهل كان ذلك جزءاً من ضريبة يدفعها الرجل للتعامل مع عالم الجان المحفوف بالمخاطر والحرام؟!

لم يكتف الشيخ بخدمة نسائه فأتى بعدد من الخادمات وكأنهن ملكات جمال يرتدين ملابس كملابس إبليس في بلاد العجائب، ألم أقل لكم إني دخلت القصر المسحور؟! لا يصحو الشيخ من نومه إلا قبل العصر بقليل وإلى أن يستعد لاستقبال ضيوفه تكون الشمس في طريقها للمغيب، وأهل البيت يستعدون لوجبة الإفطار، وللشيخ هيبة ربما أعطاه سنه بعضاً منها، وربما طول القامة ساعد في هذا، وربما هناك عامل نفسي في أنني ألتقي بساحر معتزل وكل ذلك لا يصل إلى شيء من وصف ملابس الرجل، فرغم أنها ممهورة بأسماء أشهر مصممي الملابس في باريس ولندن فإنها تشبه ملابس شعبان عبد الرحيم في فجاجة ألوانها الصارخة ولكنها أكثر عرضا من جهة الكتفين فيبدو وكأنه يرتدي أجنحة.

الشيخ محمد رجل خفيف الظل يتحدث بعدة لهجات ويهوى الشعر الحلمنتيشي باللغة المصرية العامية، كما يقرض الشعر بالفصحى. لا يمكن أن تجزم من أي بلد أتى رغم أنه يعتز بمصريته ولكنه بالنسبة لي أتى من بلد الجن الذي لم استطع أن اسأله عنه، فرفيقي قد

حذرني من أن أتحدث مع الشيخ حول هذا الأمر. الشيخ رجل ابن نكتة شديد الاطلاع على أحوال العالم والدنيا، يحكي عن السياسة بنفس شغفه عن سحر الشعر ويتذكر الإسكندرية بنفس العشق الذي يذكر به برلين، أما المغرب النائمة بين حضن المتوسط والأطلسي فهي بالنسبة له المرفأ الأخير الذي استقر على صدره.

الشيخ رجل كريم، موائد طعامه تشبه حياته وثراءه، لغز لم أستطع عن أسأل عنه لكني اكتفيت بمشاهدته وكأنني طفلة وضعت رأسها في صندوق الدنيا. ودّعت الشيخ محمد المصري ولسان حالي يقول له «يا عم حزنبل» ورفيقي يشدني من يدي ليقول كما عم حزنبل في فيلم «صغيرة على الحب» «اليوم خلص».

ولكن الرحلة لم تكن بعد قد انتهت، رحلة كان لابد لي من أن أكملها بحكاية مع ساحر لم يعتزل، وهذه المرة كانت رفيقي في الرحلة «س» رجل مغربي حكي لي أن الرجال في المغرب أغلبهم يخافون النساء لأنهن يلجأن للسحر، وأنه هو نفسه قد تعرض من طليقته إلى سحر دفنته في أرض البيت الذي كانا يسكنانه، وعقدته بمائة وخمسين عقدة ولم يخلصه من آثار ذاك السحر إلا الشيخ الذي صحبني للقائه على بعد ٧٠ كيلومتراً من مدينة الرباط، قرية صغيرة تبدو كمنطقة شعبية من مناطق مصر في الهرم أو فيصل أو عين شمس، دخلت مكتب الرجل المكون من حجرتي انتظار واحدة للرجال وأخرى للنساء، مكان يبدو فقيراً لا شيء فيه لتصفه، انتظرنا الشيخ لبعض الوقت حتى أتى وأدخلنا حجرة شديدة الضيق لا يوجد بها إلا مكتب كبير متهالك وكرسي يجلس عليه وكنبة صغيرة تسع اثنين أمامه مباشرة، ثم أخرج مجموعة من الأوراق البيضاء وسألني عن اسمي ثم اسم أمي ويبدأ يكتب بأحبار صفراء وسوداء ويحسب ويعد ويتكلم بصوت منخفض وكأنه يحدث أحداً، والحق أني حتى هذه اللحظة كنت أشعر بأنني بداخل شريط فيلم هندي، قصة سأعود بها إلى القراء لأنقلها وهي كذلك، إلا أنني بدأت أشعر فجأة بألم في جسدي وحالة تثاؤب لا تنقطع، وانتابتني حالة خمول غريبة مفاجئة حتى إنني بدأت أسند رأسي بين يديّ لكي لا تقع على المكتب أو على كتف رفيقي، وراح الفقيه السيد إيت يتسم لي ويتحدث بلهجته المغربية التي لولا رفقة «س» ما كنت فهمت منها شيئا، راح يقول لي إن هناك عملاً يسكنني، وأن هذا العمل صنعته لي امرأتان وأنه يسبب لي كثيراً من

المشاكل، ورغم أني كنت في حالة خمول كامل فإن السخرية تلبستني فالحق أنني أواجه مشاكل كجميع البشر ولكن أغلبها بسبب طول اللسان، وتصوري أني أقول الحق ولا أرضى عنه بديلا، والحق أيضا أنه معمول لي عمل ولكنه عملي.. وراح الرجل يكتب ثم يكتب ويقول لي إن الناس تنفر مني لأني ككل البشر هناك من يحبني وهناك من ينفر، مني وقررت أن أغلّس على الفقيه فكلما سألني سؤالاً قلت مش عارفة ولم يكن هناك شيء يؤرقني سوى حالة التثاؤب غيرّ المنطقية الذي بررها الشيخ بأنها خروج للعين والحسد، فضحكت وقلت «حسدوا الفجر على ضل الشجر» فما أنا ممن يستحقون الحسد إلا من المجاذيب والحمد لله من قبل ومن بعد.

المهم بدأ الفقيه يكتب قائمة بالطلبات، بخور أستحم قبله بمياه البحر ثم بخور أمر عليه مرتين، ثم أستحم بمياه نهر عذب، ثم صورة توضع في ورقة، ثم أستحم بمياه نهر عذب، ثم صورة توضع في ورقة، ثم وعد بالزيارة التالية، ولكن حين عرف أني في طريقي للعودة ولن أمكث في المغرب طلب مني البقاء حتى يستطيع فك العمل، ولكن حين تأكد أنه لا سبيل لبقاء الزبونة أخرج من درج المكتب مسحوقاً أبيض وراح يضع منه شذرات في داخل ورقة، فقلت في نفسي يا ليلة سودة لو أن هذا المسحوق هيروين وطب علينا البوليس المغربي ودخلت في فضيحة عبر البحار، ولعنت الفضول الصحفي النسائي الذي دفعني لزيارة الفقيه واروش، ولكن الرجل أخرجني من تصوراتي حين أعلن لي أنني زبونة محببة لأني من مصر وأتيت مع «س» صديقه، فقرر أن يساعدني ولهذا سيهديني مسحوق مخ الضبع.. يا ليلة سودة مخ الضبع! ومن يكون الضبع؟! فأنا لا أعرف إلا شخصية الضبع التي قام بها زكي رستم في فيلم مع نعيمة عاكف، ولكن مرافقي أسر لي بأن مخ الضبع سره باتع وهو نادر جدا وله مفعول قوي في إزالة السحر وإخضاع الناس، ولم أكن في حالة تسمح بالمناقشة ولكنني للحق تمنيت أن أستخدم هذا المخ مع رئيس التحرير عادل حمودة حين يعنفني، لأني أتأخر في تقديم عملي، فقلت مخ ضبع أو مخ أسد فليكن وخرجت من مكتب الفقيه بعد أن دفعت مبلغاً محترماً مقابل أربع ورقات ومخ ضبع وحلم أن يكون له تأثير في أن أقتسم المبلغ مع عادل حمودة، الذي كان السبب، فهو الذي أوحى إليَّ بأن أفلام السينما بتروح وتيجي وإنني لا أفعل شيئا إلا مشاهدة الأفلام

والكتابة عنها، ولهذا طلب مني أن أبحث في المغرب عن شيء آخر أكتب عنه غير السيما وها أنا بحثت فهل مخ الضبع سيكفيه؟

ومنذ عدت من رحلتي وأنا انتظر تأثير مخ الضبع الذي لم يفلح مع رئيس التحرير، ولم يفلح مع زوجي في ألا يؤنبنيَ أنه سمح لي بالبقاء كل هذه المدة بعيدا عن مسئولياتي، ولم يفلح مع أبنائي الذين يعذبونني ككل الأمهات، ولم تزد من حب أحد أو تقلل من كراهية أحد، فكان عليّ أن اختار بين أنه مخ ضبع تايواني أو «كذب المنجمون ولو صدفوا» وأنا أؤمن بالأخيرة.

جريدة الفجر – مايو ٢٠٠٧

قنديشة جنيّة تسكن بلاد المغرب

قد أزعم أني امرأة عصرية لم أبحث يوماً عن غيب في بقايا فنجان أو وشوشة ودع بحري، قد أزعم أني أضحك من جهل امرأة تتحدث عن عمل السوء الذي وضعته غريمتها في شفطة ماء شربتها، قد أزعم عشرات القصص والمواقف التي تجعلني أحارب الخرافة في مجتمع شرقي مدمن لها، ولكنني لا أستطيع أن أزعم أني أقاوم مشاهدة فيلم داخل مسابقة رسمية في مهرجان سينمائي ولهذا جلست أشاهد الفيلم المغربي المشارك في مهرجان مراكش «قنديشة» والذي أخرجه جيروم كوهن أوليفار المولود في فرنسا وهو يهودي مغربي فرنسي والفيلم يحكي قصة عصرية لامرأة تتعرض للاتهام بسبب مقتل زوجها الذي كان يعذبها ودفاعها يقول إنها بريئة، وأن القاتلة هي قنديشة، ولكن من تكون تلك القنديشة التي يعوذ المغاربة ربهم منها؟

قنديشة ملكة، جنية أسطورية في حياة المغاربة عاشت في القرن ١٤ ،حبسها زوجها وعذبها ولكنها اختفت في يوم من سجنها ولم يعثر عليها أحد، ولكنها تخرج الآن لتنتقم من كل رجل يعذب أو يسيء لامرأة، قنديشة جنية مغربية تدافع عن النساء المقهورات، فلكل امرأة في المغرب قنديشة، ورغم أن الفيلم ليس على مستوى فني جيد، فإنه جعلني أمد يدي لامرأة تقرأ لي الغيب في كفي في ساحة الفنا أشهر معالم مراكش، فأنا في بلاد تسحر أهل الغرب بالجغرافيا والتاريخ وتسحر أهل الشرق بقراءة الكف وأعمال السحر، فكان فيلم قنديشة هو الذي دفعني أن أجلس أمام العرافة المغربية التي راحت تحكي لي عن ماض نسيته ومستقبل أجهله. ورغم أنني على يقين من أن صدق المنجمين كذب فإن

الذنب ذنب قنديشة الفيلم المغربي الناطق أغلبه بالفرنسية.

وبعيداً عن سحر قنديشة فإن سحر مهرجان مراكش ينبع من الجمهور المغربي، فالمهرجان يقام في قصر المؤتمرات في وسط المدينة ولكن أبوابه مفتوحة يصطف على جانبيها الجمهور المغربي على مدى أيام المهرجان بأعداد غفيرة ليشاهد النجوم ويشارك في مشاهدة الأفلام، قاعات الأفلام تزدحم بالجمهور المتعطش للسينما، فالجمهور في المغرب لا يبحث عن منظر ولكنه يبحث عن فيلم جديد، وفي رحلة بحثه يشاهد كل الأفلام من كل بلاد العالم، مهرجان مراكش قد يبدو في حفلاته وسهراته مهرجاناً للصفوة، ولكن كل فعالياته الرئيسية لجمهور العامة، فالجمهور في مراكش هو مصدر البهجة للمراقبين له، وإن كان النجوم والأفلام هما مصدر بهجة هذا الجمهور.

مراكش مدينة المتناقضات

لكل مدينة زرتها عندي رائحة ولون يخصها، ولمراكش رائحة الورد والبخور واللون الأحمر القاني، هي مدينة تحمل كل المتناقضات فهي التقاء للشرق والغرب، أهم معالمها مسجد، ورغم ذلك فهي ملتقي لكثير ممن يحملون صفة الجنس الثالث (شواذ من الرجال والنساء) يرون في مراكش المكان الآمن، ومغاربة يحلمون بالهجرة إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط، وفرنسيون ما إن تطأ أقدامهم أرض مراكش إلا ويقعوا في هواها ولا يبرحوها بل يدفعوا إلى أهل المغرب لإعطائهم أوراقاً تثبت أنهم يعملون حتى يبقوا في المغرب، في مراكش مثال عظيم لعبارة (قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ماحدّش عاجبه حاله. فالمغاربة يحلمون بالهجرة منها والفرنسيون يحلمون بالإقامة فيها ويحجون إليها على الأقل في عطلة نهاية الأسبوع.

في مراكش تناقضات حياة البشر، ففيها القصور والنساء اللاتي يرتدين مجوهرات شوبار وأزياء كريستيان ديور، وفيها فقراء ينامون شبه عرايا على الأرصفة. مراكش مدينة تغمرها الشمس رغم أنها محاطة بجبال الثلج، ولذا فهي تشبه الجغرافيا.

جريدة الفجر — أبريل ٢٠٠٨

غياب نجوم الدالي

أبدو أحيانا بل غالبا مسحورة بالفن السابع، وهو كل شاشة كبيرة مضاءة في قاعة صغيرة أو كبيرة مظلمة، وهذا السحر يدفعني للرحيل بين الحين والآخر من مصر إلى بلاد مختلفة تحتفي بالسينما، وأكثر البلدان العربية قاطبة التي تحتفي بالسينما وترى في مهرجاناتها فرصة للاستثمار المادي والثقافي هي المغرب.. ولهذا ففي المغرب يقام سنوياً أكثر من ٣٥٠ مهرجاناً منها نحو مائة مهرجان للسينما. ومحطتي في هذه الرحلة أقصى الجنوب المغربي في منطقة الداخلة التي تنام بين أحضان المحيط ويفصلها عن الحدود الموريتانية ٣٠٠ كيلو.

يقام في الجنوب سنويا ملتقى دولياً للسينما، وفي كل عام يقام في محافظة مختلفة، فالعام الماضي أقيم الملتقي في محافظة العيون، أما هذا العام فالداخلة هي حاضنة الملتقي الذي تعرض فيه بانوراما للسينما المغربية إضافة إلى أفلام من ١٢ دولة بينها فرنسا وإسبانيا وتونس وسوريا وسويسرا وألمانيا ولبنان وكذلك مصر التي تعرض فيلم «ميكانو».

وعادة ما يضفي الوجود المصري على الملتقيات والمهرجانات العربية خاصة المغرب حالة من السعادة سواء للقائمين على المهرجان أو لجمهور هذه المهرجانات.

هذا العام دعا المهرجان أسرة مسلسل «الدالي» لتكريمهم برغم أنه مهرجان سينمائي، وذلك للنجاح الكبير الذي حققه المسلسل في المغرب، كما تمت دعوة فيلم «ميكانو» وأبطاله تيم الحسن ونور، ولكن للأسف رغم الاحتفاء الذي كان ينتظر أبطال المسلسل اعتذر نور الشريف لانشغاله بتصوير عملين لرمضان وكذلك سوسن بدر، أما وفاء عامر ومحمد فوزي وصلاح رشوان لم يعتذروا وأكدوا حضورهم، ورغم هذا لم يحضروا مما سبب حرجا كبيرا داخل المهرجان، وكذلك حرجا لكاتب المسلسل وليد يوسف الوحيد الذي التزم

بالحضور، وبالفعل تم تكريمه كما أقام ورشة خاصة بالسيناريو على هامش المهرجان.

الفنانون المصريون شاء من شاء وأبي من أبي،هم فاكهة المهرجانات العربية السينمائية، وهم لا يدرون ربما أن دورهم يتصدي تمثيل أنفسهم ولكن على عاتقهم يقع استمرار مصر رائدة ودرة تاج للتجمعات السينمائية والفنية العربية.

درجة الحرارة أعلى فاستعد كل منا بملابسه الصيفية، ولكننا وجدنا المفاجأة في أن الجو أقرب إلى الشتاء القارس منه حتى للصيف البارد، فكانت ورطة لنا جميعا.

منطقة الداخلة منطقة نائية عن العاصمة فهي تبعد ساعتين ونصف الساعة بالطائرة من الدار البيضاء، وهي تحمل بصمات مختلفة تماما عن الشمال المغربي، فهنا التأثير الإسباني أكثر وضوحا من التأثير الفرنسي، فإسبانيا كانت المستعمر لهذه المنطقة، ولذا يندر أن تسمع فيها اللغة الفرنسية فإما العربية أو الإسبانية، المغاربة في هذه المنطقة ملامحهم أقرب للملامح الإفريقية وكذلك لون بشرتهم.

النساء في صحراء المغرب يختلفن عن نساء الشمال، فالجمال هنا مرتبط بزيادة وزن المرأة فكلما زاد وزنها زاد جمالها وقيمتها، ومهرها جمل وحلي من الفضة، والنساء هنا لا يرتدين القفطان بل يرتدين الثوب مثل نساء السودان وموريتانيا، ويكاد المغاربة هنا لا يعرفون الذهب برغم أن هذه المنطقة يُطلق عليه وادي الذهب فإن الفضة هي المعدن النفيس في الصحراء، والدين الوحيد هو الإسلام فالمغاربة إما مسلمون أو يهود ولكن اليهود ليس لهم وجود في الجنوب وأغلب تجمعاتهم تكون في فاس.

حفل افتتاح الملتقى السينمائي الدولي أقيم في ميدان عام تم فيه تجهيز مسرح كبير وحضره أهالى البلدة يشاهدون نجومهم المغاربة الذين أتوا لمساندة المهرجان من مخرجين وممثلين، وكان أبرز الحضور المطرب اللبناني يوري مرقدي الذي غنى معه الجمهور أغنية «عربي أنا» بدون موسيقى. وكان غياب النجوم المصريين صدما للجمهور الذي انتظرهم حتى إن بعض المغاربة المقيمين في إسبانيا حضروا خصيصا للقائهم حين عرفوا ولكنهم أصيبو بخيبة أمل لغيابهم.

قد لا تكون منطقة الداخلة في أقصى جنوب المغرب ليست مغرية للنجوم كدول النفط السينمائية، ولكنها مدن تحمل حبا وقيما للفن المصري يساوي كل النفط وأكثر من دبي أو أبوظبي.

جريدة الفجر - مايو ٢٠٠٩

المدينة المجنونة الحمراء

في كل مرة أكون في طريقي راحلة من القاهرة إلى أي مدينة، في بلد آخر، مهما كنت أحبه، أشعر وكأني منزوعة الجذور، ففي القاهرة كل معالم حياتي، فهي المدينة التي تحمل وتتحمل كل متناقضاتي التي ورثتها منها وأمارسها فيها.

ولكن في هذه المرة اختلف الأمر وأنا راحلة عن القاهرة متجهة إلى بلاد المغرب لحضور فاعليات مهرجان مراكش السينمائي الدولي، لأني ببساطة كنت سأترك القاهرة الغاضبة التي خاصمتها لأنها خاصمت نفسها وأصابها الجنون بعد مباراة كرة قدم حدث فيها وبسببها ما حدث، كنت قد مللت من رؤية وجوه على الشاشات تتحدث عن الوطنية والكرامة المهدرة، وزهقت من الجلوس أو حتى حديث تليفوني يحاورني عن رأي فيما يحدث أو ماذا يجب أن يكون، فالقاهرة التي أحبها لأنها متنوعه، لم تعد كذلك فقد تحولت إلى ستاد كرة قدم لا صوت فيه يعلو على التعليق الرياضي أو التشجيع والصراخ، وأنا أكره المعلقين الرياضيين وتحليلاتهم العقيمة وكل شيء يخص ملاعب الكرة وحتى مشجعيها، لأنهم يسيرون بمنطق القطيع.

ومع القطيع كل شيء يتوه، وأول ما يتوه هو صوت العقل، وبذلك فقدت القاهرة بالنسبة لي أي معالم للعقل فخاصمتها وسعدت بابتعادي عنها.

وسأذهب إلى بلاد تحتفي بالسينما التي أحبها، وسأشاهد أفلاما من كل بلاد العالم، وسأقابل نجوما أعشق أعمالهم ولا وسيلة لي للقائهم إلا من خلال مهرجان كمهرجان مراكش الذي تسير فيه النجوم على الأقدام مع سائر البشر.

ومراكش ليست فقط أفلام ونجوم، ولكنها المدينة الساحرة الحمراء التي توجد بها ساحة الفنا، أكبر مطعم في العالم وحدائق زهور غنّاءة وشاي مغربي صاف ووجوه تعشق لكنتي في نطق اللغة لأني مصرية، وسوق عتيق يردني إلى زمن الأندلس وأشياء كلها ترجح أن أيامي المقبلة وأنا هاربة من صخب الحديث عن الكرة في القاهرة قد انقضت.

في المغرب مغفور لك خطاياك لأنك مصري، بمعنى أن المصري هو الإنسان المدلل من كل مغربي كبير أو صغير، رجل أو امرأة، أمير أو غفير، وذاك ببساطة يعطي لهم الحق كشعب أن يتحدثوا عن مصر وأن يمارسوا عليها كل الحق وأن يعتبوا عليها، فمصر عند المغاربة بتاعتهم كلهم.

السجادة الحمراء

حفل افتتاح مهرجان مراكش يقام في قصر المؤتمرات الملحق به عدة فنادق محيطة، وبه قاعات عديدة للعرض السينمائي وكل انفاعليات تقام فيه.

شاشات العرض العملاقة تنقل الفاعليات في كل أنحاء مراكش، إضافة إلى أن الجمهور يقف صفوفا لمشاهدة الحفل وضيوف السجادة الحمراء ولا تفصلهم عنهم أسوار مغلقة، كما في مهرجان القاهرة السينمائي أو مهرجان دمشق أو أي مهرجان عربي آخر بل تبدأ السجادة ومرور الضيوف في الشارع العام.

حفل أنيق صاخب بالجمهور الذي يقف ساعات وساعات لمشاهدة النجوم ومصافحتهم.. وفي داخل المسرح الكبير الذي يسع الآلاف يجلس الضيوف في حالة تشرح القلب حقيقة. وتبدأ المراسم بدون كلمات لوزير أو مسئول، مجرد تقديم لمذيع ومذيعة باللغة العربية والفرنسية وترجمة مصاحبة بالفرنسية والإنجليزية والعربية، ثم يصعد أعضاء لجنة التحكيم الذين يترأسهم هذه السنة المخرج الإيراني الأشهر عباس كيروستامي.

ويعلن عن فيلم الافتتاح، أما التكريمات فلا تتم خلال هذا الحفل ولكنها تكون على مدار أيام المهرجان باحتفالية مستقلة لكل مكرم، تصاحبها وقائع افتتاح مماثل لليلة الأولى.. وبذلك تظل أضواء مهرجان مراكش مضاءة على مدى أيامه الثمانية كل ليلة

وكأنها افتتاح.

فيلم الافتتاح كان هذا العام فيلم «جون رابي» مخرجه ألماني وهو فلوريان كالينبيركر، وهو إنتاج ألماني فرنسي صيني ومأخوذ عن قصة حقيقية وقعت أحداثها في ناجين المدينة الصينية في عام ١٩٣٧، وبطلها ألماني وهو جون رابي مدير مصانع سيمنس الألمانية في الصين، فيلم رائع انتزع التصفيق من جمهور غفير لا يترك الأفلام ليحضر حفلات العشاء، كما يحدث للأسف في مهرجان القاهرة التي أنتمي إليها، مجرد ملاحظة وجب رصدها علنا نتعلم.

وكالعادة تتم دعوة كل المشاركين في المهرجان بعد الافتتاح إلى حفل عشاء على شرف صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، رئيس مؤسسة مهرجان مراكش، والذي يجلس على المائدة الرئيسية مع أعضاء لجنة التحكيم والمكرمين في وسط القاعة دون حراسة أو بودي جاردز، تمنع المرور أو ترصد أيديهم من تسوّل له نفسه في الاقتراب، بل يجلس الجميع في حضرة صاحب السمو الملكي المغربي بلا إجراءات أمنية ولا تنغيص عيشة، كما يحدث في مصر مع أي وزير أو مسئول حتى أقل من درجة وزير في فرح خاص.

أنا والأمير

لست من هؤلاء الذين تبهرهم السلطة أو يحومون حول رحالاتها، ولكن البشر ومتابعتهم ورصد طبائعهم هي التي تجذبني إلى مراقبتهم، وقد علمتني الحياة أن مراقبة رجال السلطة والمال والسطوة إنسانياً شيء شديد الإثارة.

في العام الماضي حين كنت أتابع وقائع نفس المهرجان في دورته الثامنة، كتبت عن لقائي بصاحب السمو الملكي، وأنا أجلس في المركز الصحفي، حيث فوجئت به يطوف لمكان دون حراسة أو كلاب بوليسية تسبقه أو غيرها من مظاهر وصول شخصية مهمة وعلقت على هذا الأمر وكان بيننا حديث نقلته في حينه وكدت أن أنسى هذا الأمر، ولكني ولعجبي هذا العام أيضاً وأنا أجلس أحضر رسالتي للجريدة لإرسالها من المركز لصحفي للمهرجان، وجدت الأمير ثانية وبنفس الطريقة يطوف في المكان ليرحب ضيوف المهرجان بلا كلاب ولا حراسة مفتولة العضلات، ولا يد تمتد لتقصيك عن

طريقه.

وضحكت بشدة، فكلاكيت ثاني مرة وكأن الأمير يتخيّر الوقت الذي يزور فيه المركز الصحفي غيظاً فيّ لأني مصرية ليحسرني على حالى وأنا التي تدفع مبلغاً وقدره في مخالفات مرورية يومية، يقولون لي إن سببها سيارتي الغلبانة التي تعطل موكب سيارات لأحد المسئولين الذي أوقعني حظي العثر في السكن إلى جوارهم!

على أي حال في هذه المرة قررت أن أفعل شيئاً مختلفاً، أن أطلب التصوير مع الأمير وليس مجرد الحديث معه لأقترب أكثر، ولعجبي رحب الرجل بتواضع بل دعا جميع الحضور للتصوير معه وأنا أقف بجواره.

جريدة الفجر – ديسمبر ٢٠٠٩

قصص الإثارة

حين تكون محباً للسينما وحكاياتها وشاشتها المضيئة، تجد نفسك دون أن تدرك أن أسوأ ما فيها هو لحظة إعلان النهاية لأي فيلم خاصة لو كان فيلماً جيداً أحببته.

والمهرجانات السينمائية ليست مجرد فيلم واحد، ولكنها عشرات من الأفلام نحب بعضها وقد لا نحب البعض الآخر، ولكننا في النهاية نكون مطالبين بالرحيل عن أيام وأفلام ووجوه وبلاد تركت فينا علامات.

مراكش ومهرجانها المقام في كل شارع وزاوية وركن، يترك ونحن راحلون غُصة الإحساس بالنهاية لفيلم دافئ أحببناه. وإن ظلت حكاياته مستمرة بداخلنا حتى بعد أن انطفأت أضواؤه في الشوارع وأعلنت لجنة التحكيم جوائزه، لأن كل مسافر إلى أي بقعة في الأرض سيجد أمامه في الطائرة شاشات تعرض مقتطفات من تاريخ المهرجان منذ بدايته حتى الآن.. بعبارة أخرى حتى وإن حاولت كمسافر أن تنسى ما شاهدت، فإن مهرجان مراكش يظل يطاردنا حتى لحظة وصولنا إلى بلادنا، دعاية مجانية على الطائرات المغربية من وإلى أي مكان في العالم.

القصة الأكثر إثارة

مهرجان مراكش ابتدع طقساً يميزه عن غيره من المهرجانات السينمائية، حيث تتم في كل يوم من أيامه سجادة حمراء واحتفالية تماماً كاحتفالية الافتتاح، لتكريم شخصية سينمائية أو فيلم سينما دولة مثل كوريا الجنوبية هذا العام.

وفي ليلة تكريم النجم العالمي الإنجليزي سيربن كينجسلي، صاحب الدور الأشهر

لغاندي، فوجئنا بدراجة بخارية عليها سيدة تقتحم الحواجز الأمنية وتطير في الهواء، وتنقلها الشاشات العملاقة في كل أنحاء مراكش وكذلك في داخل المسرح الذي يقام في المهرجان.. تصور الكثيرون أن هذه اللحظة مرتبة ومقصودة، ولكن هلع رجال الأمن واندفاعهم خلف الدراجة البخارية أكد لكل من شاهد هذا المشهد أنه مفاجأة ليست محسوبة.. وبدا الهلع في عيون النجوم خاصة الأجانب الذين ظنوا أنها عملية إرهابية، استطاع رجال الأمن إلقاء السيدة بدراجتها بعيداً عن السجادة الحمراء وشاهد الجمهور الحاضر لمتابعة الفعاليات السيدة تطير في الهواء بدراجتها البخارية ورجال الأمن يقيدنها، أعلنت الصحف في اليوم التالى أن السيدة مختلة عقلياً وقالت إنها أرادت بفعلتها مقابلة الملك الراحل الحسن الثاني!

ولأني عربية الأصل مصرية النشأة لم أبتلع قصة الخلل العقلي الذي يلصقه الأمن العربي بأي حادث حتى قبل أن يقبض على الفاعل. ورغم هذا الحادث العارض فإن فعاليات المهرجان استمرت في الشارع مع زيادة في الحرص الأمني الذي لم يؤثر في تجول الضيوف أو المرتادين لفعاليات المهرجان.

أنا والصحفي الجزائري

منذ أن وطأت قدماي أرض المغرب وأنا أواجَه بسؤال واستنكار وعتاب ونقاش حول موقعة الخرطوم بين مصر والجزائر، المغاربة دون استثناء يعشقون مصر بكل ما فيها، فهل تصدق أنهم أكثر منا حزناً على موت الدكتور مصطفى محمود الذي رحل في هدوء لأن رحيله أتى في أعقاب موقعة مصر والجزائر.

المغاربة عاتبون على الفنانين المصريين تصريحاتهم العنصرية لأنهم يرون أن الفنان المصري ملك لكل العرب، فالحب يمنح حقوقاً قد غفل عنها الفنانون في خضم كسب وركوب موجة قطيع غاضب. وكان عليّ كمصرية أن أنقل على الأقل لمن حولي أن مصر كبيرة ولا شيء يغريها في الصغائر السياسية أو الكروية.

خلا مهرجان مراكش من أي فيلم جزائري أو وفد، ولكن حين سألت وجدت صحفياً واحداً جزائرياً مددت له يدي فقال ضاحكاً تحيا مصر فصحت: أجيريا فيفا.

جريدة الفجر – ديسمبر ٢٠٠٩

جائزة كراهية المغرب

مهما كنت غاضبة من القاهرة، ومهما كنت مستاءة منها ومن زحامها وكثرة قمامتها التي تحاصرني فتخنقني ومن أخلاقها التي تغيرت.. أجد أني أحملها معي حيثما ذهبت غصبا عني! فمهما خفت حقائبي في سفري أجدني مثقلة بمتناقضات ورثتها من القاهرة..

المدينة التي أعيش فيها حتى النخاع

تركت القاهرة الهادرة بغضب الكورة المخاصمة لأشقائها والمريضة بالشوفونية لمدينة متصالحة مع كل من حولها قبل أن تكون متصالحة مع غيرها وهي مراكش.

مراكش مدينة لا تعرف فيها معنى الغربة أي كانت جنسيتك أو لونك أو لغتك أو حتى دينك ومعتقداتك، فهي المدينة المغربية التي ترحب حتى بالشواذ الذين يجدون فيها الراحة ولا تحاكمهم أو تزدريهم لأنهم من أهل لوط. تسامح بشري عجيب في مدينة أعلى ما فيها مئذنة لجامع الفنا، وصوت الأذان يدب في أرجائها ليعلن عن موعد الصلاة، وكثير من شيوخها تجد على وجوههم تقوى وورعا حقيقيين حتى وإن لم تجد علامة على جباههم من زبيبة صلاة المصريين.

وجدت مراكش حزينة على وفاة الدكتور مصطفى محمود بصدق. يتحدثون عنه ويشاهدون على شاشاتهم برنامجه الغائب عنا «العلم والإيمان» في الوقت الذي لم تجد مصر وقتا لتحزن على هذا الرجل، لأنها كانت غاضبة بسبب موقعة أم درمان الكروية التي بدت أهم من رحيل رجل كمصطفى محمود.

في مراكش جلست إلى ساحر السينما وحاصد الجوائز العالمية المخرج أمير كوستاريكا،

المولود في سراييفو بالبوسنة ومنها انطلق ليصبح من أهم المخرجين العالميين، ولا يشارك بفيلم في أي مهرجان عالمي كبرلين أو كان أو فينيسيا إلا ويحصد الجوائز.

في مراكش قابلت سيربن كينجسلي، الشهير بغاندي والذي رشح ثلاث مرات بالأوسكار، ثم فاز بها وبلقب سير منحته له ملكة بريطانيا، وجلست بجوار كريستوفر والكن، بطل فيلم وعشرات من الأدوار التي عشقتها. وعشرات من النجوم مثل مخرج فيلم هاري بوتر، فجميعهم كانوا في متناول يدي لأن مهرجان مراكش مثل المدينة التي يحمل اسمها لا وجود فيه لصفوة نجوم يصعب على الإعلام الوصول إليهم.

مصر دي بتاعتنا كلنا

في المغرب مغفور لك خطاياك لأنك مصري، بمعنى أن المصري هو الإنسان المدلل من كل مغربي كبير أو صغير، رجل أو امرأة، أمير أو غفير، وذاك ببساطة يعطي لهم الحق كشعب أن يتحدثوا عن مصر وأن يمارسوا عليها كل الحق وأن يعتبوا عليها، فمصر عند المغاربة بتاعتهم كلهم.. لم أختلف مع مغربي واحد فيما عتب عليّ مصر من مثقفيها وفنانيها وإعلامها فالجميع قد أساء التصرف ولا أستطيع أن أصف لأي منكم سعادة كل مغربي كنت أنقل له رأيي، فكأن ما كنت أقوله بموضوعية تجاه خلاف مصر والجزائر كان ينزل بردا وسلاما على قلوبهم، لأنهم كمحب مصدوم في حبيبه، ووجد من يؤكد له أن حبيبه على الوعد وأنها مجرد زوبعة في فنجان سياسي ليس إلاّ.

الحب لمصر والكراهية لعمرو أديب وإبراهيم حجازي

لن أدعي أني قابلت ملايين المغاربة، ولكني أزعم أنهم جميعا اجتمعوا على حب مصر وكراهية عمرو أديب وإبراهيم حجازي وكل من يقدم برنامجا رياضيا على محطات التليفزيون المصري الخاص والرسمي، لأنهم تحدثوا بما لم يفهموه من السياسية والتاريخ والجغرافيا.

أما الفنانون المصريون الذين يعشقهم المغاربة ولا يتصورون الحية بدونهم ويشعرون أنهم جزء منهم، فقد قالوا عنهم إنهم ملك لكل العرب ولا يحق لهم أن يزدروا عربيا أيا كانت جنسيته، لأن الفنان بلا جنسية أمام حب الجماهير. حكمة غابت عن عقول الفنانين والمثقفين فلا الحب مشاعر مقبولة مع القطيع ولا الكراهية مشاعر مبررة.

عند المقاربة حزن وغضب من يسرا ومحمد صبحي وعشرات من الفنانين الذين دفعتهم مشاعرهم أو ضمان اللعب على مشاعر الجماهير إلى أقوال وأفعال لم تكن تليق بهم. المغاربة غاضبون من زينة التي بالكاد بدأوا يعرفون اسمها لأنها قالت ما لا يصح مثل؛ إننا لا نعرف من الجزائر إلا عاهراتها على نواصي باريس مما دفعهم لأن يتساءلوا كيف تعرف زينة ذلك إلا إذا وقفت إلى جوارهن أو تعرف من الرجالة من يتفاوض معهن.

حاولت الدفاع عن البعض وغضبت مثل المغاربة من بعض الفنانين، ولكني ما استطعت أبدا أن أصل إلى سماحة أهل مراكش التي حفلت بكل أطياف الصحافة والإعلام من كل مكان، حسني الرداد بطل فيلم «احكي يا شهرزاد» النجم الشاب الذي صاحبني في جزء من رحلتي المغربية شعر بكثير من الانبهار بحب الجماهير للفنان المصري، فبدا وكأنه مدفوع لأن يخجل مما صنع زملاؤه الآخرون في المهنة ومدفوع لأن يعتذر نيابة عنهم برقة تعامله.

نجوم مصر يصارعون من أجل رفع قيمتهم المادية والمعنوية، ويتمسكون بكلمات مثل السيادة والريادة، ولكنهم نسوا كل ذلك أمام لغة القطيع فخسروا، ولعلهم يتداركون هذا الخطأ سريعا.. أمنية لعلها تتحقق.

جريدة الفجر – ديسمبر ٢٠٠٩

حكايات عن مراكش

مهرجانات السينما هي بالتأكيد تجمع عالمي لصناع الأفلام أو الحكائين الذين يأتون من الشرق والغرب، كل بلغته وبمفرداته يحكي حكاية من بلاد قد لا تسمح لنا أبداً الأيام أن نطأها بأقدامنا.

ودائماً ما يراودني الخوف أو التردد فيما يجب أن أنقله للقارئ عن هذه التجمعات السينمائية، فهل أحكي عن أفلام شاهدتها وربما بل بالتأكيد لن يراها القارئ إن لم يكن حاضراً، أم أنقل مجموعة من الأخبار الفنية التي يتم تداولها خلال هذه اللقاءات، وبعضا من النميمة التي ترتبط بالتجمعات الفنية؟

ولكن اسمحوا لي ألا أفعل هذا أو ذاك.. بل أصحبكم معي في رحلة إلى المدينة الحمراء كما يسميها أهلها أو «مراكش» المدينة المغربية التي يقام فيها كل عام مهرجان مراكش السينمائي الدولي.

مدينة قديمة جديدة

تقع مدينة مراكش في الجزء الجنوبي من بلاد المغرب، حيث تبعد عن الدار البيضاء حوالى ساعتين بالسيارة، وتحيطها سلاسل جبال أطلس الكبير، وهي مدينة قديمة يحكي أهلها حكايات عن نشأتها، وأنها كانت قديماً ممراً لقوافل التجار في منطقة المغرب العربي إلى بلاد أفريقيا كموريتانيا والسنغال وغيرهما.

وأشهر وأقدم منطقة في مراكش هي ساحة جامع الفنا، ويقولون إن هذا الاسم أطلق عليها لأن من كان يمر من التجار دون أخذ العهد من أهلها كان يفنى في تلك المنطقة،

وتعد هذه الساحة والشوارع المحيطة بها تلخيصاً لكل الفلكلور المغربى، ففيها تجلس السيدات العجائز ليقرأن لك البخت والطالع، وأخريات ليرسمن الحنة على الأيدي، ورجال يلفون الثعابين حول أعناقهم ويرقصون معها، وآخرون يلعبون بالقرود. وهناك أيضاً حلقات الحكائين وهم يشبهون منشدي السير كسيرة أبي زيد الهلالى وغيره.

المدينة الحمراء لا يرتفع فيها بناء لأكثر من أربعة طوابق لتظل مئذنة الجامع ومبنى الكتبية دائماً هما المعلمين اللذان لا يعلو فوقهما شيء، وليظل بقوة القانون كل مبانيها حمراء كإسمها. وفي الليل تتحول تلك الساحة الكبيرة إلى أكبر مطعم في العالم في الهواء الطلق، حيث تتراص المناضد والكراسي والمطاعم التي تقدم الطعام المغربي التقليدي مثل الطنجيرة، والكسكسي، ولحم الرأس، والكوارع، وعشرات من الأكلات، ويرتاد تلك الساحة الآلاف يومياً، أما في فترة مهرجان السينما فتوجد شاشة عرض عملاقة تعرض أفلاماً مختارة من أفلام المهرجان يقف الآلاف لمتابعتها، ويذهب صناع ونجوم الأفلام إلى رواد ساحة الفناء ليقفوا على مسرح ليقدموا أفلامهم.

كل شيء في المدينة يحتفي بالمهرجان، فهو ليس مهرجاناً للصفوة، ولكنه مهرجان للمغاربة ولغيرهم من الجنسيات التي ترتاد المدينة، فقبل بداية المهرجان بساعات حتى نهايته تجد المئات من الشباب المغربي حتى العجائز يقفون في صفوف طويلة طلباً لتصريح خاص لحضور فعاليات المهرجان.

ملك الموضة يتعلم الألوان

مراكش هي ليست المدينة الحمراء لكنها مدينة الورد التي تحمل كل الألوان، فالورد البلدي فيها مزروع في كل مكان، وله رائحة الورد زمان وليس كما نراه الآن في مصر شكلاً دون رائحة، مراكش مازالت تعرف الورد البلدي، حتى ونحن في قلب الشتاء، لكن ورد مراكش مفتح ولا أحد يقطفه من الشوارع فهم يستمتعون بشكله ورائحته دون أن يؤذيه أحد.

ولأن مراكش مدينة الألوان فقد وقع في غرامها ملك الألوان مصمم الأزياء العالمي الراحل إيف سان لوران، الذي سكن تلك المدينة وطلب أن يدفن جزء من رماد جثمانه بعد الموت في مراكش، وكان له ما أراد، وحكاية لوران مع مراكش حكاية تبدو كالأفلام

أو الأحلام، فقد زار مصمم الأزياء مراكش عام ١٩٦٦، ومنذ ذلك التاريخ وقع في هواها بل قال «منذ أن اكتشفت مراكش كانت صدمة لي فهذه المدينة هي التي علمتني الألوان وكيفية خلطها» وفي عام ١٩٨٠ اشترى لوران منزلا في مراكش، وحوّله إلى حديقة غناء تذخر بثروة هائلة من نباتات جمعها من خمس قارات، وبيت عاش فيه، وطلب أن يدفن فيه، والبيت أصبح الآن مزاراً سياحياً ومعلماً من معالم مراكش باسم حديقة «ماجوريل» نسبة إلى صاحب البيت الأصلي الفرنسي جاك ماجوريل الذي وقع في هوى مراكش أيضا وعاش فيها منذ العشرينيات إلى أن مات في عام ١٩٦٢، وبعده اشترى إيف سان لوران المنزل ليصير حتى اليوم، دليلا على الهوى الذي يأسر قلوب الغربيين وخاصة الفنانين لمراكش.

صراع السيارة والموتوسيكل والحصان

كانت مدينة مراكش تتميز عن كل المدن المغربية بالموتوسيكل وسيلة المواصلات الرئيسية لدى الجميع شباباً وشيوخاً رجالاً ونساء، أغنياء وفقراء، الكل في هذه المدينة يستعمل الموتوسيكلات بصورة دائمة، وتكاد أن تحصي عدد السيارات في أي شارع على أصابع اليد، وإلى جوار الموتوسيكلات تجد أيضاً الحنطور، فهو وسيلة أخرى من وسائل المواصلات الرئيسية، وخاصة بالنسبة للسياح، إضافة إلى التاكسي، أو كما يسميه المغاربة طاكسي، وكنت في السنين الماضية أتأمل الشوارع، وسيولة المرور فيها، فأتمنى أن يهجر المصريون السيارات إلى هذه الوسيلة، ولكنني هذا العام لاحظت بشكل ملفت للنظر أن الموتوسيكلات تناقصت بشكل كبير، في الوقت الذي زادت فيه أعداد السيرات في الشوارع، وبالتالي زاد الزحام، ولكن طبعاً لا تتصور عزيزي بأي معنى من المعاني أن معني الزحام في مراكش هو نفس معناه مثلاً في مدينة القاهرة، لا.. لا.. انس!' ولكن المقارنة هنا بين مراكش حتى العام الماضي ومراكش هذا العام.

جريدة اليوم السابع - ديسمبر ٢٠١٠

في دمشق العرب يتعاركون وإيران تفوز

بينما العالم يرقب تغيراً دراماياً في الاقتصاد من خلال انتكاسة اقتصادية وأيام لا تبشر بالخير للفقراء والأغنياء معاً، وتغيراً في مزاج وقناعات سيدة العالم أمريكا حين اختارت رئيساً أسود، تتصارع العواصم العربية فيما بينها على المهرجانات السينمائية، فمن أبو ظبي إلى قرطاج إلى دمشق ثم مراكش ومنها إلى القاهرة وأخيراً دبي.. ففي أقل من شهر ونصف الشهر تقام ٦ مهرجانات سينمائية عربية، ولقد أصبح الحديث عن التنسيق بينها ضرباً من ضروب الأحلام غير المتحققة، وعلى المتابعين والمهتمين مثلي بهذه المهرجانات بحكم المهنة أن يكتفوا بأيام قليلة من كل مهرجان وكأنهم نحلة تتذوق من كل زهرة قطفة، وقد تكون أحياناً علقماً من صبار أو سكر من ياسمين.

وإذا ذكر الياسمين فنحن إذن نتحدث عن مدينة الياسمين دمشق أو الشام، كما يحلو لأهلها أن يطلقوا عليها، بعد أيام قليلة من الافتتاح وصلت إلى دمشق التي تحتفل بكونها عاصمة للثقافة العربية وبمهرجانها السادس عشر الذي أصبح يقام مرة كل عام بدلاً من كل عامين، ومن دمشق أتيت لكم بحكايات ليست كلها عن أفلام قد لا يراها القارئ ولكنها عن البشر والفنانين وتداخل السياسة مع الفن حباً أحياناً وكرهاً في بعض الأحيان.. حكايات مهرجان دمشق تحمل كثيراً من الدراما التي تشبه أفلامنا.

الحكاية الأولى: «لا تعايرني ولا أعايرك الهم طايلني وطايلك»

كل صحف سوريا الشهيرة من «تشرين» و «البعث» إلى «الثورة» وغيرها تكتب مثلما نكتب في مصر عن تدهور حال الدراما التليفزيونية، فنحن نصرخ مطالبين بحال أفضل وبالحذر من تفوق الدراما السورية، وهم أيضا ينتقدون الدراما الخاصة بهم ولا يعجبهم

حالهم مثلنا تماماً، حتى إنني قرأت مقالاً لـ «حنّا مينا» أحد أهم أدباء سوريا المعاصرين يكتب عن المسلسلات التاريخية السورية معاتباً وناقداً، وكيف أنها مرمطت التاريخ فهي بالنسبة له مجرد مجموعة خيول وغبار وبعض الكر والفر بين مجموعات من الكومبارس، ومن العجب أن نري في هذه المسلسلات قمة الفن بينما هم يرون فيها خدعة فهل العيب فينا أم فيهم أم في المسلسلات نفسها؟!

الحكاية الثانية: قصة تكريم واستفهام

نادية الجندي غادرت المهرجان في أسعد حالاتها، فقد كرمها المهرجان في حفل الافتتاح، وقد توقفت بالفعل كثيرا أمام هذا التكريم فمهرجان دمشق يماثل مهرجان القاهرة في ضرورة تكريم عدد لا بأس به من الأسماء في الافتتاح والختام حتى إن التكريم يفقد معناه، والحقيقة أن تكريم نادية الجندي يطرح سؤالاً: هل التكريم يأتي للفنانين لمجرد كبر السن، أم أن التكريم لقيمة يمثلها ذلك الفنان بغض النظر عن عمره الفني أو الحقيقي؟ ونادية الجندي وإن كانت أطلقت على نفسها نجمة الجماهير إلا أن قيمة هذه الجماهير مرتبطة بزمن انقلبت فيه الموازين حتى صارت نادية نجمة لهم بأفلام لا تكاد تحمل قيمة، ولكن مهرجان دمشق له الحق في تكريم من يراه ولي نفس الحق في أن أسأل لماذا؟

الحكاية الثالثة: الصراع السياسي الفني

في نفس وقت اجتماع السينمائيين العرب كان السياسيون العرب يجتمعون تحت مظلة البرلمان العربي لمناقشة الاتحاد من أجل المتوسط برئاسة مصر وفرنسا، وكان الوفد المصري مكوناً من د. مصطفي الفقي ورجاء العربي واللواء سعد الجمال عضو مجلس الشعب، وتهاني الجبالى، يقيم في نفس الفندق الذي يقام فيه المهرجان، وحضر الوفد السياسي عرض الفيلم المصري وخلطة فوزية الذي يحكي عن أبناء العشوائيات على أطراف القاهرة وكيف يعيشون برغم أحزانهم وأحلامهم المجهضة، كره السياسيون الفيلم ورأوا أنه إساءة لمصر رغم كلمات المجاملة التي تبادلوها مع صناع الفيلم، فالساسة يكرهون عادة ما يفضح حياة شعوبهم. فهم أصحاب الياقات البيضاء والفنانون مهتهم البحث عن نقاط الوجع وإبرازها.

الحكاية الرابعة: الصراع المصري السوري «الجنازة حارة والميت فيلم»

برغم الحبل السري والتاريخي الذي يجمع مصر بسوريا فإن هذه الدورة بدت فيها

العلاقات ملتهبة بين أهل الفن في البلدين.. صراع على سيادة وجوائز المهرجان، وكان الصراع بين أربعة أفلام.. فيلمين مصريين وآخرين سوريين، «صياد اليمام وحسيبة» الذي قامت ببطولته سولاف فواخرجي خرجاً من أي تنافس مع أفلام من قارات العالم كرههما الجمهور والنقاد معاً.

وبقي «خلطة فوزية» و «أيام الضجر» لعبد اللطيف عبد الحميد، وتم ترشيح إلهام شاهين لجائزة أفضل ممثلة مع الفرنسية التي فازت بالجائزة التشكيلية، وحصلت الفرنسية كرستين سكوت توماس على الجائزة وأتفق أعضاء لجنة التحكيم على إعلان أسماء المرشحات الثلاث، ثم إعلان الفائزة كما يحدث في كل مهرجانات العالم، ولكن إدارة المهرجان أعلنت أن هناك تنويهات خاصة لأداء سولاف فواخرجي وإلهام شاهين وبطل الفيلم الألماني المشارك، وهو ما لم يتم الاتفاق عليه، وكان أحد المسئولين عن المهرجان قد طلب من إلهام العودة لدمشق التي غادرتها قبل إعلان الجوائز مؤكدا أنها ستحصل على جائزة، ولم تستطع إلهام السفر لدمشق ولكنها أعلنت فوزها الذي أخبروها به، ثم فوجئت بعدم الفوز مما يضعها في حرج بالغ، ويضع إدارة المهرجان في حرج بالغ، ويضع إدارة المهرجان في حرج أبلغ فالجوائز لا تعطي لجبر الخواطر ولكنها تمنح لإبداع خاص، وأفلامنا العربية كانت تنافس أفلاماً أجمل كإيران وألمانيا وكولومبيا وغيرها، ولكننا في البلاد العربية نخلط بين جبر الخواطر والإبداع وشتان بينهما.

أما في مسابقة الأفلام العربية فقد فاز الفيلم السوري «أيام الضجر» كما أعلن دريد لحام بالجائزة، وقال إن الفوز بالإجماع، وقد حدث خطأ كبير يحسب على رئيس لجنة تحكيم لأن اللجان لا تعلن تفاصيل عملها على الملأ، ولكن دريد أراد أن يوصل رسالة أن الفيلم السوري لا خلاف عليه مقارنة بأفلام أخرى، فبدا وكأنه ينفي عن نفسه تهمة التحيز.

لست هنا في معرض الحديث عن فيلم «خلطة فوزية» المصري أو «أيام الضجر» السوري فالفيلمان بهما نقائض، مصري سوري لا أري لها مبرراً إلا مزيداً من الهزيمة لشعوب لم تعد لها من وسيلة سيادة إلا مسلسل أو فيلم.. بلا وكسة العرب!!

جريدة الفجر - نوفمبر ٢٠٠٨

رحلة إلى الجزائر قبل الخصام

كما أن للبشر أعمارا وحكايات، فللمدن أيضاً أعمار وتاريخ، وحين تأتيني دعوة لزيارة بلد ما أجدني أبحث سريعاً في ذاكرتي عن عمره وحكاياته لأقترب منه قبل أن يقترب مني، ومنذ أن وصلتني دعوة للاشتراك في ملتقى النقد الفني في السينما والتليفزيون الذي يقام على هامش مهرجان «الفنك الذهبي» المقام في الجزائر، بحثت في نفسي عن مرادف لكلمة الجزائر، فلم أجد عنها في ذاكرتي إلا فيلم «جميلة بوحريد» الذي أخرجه المصري يوسف شاهين، وأنتجته ومثلته الفنانة المصرية ماجدة، وبحثت أكثر فوجدت ذاكرتي تحمل بعضا من حكايات سنوات الجمر أو سنوات الإرهاب التي عاشتها الجزائر في ظل الجماعات المتطرفة، وأخيراً وجدت أنني في طريقي لبلد يقولون عنه إنه «بلد المليون شهيد»، ومهد موسيقى الراي التي ترقص عليها أوربا والعالم، معلومات لا ترقى لأن ترسم في عقلي صورة بلد وبشر، وكان هذا هو زادي الذي سافرت به، ولكنني حين عدت منها بعد رحلة استغرقت أسبوعاً، وجدت أن زادي لم ينقص بل امتلأ حتى فاض بحكاياتٍ عن بلد عربي يعرفنا جيداً ولا نعرفه إلا على استحياء، رغم أنه بلد يستحق، فله حكايات وحكايات.

حكاية الجغرافيا

الجزائر بلد كبير حوالى ضعف مصر، فيه ٤٨ محافظة، وتعداد سكانه حوالى ٣٥ مليون نسمة، يطل بشواطئ رائعة على البحر المتوسط، وتمتع طبيعته بتنوع فريد بين الغابات والواحات والصحراء والجبال، ومن العجب أننا نسعي للسياحة بين بلاد أوربا وأمريكا التي نقف على أبوابها مضطرين أن نخلع أحذيتنا للتفتيش، وكأننا في طريقنا للصلاة، بينما

هناك بلاد أجمل وأقل تكلفة في وطننا العربي ولا نعرف عنها شيئاً، ربما جزء من الخطأ نتحمله وجزء آخر يتحمله أهل تلك البلاد، وجزء أخير تتحمله ظروف إرهاب كان سباقاً لهذه الأرض في فترة التسعينيات.

حكاية الإرهاب

الإرهاب وليد تطرف لا تخلقه الشعوب، ولكنه كيان سرطاني يشكله القهر والظلم، وبدون أن أرتدي قبعة محلل سياسي، فالإرهاب في الجزائر تولد حين يئس الشّعب من حكم بدا ظالماً، ولم يبق لهم من حضن يرتمون فيه إلا كلمة الله ورسوله التي يحمل لواءها عادة جماعات تتحدث باسم الله، وكأنها أخذت منه توكيلا عاما، وكما حدث في مصر تماماً فقد ولد التطرف في مناطق عشوائية فقيرة، كما كانت منطقة إمبابة جمهورية إسلامية لا تستطيع قوات الحكومة دخولها ولها رئيس وقوانين لا علاقة لها بالحكومة، أيضاً كانت هناك منطقة البليدة في الجزائر ومناطق أخرى، جمهورية مستقلة يحكمها من يتحدثون باسم الله ورسوله، ومع مطلع التسعينيات عرفت الجزائر الجلباب الأبيض القصير واللحى للرجال والحجاب والخمار للنساء، ومن يخرج عن هذا يكون له الويل والثبور، ولكن مع مرور الأيام اكتشف الشعب الجزائري أنه هرب من حضن القهر والظلم ممثلين في الحكومة، إلى صدر أكثر ظلماً وقهراً وهو حضن جماعات تذبح وتقتل باسم الدين، فقدت الجزائر في سنوات الجمر مئات بل آلافاً من خيرة مثقفيها وفنانيها وأبنائها، كانت ترسل لهم الجماعات الكفن قبل أن تقتلهم، وكأن أبناء ذلك البلد مكتوب عليهم الأحزان، فمن بعد استعمار أو قل استيطان فرنسي، كان يمنع دخول الكلاب والجزائريين إلى بعض الأماكن، إلى جماعات متطرفة تقتل الأخضر واليابس وتحيل الحياة إلى جحيم، ورغم أن الموجة الجارفة من الإرهاب، قد انتهت، فإن هناك بعض الأحداث ما زالت تشهدها الجزائر بين الحين والآخر، ولكنه إرهاب موجه ضد الحكومة، ولم يعد يطال المواطنين كما كان، وإن كان الإرهاب في النهاية سيفا على رقاب كل العباد حكام ومحكومين.

الفنك الذهبي

الفنك هو طائر يعيش في صحراء الجزائر أطلقوا اسمه على مهرجانهم الخاص بالأعمال الدرامية التليفزيونية، وهذا العام كانت الدورة الخامسة له، وعلى هامش المهرجان أقام

التليفزيون ملتقى النقد الفني بين السينما والمسرح، والذي دعا إليه من مصر د. رفيق الصبان والأستاذة خيرية البشلاوي وأنا، كما شارك فيه من المغرب الناقد محمد الشويكي، ومن لبنان الناقد محمد حجازي، ومن سوريا النجمة سوزان نجم الدين، ومن لبنان الممثلة كارول لوبوس، ومن الجزائر مجموعة من أساتذة النقد في الجامعات ومخرجين وممثلين من مختلف الأجيال، كما شارك فيه بالاستماع والمناقشة طلبة من كلية الإعلام ومعهد النقد والتمثيل الجزائري، ملتقى سمح لي بأن أعيش أياماً أسمع لهموم وآمال الفن في بلاد غير بلادي، فوجدتنا كلنا في الهم سواء، فهم كفنانين يتحدثون عن نفس مشكلات فنانينا ومشاكلهم مع الصحافة والنقد، ونقادهم يتساءلون نفس أسئلتنا عن قيمة فن نراه ونسمعه أحياناً لا يليق بأحلامنا.

أجمل ما في تلك الملتقيات التي لا تقام تحت مظلة سياسية، أنها لا تحوي عقداً ولا تعقيدات السياسة، فهي تجمع بشرا يتحدثون لغة واحدة، وإن اختلفت اللهجات فهي جمعت الجزائري والمغربي اللذين تتنازع بلداهما تحت قبة جامعة الدول العربية والأمم المتحدة على الصحراء المغربية، ولكنهما حين يتجاوران يصيران إخوة ويطلقان النكات على بعضهما البعض، ونفس الشيء الذي يغرق السوري واللبناني في دروب السياسة حول السيادة يصير منبعا للنكتة والبسمة بينهم، أما أنا كمصرية فصرت رغم أني لست أكبرهم كحضن دافئ لكوني مصرية، أليست مصر بتاريخها وجغرافيتها كذلك.

أشهر نكتة

وأشهر نكتة تداولناها فرضتها ظروف كل منا السياسية، حين كنت أمر مع البعض أمام القصر الرئاسي فسألت مرافقي عن القصر والرئيس فحكى لي أن بوتفليقة لا يسكن في القصور الرئاسية ولكنه يستخدمها لدعوة الرؤساء فقط، فسألتهم أين يقيم رئيسكم إذن؟ فقالوا إنه يسكن في منزله الخاص الذي كان يسكنه قبل توليه الرئاسة فهو يسكن في بيت مكون من ثلاثة أدوار، الدوران الأولان يسكنهما إخوته، وهو يسكن الدور الأخير، وحين بدت عليّ علامات التعجب وسألت عن السيدة الأولي أشاروا لي بحكاية رئيسهم الذي ارتبط بأمه التي كانت سيدة قوية الشكيمة فلم تفسح له فرصة للزواج «قصة كثيرا ما نسمع مثلها ولكن ليس على الرؤساء» المهم أن الرئيس بوتفليقة غير متزوج ويعيش مع

إخوته في بيت عدي، ولهذا فالجزائري وجدها فرصة لكي يقول لي إنهم أكثر حظا منا لأن رئيسهم بلا أبناء يأملون في وراثة حكم وثروة، وهنا صرخ اللبناني بأن مصر أكثر حظا من لبنان لأنها لديها رئيس بل ربما لديها ما بعد الرئيس، أما هم فبلد يتامى يتسولون رئيسا.. سخرية الفنانين والمثقفين تحول حكايات السياسة لنكتة.

أنا وبوتريكة

كلما سافرت بلدا عربيا في مهرجان فني تأكدت بأن فنانينا هم ثروة مصر القومية الحقيقية، ففي المغرب مغفور للمصري خطاياه لأنه من البلد الذي أنجب عادل إمام، وفي تونس أنت تاج على الرؤوس لأنك من بلد أم كلثوم وعبد الحليم وعشرات غيرهما، أما في سوريا فالمصري معشوق لأنه من نسل أتى بعبد الناصر أولا، والأهم أنها الأرض التي أنجبت لهم سعاد حسني وليلى علوي وعشرات آخرين، وهكذا من بلد عربي إلى آخر المصري له سطوة وحظوة كرامة للفنانين، أما في الجزائر فمنذ أن وطأت قدماي أرض الجزائر ونظر رجل الجوازات على جواز سفري المصري، صاح قائلا: بوتريكة، فابتسمت متصورة أن الرجل من عشاق الكرة، ولكني اكتشفت أن أبوتريكة بلهجتنا وبوتريكة بلهجة الجزائريين هو جواز سفري الحقيقي في الجزائر، ولكم كنت في موقف أحتاج فيه للمعونة كنت أستعين باسمه لكي تفتح لي الأبواب المغلقة، فصار اسم بوتريكة هو رفيق رحلتي في أرض الجزائر خاصة حين وجدت فرحة تساوي فرحة المصريين بفوزهم بكأس الأمم الإفريقية. حب الجزائريين لبوتريكة ليس فقط لقيمة قدمه ولكن لأنه صاحب مبادرة إعلان التعاطف مع غزة، ومن العجب أنني كنت أتصور أن البعد الجغرافي بمنطق المغرب العربي عن فلسطين وأحزانها لا يمنحهم ذات المشاعر الشعبية لدينا تجاه القضية، ولكني اكتشفت أن الهم واحد لدى الشعوب مهما بعدت المسافات وبوتريكة عبّر عن أحزانهم فأحبوه.

صحافة الجزائر وحكايات مصرية

إذا أردت أن تعرف بلدا اقرأ صحافته وشاهد محطاته التليفزيونية، وفي الجزائر محطة تليفزيون واحدة بالعربية وأخرى بالفرنسية والأطباق الفضائية تغطي الأسطح والبيوت، مما يعني أن الجزائريين يشاهدون العالم أكثر مما يشاهدون تليفزيون بلدهم، والعالم يتمثل

لديهم في القنوات الفرنسية، أما عدد الصحف الصادرة لديهم يوميا فهي ٦٠ صحيفة أهمها خمس صحف تصدر بالعربية وثلاث تصدر بالفرنسية، ويوم الجمعة إجازة لا تصدر فيها الصحف، أشهر صحيفة جزائرية وأوسعها انتشارا هي صحيفة «الخبر» وقراءة سريعة في أخبارها تشعرك وكأنك في مصر مع فارق صياغة الخبر، فتلك عناوين الصحف في الجزائر، ولك الحكم دون تعليق مني «الحكومة تفشل في توقيف الإضراب العمومي» «قضاة مجلس المحاسبة يطالبون بالزيادة في الأجور» «بوتفليقة في رسالته بمناسبة ذكرى ٢٤ فيفري: الدولة قامت بعدة إجراءات لرفع الأجور ودعم المواد الغذائية» «الحكم يوم ٩ مارس ضد مراسل الخبر في قضية القذف الصحفي» «تهديم ٧٣ بناية غير مرخصة».

صفحات الجريمة عناوينها «يبيعون شهاداتهم مقابل ٢٠٠ دينار.. محاكم وهران أمام ورطة تجار شهادات الزور» «مستجدات قضية الإساءة للرئيس، العدالة تدين مدير القطاع الصحي بتلمسان» ومن صفحات بريد القراء «استغاثة مواطن جزائري في ليبيا» من صفحات الرأي «الفساد يلاحق الجزائري حتى في بيت الله» (الموضوع يتناول فساد بعثة الحج الرسمي وهو نفس الفساد الذي لاحق الحجاج المصريين!!) «اغتصاب جماعي لقاصر في بني مسوس بالعاصمة» «عمرو خالد أكثر الدعاة دخلا بـ٢,٥ مليون دولار يليه الكويتي طارق سويدان بدخل مليون دولار، ثم السعودي عائض القرني بدخل ٥٣٣ ألف دولار» «أزمة حادة في الأسمنت والحديد في عنابة».

ألا يرى أي قارئ لهذه السطور أن حال الجزائر من إضراب من أجل الأجور لقضايا فساد لجريمة لأزمة أسمنت وحديد هي ذاتها عناوين الصحف المصرية؟

جريدة الفجر - مارس ٢٠٠٨

مع ماجدة الرومي حتى الصباح في الجزائر

حكاية العشاق في الحب والاشتياق هي؛ اسم أغنية جزائرية تحكي عن قصة غرام حدثت في التاريخ في مدينة قسنطين الجزائرية، وهي التي يطلقون عليها مدينة الجسور المعلقة، لأنها تتصل بمجموعة جسور على الجبال، وهي موطن المطرب العالمي أنريكو ماسياس، وللغناء في الجزائر دروب وحكايات فمنه خرجت موسيقى الراي التي يرقص عليها العالم، ومنها انطلق نجوم الراي في أوروبا الذين نعرفهم مثل الشاب خالد والشاب مامي وفضيل وآخرين لا نعرفهم متوجين كملوك على رأس أوربا مثل تكفاريناس، والراي جاءت من كلمة الرأي بالعربية وإذا كان لك رأي فأنت حر وموسيقى الراي نتاج لحركة اجتماعية للتحرر من القيم البالية، ومع موسيقى الراي يغنون باللغة العربية ولكن بلهجة أهل غرب الجزائر. ومن ألوان الغناء الأخرى في الجزائر الأمازيجي وهي لغة البربر أصل سكان الجزائر، وأشهر مطربيها هم تكفاريناس الذي يعيش في فرنسا وله شهرة عالمية، أما في الجزائر فالمطرب محمد علاوة هو الأشهر الذي يغني في أفراح ابن الوزير وابن الفقير، ثم هناك أيضا اللون الشعبي الذي له نجومه، ثم أخيرا المألوف وهو غناء باللغة العربية ولكنه بلهجة أهل الشرق.

مهما صاب المرأة من مركز أو علم أو مكانة فهي امرأة خلقها الله تبحث عن الجمال والكمال والبيت والطعام، ولأنني امرأة ككل النساء بحثت عن النساء في الجزائر، عن حكاياهن، عاداتهن، مطبخهن، اهتمامهن بالجمال، فوجدت أن المرأة الجزائرية تقدس يوم الخميس لأنه يوم الحمام والكوافير، وعادة ما تجد المرأة الجزائرية تجيد فن التصفيف في

البيت ولكنها تلجأ كل أسبوع إلى الحمام الشعبي الذي نعرفه باسم الحمام المغربي، والحجاب في الجزائر قبل سنوات الإرهاب للنساء المتزوجات فقط، ولكنه بعد انقضاء سنوات الجمر صار حتى على رؤوس الفتيات وإن لم يكن منتشرا كما في مصر، ولكنه في نفس الوقت لا يلاقي اختلافا اجتماعيا حوله كما هي الحال لدينا، بدليل أن أجمل صوت جزائري سمعته هو لأنيسة المحجبة الفائزة بجائزة برنامج «ألحان وشباب» وهو البرنامج التليفزيوني الموازي لبرنامج «ستار أكاديمي» اللبناني ولم يمنع الحجاب أنيسة من الغناء ولم يناقشه الجزائريون كعقبة أمام فوزها.

الشخشوخة هي؛ أشهر أكلات الجزائر وهي عجينة رقيقة تقطع قطعا صغيرة ثم توضع في صوص أحمر مع الدجاج أو اللحم والحمص، ثم هناك أيضا الكسكسي أشهر أكلات المغرب العربي عموما، وكذلك البوريك وهو يشبه السمبوسك، أما العيش في الجزائر فهو أنواع أشهرها وأشهاها هو المطلوع وهو يشبه الفطير المثلث لدينا وإن كان أرق قليلا.

أما أشهر طبق فهو شوربة الفريك والحريرة، ومن الغريب أن الجزائر كلها تخلو من مطاعم الوجبات السريعة الأمريكية، فهي المدينة الوحيدة التي زرتها حتى الآن ولم يحتلها بعد ماكدونالدز أو كنتاكي أو غيرهما من سلاسل المطاعم، حتى المقاهي فهي عادات جديدة عليهم بدأت تأخذ طريقها، فسنوات الإرهاب لم تسمح لهم بالقدرة على الجلوس في الشوارع، والشيشة وافد جديد بدأ الجزائريون تعلمه للأسف ولكن على استحياء، طبعا لم يكن ممكنا ألا أسأل عن السحر في الجزائر فالمغرب العربي لدى العرب يعني أمهر السحرة، فعرفت أن الجزانة هو اسم الساحرة أو الساحر وأشهر مناطق السحر توجد في المغرب، القريب من حدود المغرب وأن أشهر جزانة جزائرية كان يلجأ إليها حتى المسئولين كان لها محل في وسط الجزائر العاصمة، وكانت في واجهته بنورة كبيرة ولكنها اختفت منذ سنوات ولم يعرف عنها شيء، تمنيت لو أنها كانت موجودة لأذهب لها وأحيا كما في قصيدة نزار قباني قارئة الفنجان فتقول لي مقدورك أن تبقى بين الماء وبين النار ولكني لم أجدها.

ماجدة الرومي التي يعشقها الجزائريون

أحيت المطربة ماجدة الرومي حفلاً كبيرًا حيث صعدت على المسرح ترتدي فستانا

أسود أنيقا، وبقدر ما كانت عيناي وأذناي معها بقدر ما كانت عيناي ترصد الجمهور الذي كاد يحتضنها صغارا وكبارا بعيونه وتصفيقه، غنت ماجدة أغانيها القديمة والحديثة، ثم أعلنت أنها ستقدم أصواتا شابة ستغني معها ممن حصلوا على المراتب الأولى في برنامج «ألحان وشباب» وهو برنامج مشابه لستار أكاديمي ولكنه خاص بالمواهب الجزائرية فصعد عبدالله كورد إلى المسرح ليغني أغنية جزائرية لم أفهم كلماتها، ولكني تمايلت كالجمهور طربا للصوت الرائع لهذا الشاب، ثم قدمت ماجدة رجاء مزيانة لتغني معها أغنية أيضا جزائرية، وبدا أن رجاء موهبة رائعة ولكنها لا تتمتع بروح تدفع الناس لحبها، ثم أخيرا ظهرت أنيسة إحدى الفائزات بالمراكز الأولى وهي أول مطربة عربية تظهر بالحجاب رائعة الصوت والروح، وشاركت ماجدة في أغنية «كلمات»، وقد عرفت أن هذه الأصوات الرائعة ستغني قريبا في دار الأوبرا بالقاهرة، وأتمنى أن تفتح لهم القاهرة ذراعيها، وإن كنت أظن أن أنيسة المطربة المحجبة ستثير جدلا كبيرا ليس شكاً في صوتها ولكن شك في أنها سترضي هؤلاء الذين يلخصون الدين في الحجاب أو الفريق الآخر الذي يلخص قيمة الفن في العري، فلا هؤلاء ولا هؤلاء سيرضون بأنيسة وإن تمنيت أن تحتضنها القاهرة لعظمة صوتها وأدائها.

انتهى حفل ماجدة الرومي بعد الثانية عشرة، ورغم هذا لم ينصرف أحد إلا بعد آخر أغنياتها التي غنتها للبنان فرفع الجمهور أعلام لبنان والجزائر.

وبعد الحفل جمعني عشاء بعصفورة الطرب التي حكت لي أنها في طريقها لرحلة للقاهرة لتحضير شريطها الجديد مع شركة جودنيوز وعماد أديب، وأنها تفكر في طلب عماد لها بأن تغني أغنية فيلم حسن ومرقص الذي يقوم حاليا بتصويره عمر الشريف وعادل إمام، كان الحديث مع ماجدة تماما له نفس حلاوة صوتها وأدائها على المسرح، فقد حكت لي كيف تشعر بأنها تصلي وهي تغني للبنان، وأنها لا يمكن أن تأكل قبل أي حفل لأن الطعام يشعرها بثقل يتناقض مع قدسية الغناء، ولكنها عادة ما تتناول عشاءها بعد أي حفل، ولكن في القاهرة بالتحديد تعشق الحمام الذي تشمر له أكمامها، ومن عاداتها أيضا أن تأكل الشيكولاتة أو الآيس كريم قبل تسجيل أي أغنيات لأنها تعطيها طاقة تحتاجها للإجادة، وانضمت إلى جلسة العشاء الممثلة السورية سوزان نجم الدين التي

بكت لغناء ماجدة للبنان، فجمعت الجلسة بين الجزائر ممثلة في الحمراوي حبيب شوقي، رئيس التليفزيون، وآخرين وبين سوريا ولبنان ومصر والمغرب، وكأن من تفرقهم السياسية بمشاكلها وعقدها من صحراء متنازع عليها بين الجزائر والمغرب، ومن رئاسة حائرة بين سوريا ولبنان، وبين مصر التي ما عادت تعرف طريقها كل هذه المشاكل يذيبها حديث الفن والصوت الجميل.

كلمة أخيرة: أتعجب أن منتجينا السينمائيين والنجوم يذهبون للتصوير في أوربا وأمريكا والهند والسند ولا يذهبون إلى الجزائر أو المغرب أو بلاد عربية جميلة فهل صناع السينما مثل القرع يمدوا لبره حتى جنوب أفريقيا؟!

جريدة الفجر - مارس ٢٠٠٨

نغمات الراي في مهرجان وهران

الباهية أو البهية وهران هي؛ المدينة الجزائرية التي احتضنت فاعليات المهرجان الدولي للفيلم العربي في دورته الثانية ، وكانت الرحلة من القاهرة إلى وهران قد امتدت إلى ثماني ساعات، وكالعادة كان الوفد المصري للمهرجان هو أكبر وفد بين الوفود العربية، فقد صاحب الوفد عدد كبير من الإعلاميين إضافة إلى الفنانين،.وكان منهم محمود عبد العزيز وإلهام شاهين وخالد زكي وداليا مصطفى أبطال فيلم «طباخ الرئس» وباسم السمرة الوحيد الذي حضر عن فيلم «الجزيرة» وكذلك حضر شريف سلامة ومنال سلامة والمخرج مجدي أحمد علي وسعيد حامد وعلي أبوشادي والكاتبة كوثر هيكل، وفي الختام حضر محمود ياسين.

وما بين العدد الكبير والمشاركة والتكريم في البداية لمحمود عبد العزيز، وفي الختام لمحمود ياسين، بدت السينما المصرية وكأنها درة تاج السينما العربية التي تحتفي بها وهران.

وبقدر ما تبدو المهرجانات السينمائية في الأصل حكاية أفلام إلا أنها أيضا حكاية مدن وبشر والتقاء ثقافات تتجاور بالكاميرا.

أقدم ما في وهران هو قيمة جبلها الذي يقع فيه حصن سانتا كروز، وهو على ارتفاع ٣٦٥ مترا على سطح البحر، وفيه توجد كنيسة وتمثال سانتاماريا والتي تعود إلى القرن الـ١٦ وإن كان التمثال الموجود تقليدا للأصلي الذي نقله الإسبان لبلادهم، ولهذه الكنيسة قصة تروى، فقد ضرب الطاعون البلاد وأجهز على من فيها، ونذر البعض بناء كنيسة للقديسة ماريا لو انزاح البلاء من البلاد، وبالفعل انحسر الطاعون وبنوا الكنيسة

التي تقف على قمة الجبل حتى الآن.

وقد كتب ألبير كامي روايته الشهيرة «الطاعون» عن هذه الحادثة. وكنيسة القديسة ماريا مجرد أثر فهي مكان لا تقام فيه الصلوات.. وإلى جوار الكنيسة على قمة جبل سانتا كروز يقع مقام سيدي عبدالقادر أحد أولياء الله الصالحين والذي يتغنى به مطربو الراي، والصعود إلى الجبل له وسيلتان إما التلفريك أو السيارات وهي تجربة مرعبة بحق، وافق عليها البعض ورفضها البعض، خاصة الفنان خالد زكي الذي يصاب بخوف من الأماكن المرتفعة.

حكاية مهرجان

وشاهين لم يكن غائبا عن هذه الدورة فقد قدموا له تحية ودعاء في الافتتاح، فشاهين بالنسبة للجزائريين ليس فقط صانع الفن الجزائري، وشارك أحمد راشدي في إنتاج العصفور وعودة الابن الضال، وبالتالي لم تكن السينما المصرية فقط بنجومها وأفلامها هي درة المهرجان، ولكن كانت صورة شاهين حاضرة على المسرح وفي قلوب الجزائريين حتى إن رئيس المهرجان حمراوي حبيب شوقي قال لي: إن الرئيس الجزائري بوتفليقة اتصل بمكتب شاهين في القاهرة ليبلغهم أن الجزائر شعبا وقيادة في خدمة شاهين، وإن كانت مصر تحتضن شاهين فإن الجزائر تحتضنه في قلبها وتريد أن تقدم أي مساعدة مطلوبة.

مهرجان وهران يقام برعاية رئاسية من بوتفليقة وهذا بالتأكيد يعطيه قوة، ففي العالم العربي حين يرعى الرؤساء حدثا تفتح أمامه كل الأبواب، ولكن الحق أن الأمر ليس كله في حالة هذا المهرجان رعاية الرئيس السياسي، فهناك رئيس المهرجان حمراوي حبيب شوقي الذي يترأس التليفزيون الجزائري، وكان وزيرا سابقا وهو شعلة من النشاط والانضباط جعلني رغما عني أقارن بينه وبين رئيس مهرجان القاهرة عزت أبوعوف، وللأسف كانت المقارنة ظالمة للأخير.

وقد أقام المهرجان هذا العام ندوة جمعت رؤساء المهرجانات العربية، وتمت دعوة أبوعوف ولكنه لم يعتذر ولم يرد على الدعوة، فهو يشارك حاليا في أغلب المسلسلات خاصة أنه ممثل لا يرفض دورا لهذا فقد التمست له العذر.

مازالت الجزائر رغم مرور نحو نصف قرن على التحرر تحمل لمحة من حزن على موت

مليون ونصف المليون شهيد، مازال كل ما في الجزائر يذكرك بشهدائها سواء في حربهم ضد فرنسا أو في حربهم ضد الإرهاب الذي ضربهم في التسعينيات قبل أن يكتوي العالم كله به، فالجزائر من خلال مخرجها أحمد راشدي تنتج فيلما ضخما عن الشهيد مصطفى بن بولعيد، أحد شهداء الثورة الذي يطلقون اسمه على واحد من أكبر شوارع عاصمتها، وقد عُرض في الافتتاح أجزاء من «ماكينج» الفيلم في مسرح أوبرا وهران الذي يحمل اسم الكاتب المسرحي عبد القادر علولة، الذي اغتاله الإرهاب عام ١٩٩٤، مع مجموعة أخرى من المثقفين والفنانين الذين كانوا أقطاب الإرهاب يرسلون لهم أكفانهم، إشارة إلى قرار الاغتيال، وما بين الكلمات الملقاة في الافتتاح وأجزاء الفيلم الذي عُرض واسم المسرح الذي تقام فيه مراسم الاحتفال، تشعر بأنك في بلد لم يندمل جرحه بعد ولم ينس من ماتوا دفاعا عن حريته أو حرية الكلمة.

وقد لا تكون مجرد أيام كافية لتعرف طبيعة شعب ولكن بالتأكيد هناك ظواهر تستطيع أن تلمحها في تصرفات الشعوب تكفيك لأن تكوّن صورة أو جزءا من صورة عن الشعوب، فقد كنت قبل زيارتي للجزائر أسمع كثيرا عن غلظة أبناء هذا البلد، كما يقال مثلا عن المصريين إنهم خفيفو الظل، رغم أننا فقدنا كثيرا من هذه الصفة، ولكنني لم أجد غلظة في أبناء الجزائر، فعلى العكس وجدت شعبا محبا لكل غريب، الكلمة الأثيرة لديه «ما في مشكلة»، وأكثر ما يؤكد وجهة نظري لقاء الجمهور بنجومه الأثيرين، فهم لا يتحرشون بالنجوم، قد يطلبون التصوير معهم ومصافحتهم لكن دون تدافع أو أذى أو إثارة، فقد ذهب محمود عبد العزيز مثلا لمصافحة الجمهور المصطف على الجانبين في الافتتاح ولم يحدث شيء يعكر صفو لقاء النجم مع محبيه.

الدول العربية حكايات أفلامها قد تتفاوت في المستوى الفني، وقد تختلف لهجاتها، ولكن دائما ما تتفق في همومها، فكلنا في الهم سواء.. والسينما العربية خير دليل.

جريدة الفجر - يوليو ٢٠٠٨

حكايات من بلاد تركب الأفيال والتوك توك والصواريخ

تركت مصر فى فترة تموج فيها بالحركة والثورة والغضب من كل شيء ،والأهم انى تركتها وهى مختلفة حول المستقبل فلا الشعب اتفق على شيء ولا حكامه الحاليون أعطوا للشعب المختلف خارطة طريق محددة.

تركت كل هذا وأكثر وقررت السفر إلى بلاد تركب الأفيال وتضم أرضها رفات غاندى أحد حكماء البشرية وعظمائها والذى استطاع ان يغير بلاده والعالم معها دون أن يرفع سلاح أو يشن حرباً،كان مجرد رجل نصف عار ضعيف البنيان ولكنه هز أركان إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس وطردها من بلاده بغير عودة.

كنت أمنى نفسى برحلة صفاء للنفس فى بلاد اليوجا بعد ان أتعبتنى بلادى فى خنوعها أغلب سنوات عمرى وأتعبتنى أيضا من ثورتها الوليدة التى تاهت كثير من معالمها.

لم تكن تلك أول زيارة لى للهند ولكنى حظيت بزيارتها قبل عقد من الزمان ولذا كنت أنتظر بشذة الزيارة الثانية لأعرف ماذا فعل الهنود فى عشر سنوات أو يزيد مقابل ما فعله المصريون ....ولعجبى فكما وجدت كثيرمن نقاط الالتقاء وجدت كثير من نقاط الاختلاف الجوهرية جداً.

١ -يا وابور قولى رايح على فين:

تحدد الإحصاءات أن أعلى نسبة عالمية فى حوادث القطارات تقع فى الهند ومصر ومن العجب أنهما أول دولتان تعرفان السكك الحديدية،لذا قررت أن تبدأ أول جولاتى فى بلاد طاغور و غاندى

بالقطار من دلهى حيث وصلت ،إلى ولاية أجرا محطتى الأولى فى هذه الرحلة،وكنت قبل وصولى إلى محطة القطار أُمنى نفسى برحلة فى قطار الشرق السريع كما صورته لنا السينما فى أفلام مأخوذة عن روايات أجاثا كريستى،تصورت ان تجربة ركوب قطار فى الهند عبر ولاياتها المختلفة، بغض النظر عن مخاطرها، ستكون مصدر غموض وإلهام خاصة ان القطارات فى شبه القارة الهندية هى وسيلة مواصلات رئيسية أكثر كثيرا من مصر. ولكن كل أحلامى وخيالاتى المبنية على السينما تحطمت حين رأيت المحطة والقطار الذى سأستقله.

فبرغم انّه درجة أولى إلا انه يشبه بل أقل فقراًمن القطار القشاش فى مصر مع اختلاف وحيد وهو وجود مراوح قيل لى أنها لا تعمل دائما. فلو قُدرلك أن تستقل قطاراً فى الهند أعرف ان عجلة الزمن ستعود بك إلى الوراء فى بلاد تعد أحد القوى النووية فى العالم،وسيدة صناعة السوفت ويير،ومقدر لأسطولها البحرى فى عام ٢٠١٢ ان يكون أقوى أسطول فى العالم وصفات أخرى كثيرة عظيمة.ولكن ابتسم فأنت فى الهند أم العجب كما غنت لها سعاد حسنى وما كذبت.

الهند أم العجب فهى أم طاغور وغاندى، وأم الفقراء الأكثر فى العالم والأثرياء الأكثر أيضاً فى العالم ،هى بلاد تركب الأفيال والتكتك،كما كما تركب الصواريخ وتصنع القنبلة النووية وتمتلك من ٨٠ إلى ١٠٠ رأس نووية.

الهند أم العجب فهى التى تضم أراضيها بليون و٢١٥ مليون نسمة والوحيدة التى يتحدث سكانها أكثر من ٢٤٠ لغة مختلفة تماماً ومئات اللهجات،وتضم عشرات الديانات على رأسهم الهندوسية التى يدين بها ٨٠٪ من سكانها يليها الإسلام الذى يضم ١٠٪ من السكان،ثم ديانات أخرى كثيرة ما انزل الله بها من سلطان.

الهند أم العجب فهى الدولة البرلمانية الرئاسية التى تمارس ديمقراطيتها كل خمس سنوات،رئيسها مجرد وجه برتوكولى وحاكمها الفعلى هو رئيس الوزراء الذى يأتى بالانتخاب من خلال البرلمان. ومن عجب العجب ان تكون تلك الديمقراطية خاصة بالفقراء فقط فهم، كما بحثت فى رحلتى، الذين يهتموا بالإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات. أما أغلب الطبقة المتوسطة والعليا عازفة عن المشاركة فى الديمقراطية، فالشباب الهندى

الذى يمثل ٥٠٪ من السكان، كما قال لى الكثير منهم، لا يملك بطاقة انتخابية لأنه ناقم على ارتفاع نسبة الفساد ويرى أغلبهم أن الإنتخابات تعتمد على رشوة الفقراء وليس على أساس صحيح فى الاختيار. وكنت على طول الطريق أشاهد إعلانات بدت لى انها دعاية انتخابية ففسرها لى مرافقى الهندى بأنها تهنئة من نواب البرلمان لمسلمى الهند بمناسبة عيد الفطر وهى دعاية انتخابية فى ذات الوقت، وكنت أمنى نفسى بأنى سأبتعد قدر المستطاع عن مصر وأحاديثها عن الفساد السياسى والمالى الضارب فى أصولها، والاعتصامات والإضرابات والانتخابات وبرامج المساء والسهرة المثيرة التى ترفع الضغط ولكن يبدو أن القدر لم يكن متفقاً معى فى طلب الراحة فقد وجدت فى أقصى بلاد الشرق نفس ما تركته فى مصر ولكن بالهندى.

(٢)

تركت القاهرة هاربة من ثورتها التى أسعدتنى ثم اتعبتنى، ومن أحاديث الفساد الذى طال كل شيىء فى مصر، ومن برامج التوك شو وضيوفها ومذيعيها، ومن صحافتها التى تمنح البطولة للمصدر المجهول... وتصورت انى ذاهبة إلى بلاد الحكمة واليوجا والديمقراطية العتيدة الراسخة، وللحق فقد وجدت كل ذلك وأكثر ولكنى وجدت أيضا ما هربت منه وكأنه قدر مقدر لى لا مهرب منه.

محاكمات وفساد وضحايا وعمار على حسن وحمزاوى لكن بالهندى:

واجهت أول ما واجهت فى الهند أحاديث فساد سياسى ومالى وبعض إضرابات فى الطرقات وبرامج توك شو ليلة على مئات المحطات التلفزيونية الهندية الخاصة والقومية والغريب والعجيب ان ضيوف هذه البرامج نسخة متشابهة تماماً مع الضيوف المصريين المعتادين الذين هربت منهم فها هو عمار على حسن الهندى، أى والله، بشحمه ولحمه وبحة صوته فقط متحدثا بالهندية وها هو أيضا عمرو حمزاوى وتهانى الجبالى ولكن بالبندى أى النقطة الحمراء التى يضعها الهنود على جباههم، وصدق أو لا تصدق لكن والله صدق، إن اختلافاتهم على الهواء وصراخهم فى وجوه بعض متطابقة لما نراه على شاشاتنا تماماً.

كانت أهم الموضوعات المثارة فى الإعلام بشكل كبير جداً هما قضية مودى حاكم

منطقة جوجارات ورودلف إلمر البانكير السويسرى الذى أمد ويكيليكس بمستندات تدين ٤٠٠ شخصية شهيرة هندية تهرب أموالها إلى سويسرا.

أما الحكاية الأولى فهى تخص ناريندرا مودى أحد مشاهير السياسة الهندية وحاكم منطقة جوجارات الذى يواجه إتهام بالتآمر لقتل عشرات المسلمين عام ٢٠٠٨ فى حادث إرهابى ثأرا لحادث سابق لعدد من الهندوس، وحين ترددت شائعات عن ضلوع الحاكم فى التحريّض على الثأر تم تكوين لجنة تحقيق خاصة لمتابعة ملابسات الحادث وإعلان النتيجة رغم ان اللجنة لم تصل إلى نتيجة مؤكدة لضلوع الحاكم إلا أن أسر الضحايا رفعوا قضية فى المحكمة ضده وآخرين ،نصّيب أن أترك محاكمات الحاكم فى مصر لأواجه محاكمات حاكم فى الهند بنفس التهمة ولكن مع فارق واحد كبير فحاكم الهند مودى أعلن يوم وصولى انه سيصوم ثلاث أيام من أجل ان يعم السلام المنطقة التى يحكمها أما الحاكم المصرى ما صام إلا عن الكلام .

أما القصة الثانية التى حصلت على البطولة الإعلامية فى الهند فهى تخص رودلف إلمر موظف البنك السويسرى الذى فضح النظام المصرفى السويسرى ومنح آسانج وموقع ويكيليكس مستندات تدين عدد من أثرياء العالم ومشاهيره من السياسيين خاصة فى دول العالم الثالث .ظهر إلمر فى خبطة إعلامية على الهواء مباشرة فى أحد المحطات الخاصة الهندية بعد الإفراج عنه بساعات حيث تم سجنه من ٢٠٠٥ حتى يوم ظهوره.وقد كان السؤال الرئيسى حول أسماء ال٤٠٠ شخصية هندية التى أعلن انها ضالعة فى تهريب وغسل أموال،ولم يعلن إلمر عن الأسماء لأنه مهدد بالسجن والانتقام، ولكنه أعلن انهم سياسيون وبعض مشاهير رياضة الكريكت ونجوم سينما ورجال أعمال،فضيحة تضع نصل السكين على رقاب المشاهير ولا أحد يستطيع تحديد متى تنفجر.

نعم فى الهند يوجد فساد سياسى ومالى ورشوة قد تبدأ من أصغر عسكرى مرور لرؤوس كبرى ولكنه بالتأكيد مختلف عن الفساد المصرى لأن ديمقراطية الهند لا تسمح له بالإستمرار سوى خمس سنوات ثم تفضحه على رؤوس الأشهاد، عندهم فساد وعندنا فساد ولكن إلى جوار فساد بعضهم هناك إنجازات فى العلم ومجال التعليم،وإكتفاء ذاتى فى لقمة العيش لشعبهم، وصناعة وطنية تضع أسمهم على قوائم المنافسة العالمية، وقنبلة

نووية وأشياء أخرى قد تغفر أو على الأقل تخفف كثيراً من حدة فساد بعضهم.

(٣)

ترتبط الهند فى عقول عامة المصريين بالسارى والكارى وأميتاب باتشان أى سينما بوليوود وهى بالفعل كل ذلك وأكثر بكثير. الهند هى حضارة ضاربة فى التاريخ لها موسيقى شعر طاغور وحكمة غاندى وعبقرية كليلة ودمنة والأهم من كل ذلك مستقبل يخططون له.

التوك توك والموتوسيكل سمعة طيبة فى الهند أفسدها المصريون:

ربما سمحت ى ظروفى بسبب زيارة سابقة للهند قبل عقد من الزمان ان اجرى مقارنة بين كيف كانت وماذا أصبحت. قبل عقد من الزمان كانت العاصمة دلهى وأكبر مدنها مومباى من أكثر لمدن تلوثاً فى العالم حتى اننى كمصرية فى ذلك الوقت حمدت الله على درجة التلوث التى نعيش فيها مقارنة بالهند،ولكن بعد عشر سنوات لم يعد تلوث الهند كما كان بل صارت مدن الهند تتمتع بجو نظيف مقارنة بالقاهرة فهى تستخدم الغاز الطبيعى فى أغلب المركبات ومنعت التدخين حتى فى شوارعها ولكن تظل القمامة وأحوال الطرق أفضل فى مصر الحمد لله.فى زيارتى الأولى حين عدت للقاهرة شعرت أنها فارغة من السكان طبعا تأثراً بالزحمة فى دلهى ومومباى،ولكن فى زيارتى الثانية لم أشعر بإختلاف كبير بين زحام عاصمتهم وزحام عاصمتنا وهم فى البليون ونحن مازلنا نلعب فى الملايين.

فى الهند إستطاعوا ان يوظفوا الريكشا وهو إختراع هندى أو التوك توك بالمصرى والموتوسيكل لقهر الزحام.فشركة باجاج أكبر منتج فى العالم للمركبات ذات الثلاث عجلات شركة هندية وهى رابع أكبر مصنع فى العالم للدراجات البخارية،وقد أتيحت لى فرصة زيارتها ،صراحة حاجة تشرح القلب،ينتجون ١٠٠٠٠٠ موتوسيكل و٢٠٠٠٠٠ توك توك شهرياً ويصدرون ٣٥٪ من إنتاجهم للخارج، وعلى أبواب مصانعهم عبارة تقول: «نحن فخورون ببلدنا،ونعمل من أجل أن تفخر بنا بلدنا».

فى الوقت الذى أساء فيه المصريون للتوك توك وأذوا سمعته وهو برىء فهو وسيلة إنتقال آمنة رخيصة والأهم انه يسير لديهم بالغاز الطبيعى لذا فهو صديق للبيئة،أما عندنا فهو وسيلة بلطجة مرورية وسرقات وجرائم وتلوث رغم منفعته لكثير من الفقراء

والذين تحرمهم الدولة من خدمة المواصلات العامة.

العيب فينا إذاً وفى سوء الإستخدام وليس فى الوسيلة التى تطاردها الدولة وكثير منا لأننا لا ندرك معنى إحتياج كل إنسان لوسيلة مواصلات يبلغ بها بيته وأيضاً فرصة عمل قد توفر حياة كريمة لعدة أسر تعيش على دخل التوك توك. لا يمكن ان تستمر الحياة فى القاهرة والمدن الكبرى كما هى فقد تحولت لجحيم لا يطاق، وعلينا أن نعيد منظومة شوارعنا وعقولنا التى ترى ان السيارة وحدها هى الوسيلة الآمنة والمعيار للتقييم الإجتماعى والطبقى فى مصر. على الدولة والمجتمع والإعلام ان يعيد صياغة العقل المصرى على الأقل لدى الشباب وأن إمتلاك موتوسيكل أفضل من سيارة ولكن هذا بإحتياج لعمل كثير وتحدٍ أكبر فهل نحن قادرون عليه من أجل أن نستطيع الحياة فى مدننا؟؟

التعليم كالماء والهواء طوق نجاة:

بدأت الهند منذ خمس سنوات فقط فى توجيه أكبر جزء من ميزانيتها للتعليم ولذا فكل الناس فى الهند فقراء وأغنياء ،فى الحضر والريف يرسلون ابنائهم للمدارس والجامعات. كل مدينة وكل قرية أو حتى ضاحية لديها مدارس وجامعة،ومن العجب العجاب أن عدد التلاميذ فى الفصول الهندية لا يزيد عن ٣٠ طالباًوتكلفة الدراسة فى أغلى مدرسة دولية تصل إلى ألفين دولار أما المتوسطة الحال فتبدأ من ٥٠٠ دولار ولا وجود لكلمة دروس خصوصية وبعد هذه الأرقام لا يسعنى إلا أن الطم الخدود على مدارسنا عدداً وعتاداً. الهند عرفت قيمة التعليم فدفعت شعبها له وفى خمس سنوات صار الحال غير الحال،فمتى تعرف مصر المليونية تعليم الهند المليارية؟!

شعب فقير..شعب غنى..شعب واحد:

لست أملك إحصاءات عن مستوى الفقر أو الغنى فى الهند عما قبل ولكنى أملك عيناً رأت هذه البلاد سابقاً وحالياً،منذ أكثر من عشر سنوات حين تسير فى شوارع الهند تفاجئك مظاهر الفقر بل الفاقة إلى درجة لا تشبه أحداً فى العالم ،فالشحاتين بالآلاف وحذارى ان تمنح أحدهم روبية واحدة وإلا سيخرجوا إليك من كل فج عميق كالجراد المنتشر، والذين يسكنون الشوارع أيضا فى كل مكان حتى حول فنادقها الفاخرة

المبهرة،مظاهر الفقر فى الهند سابقاً كانت توجع القلب والمعدة والعقل ويقابلها ثراء فاحش يذكرك بحكايات ألف ليلة وليلة،أما فى الهند الحالية فقد قلت جدا هذه المظاهر مقارنة بالماضى القريب وإن ظل الثراء كما هو ثراء فاحش.

عندنا كما عندهم فقراء حتى الموت وأغنياء حتى الخلود ولكن فقرهم وثرائهم لا فاصل بينه فهم يتعايشون دون فواصل،فليس هناك منطقة خاصة بالأغنياء لا يستطيع ان يقطنها سكان الشوارع أو الشحاذون وليس هناك أماكن للفقراء لا يدخلها الأغنياء خوفاً،فلا هم يخجلون من فقرهم فيخفوه ولا يخافون على ثرائهم فيقيمون حوله الأسوار، أما نحن فى مصر فللفقراء عالمهم المخفى عن العيون وكأننا كأمة نخجل منه وهو واقع ، والأغنياء إجتمعوا فيما يشبه الجيتوهات تلتف حولها الأسوار تبتعد يوماً بعد يوم عن المدينة فكدنا أن نصبح شعبين أما فى الهند فهم أمة واحدة فيها الفقير جداً والغنى جداً وما بينهما.

جريدة اليوم السابع أكتوبر ٢٠١١

الفصل الثالث

نجوم ولكن



مقدمة

عبر رحلتي الصحفية التقيت آلاف البشر ومئات النجوم في كل المجالات، اقتربت من البعض ومررت مرور الكرام على البعض، حاورتهم جميعاً في الحياة وعلى الورق، رصدت نجاحاتهم وإخفاقاتهم، ودفعني الموت لأن أنعي البعض.

عايشت نجومًا وشخصيات من مصر والعالم في لحظات القوة ورأيتهم في لحظات الضعف ، وعلى اختلاف طبائعهم ومهنهم ولغاتهم رأيت فيهم ما نرى في كل البشر قوة أحيانًا وضعف أحيانًا ، جمال أحيانًا .. وقبح أحيانًا .. ثقة أحيانًا .. وشك أحيانًا .. النجوم في الفن والسياسة أمام الكاميرات وهج وخلف الكاميرات شيء آخر .

جلست بين يدي فانيسيا ريد جريف البريطانية عبقرية التمثيل تبكي على أحوال الفلسطينيين ومع شاروخان الهندي يبث لي خوفه من السفر لأن في المطارات الغربية يوقفونه طويلاً لأنه مسلم ، التقيت بسيدة الشاشة العربية فاتن حمامة تحكي لي عن زمن مضى وزمن لا تستطيع التأقلم فيه وجلست في بيت هند رستم لا أصدق أني أجلس مع «هنومة» التي ما زالت أراها أجمل ما قدمت لنا السينما ورأيت دموع خفية لنجمة زال عنها وهج النجومية ، وجاورت أحمدي نجاد الرئيس الإيراني الذي يراوغ العالم كما راوغني ، وشاغبت المنصف المرزوقي رئيس تونس.

وجلست مع مشايخ دين يظن الناس أنهم عنوان التقوى وما هم إلا راقصين على الأحبال ، ومع نجوم سياسة يدافعون عن سياساتهم أمام الأضواء وفي الخفاء يلعنوها .

ومن بين كل هؤلاء اخترت مجموعة من المقالات التي كتبتها عن شخصيات بعينها ليس لأنها الأهم ولا لأنها الوحيدة ولكن لأنها تحكي عن الجانب الإنساني فيمن كتبت عنهم وربما لأنها تحكي جزءًا مني .

النجم العاشق

فتى أسمر نحيل أجعد الشعر فقير يقف ضعيفا أمام مجموعة من المشاغبين الأغنى والأقوى ولم يتصور أحد أن ذلك الفتى الغلبان أحد فتيان «مدرسة المشاغبين» سيصبح في يوم ما نجما ساطعا مشعا له وهج يختلف عن غيره من النجوم، بل إنه سيغير من مقاييس نجومية الرجل في السينما المصرية التي تتطلب الشعر الحرير والملامح الوسيمة.

ذلك الفتى هو أحمد زكي، وأكاد أن أجزم أنه النجم الوحيد في السينما المصرية الذي يصح أن نطلق عليه العاشق للفن بلا مقابل، فإن كان الفن يعطي للفنان الشهرة والمال وحب الملايين وهو ما يجعل الفنان يتحفز لأعمال أفضل وأفضل، إلا أن إشكالية أحمد زكي أنه لا يأبه بالشهرة وينفق المال الذي يأتيه من الفن بل أكثر منه على الفن، فمن يصدق أن أحمد زكي النجم ظل يحيا عدة سنوات بلا بيت، وحين استطاع أخيرا أن يمتلك شقة فإنه باعها من أجل أن ينتج فيلما يحقق به أحد أحلام عمره، أحمد زكي حالة منفرده يشبهني بعازف الناي على ترعة مصرية تظلله الصفصافة يعزف وحده ليستمتع بصوت نايه، فيتوقف المارة أمام عزفه بينما هو شارد لا ينتبه لجمهوره لأنه عاشق.

الغد العربي - ٢٠٠٠

حليم الذي باعه الجميع

«لو حكينا يا حبيبي نبتدي منين الحكاية» كلمات تغنى بها حليم منذ زمن.. أستعيرها لكي أبدأ بها حكاية عبد الحليم حافظ الذي لم يكن يمثل بعبعا لأهل المغنى والفن في حياته فحسب، ولكنه مازال رغم وفاته منذ أكثر من عشرين عاما.. مصدر خوف وقلق لأهل المغنى، ومصدر رزق وسبوبة لأهل بيته، ومصدر إلهام وفن لجمهور أغلبه لم يعاصره ولكنه مفتون به وبأغنياته.. وحكايات حليم في حياته كثيرة وربما قرأنا عنها عشرات المرات، ولكن حكايات حليم الحديثة هي الأجدر، فما حكاية حليم وأحمد زكي ومحفوظ عبد الرحمن ومحسن جابر وطارق العريان وعمرو دياب، ثم مع عليَّة شبانة أخته الكبرى؟ العندليب مات ولكن حكاياته مع الأحياء مستمرة.

حليم وأحمد زكي : «لو أني أعرف خاتمتي ما كنت بدأت»

أحمد زكي فنان يبحث عن مساحة ينفرد بها ولا ينافسه فيها منافس، ويظل بطلا في خضم سينما فقيرة، ورغم ذلك تستهلك كل يوم وجوها جديدة في محاولة لإحياء ميت بضخ دماء ربما تعطيه الحياة. وفي هذا الجو ومرحلة انحسار الأضواء عن أكثر أبناء جيله، إن لم يكن كلهم إلا هو، يحاول أحمد زكي أن يبحث عن وسيلة ليمد عمر بطولاته فمن ناصر إلى السادات إلى محاولاته السابقة لعمل فيلم عن الشعراوي، ولكنها باءت بالفشل أمام معوقات أبناء الشيخ في طلب المال، ثم أخيرا حلمه في أن يؤدي دور العندليب، فيقرر أن يخوض تجربة الإنتاج ثانية برغم ما لاقاه من عذاب من تجربته السابقة في السادات، ولكن الهدف أكبر من العذاب. فيفعل كل شيء يقرب حلمه حتى إنه يستعد برجيم قاسٍ ومجموعة من الصور المختلفة كتجربة لأدائه، وجلسات مع أهله وسيناريو محكم من أحد أبرع كتاب السيناريو محفوظ عبد الرحمن،

ولكن تواجهه مشاكل مادية وتعثر تمويلي من البنوك بسبب الحالة الاقتصادية العامة، فيقرر أن يشارك محسن جابر أحد أصحاب شركة «فنون» وصاحب الحق في أغاني عبد الحليم، في إنتاج الفيلم، وهنا يدخل القصة بطل جديد ويأخذ الموضوع منعطفا آخر.

حليم ومحسن جابر : «مغرور حبيبي كتير عايز أفهمه»

محسن جابر أحد أشهر منتجي الإغنية منذ زمن.. تلميذ العمروسي الذي تفوق عليه وصانع نجوم الأغنية الحديثة، يشعر بحس التاجر قبل الفنان بأن فيلما كهذا لن يشفي غليله في المكسب، ويعرف مسبقا أنه يتعامل مع نجم متعب فيطلب أن يتحول الفيلم إلى مسلسل ويقنع أحمد زكي بذلك ليضرب عصفورين بحجر واحد يكسب أكثر من بيع المسلسل، فالمحطات التليفزيونية أصبحت أكثر من الهمّ على القلب وتطلب مواد للعرض بالمازورة، وتسويق المسلسل بذلك سيكون أسهل وفي نفس الوقت يزداد الإقبال على شراء شرائط عبد الحليم كما حدث بعد عرض مسلسل أم كلثوم لمبيعات شرائطها.. ولا يمانع أحمد زكي في الفكرة فالمهم بالنسبة له أن يمثل شخصية حليم ولكن كاتبها محفوظ عبد الرحمن هو الذي يقف حجر عثرة ليرفض تحويل فيلمه إلى دياب. طبعا قد تتوقف عزيزي القارئ الآن عن القراءة لتتساءل: الست دي سرحت ولا إيه، ما العلاقة بين الاثنين؟ ولكن احذر قبل أن تنعتني بأي صفة سيئة، لتعرف بقية حكاية حليم الميت مع الأحياء.

حليم وعمرو دياب : «تخونوه وعمره ما خانكم ولا اشتكى منكم»

ربما يشعر عمرو دياب دائما أن نجوميته ناقصة، وأن شبح حليم الكابس على نفسه دائما برغم كل ما وصل إليه، لن يستطيع أن يطرده إلا إذا نجح في السينما كما فعل العندليب، وهذا هو ما لم يتحقق حتى الآن بالأفلام التي قدمها كآيس كريم في جليم والعفاريت وغيرها من الأفلام التي لم تترك أثرا، وفي نفس الوقت يخاف أن يخوض تجربة جديدة تؤكد فشله السينمائي، فهو عين في الجنة وعين في النار كل فترة يخرج علينا بخبر استعداده لفيلم ثم تخفت الأخبار، ولكنه منذ الحديث عن فيلم حليم بدأ عمرو دياب يستعد لفيلم يحكي قصة حياته ويتولى كتابته أحد أشطر كتّاب السيناريو وحيد حامد، ومنتجه طبعا هو نفس منتج أغنياته محسن جابر الذي وقع في مشكلة: هل ينتج حليم أحمد زكي وينعش سوق شرائطه ويحيي ذكراه في نفوس الناس مما قد يؤثر على مطربه الجوكر أم

يعطي لفيلم عمرو دياب الأولوية ويثبط من عزم أحمد زكي؟

وبمنطق الحي أبقى من الميت يسير محسن جابر، فينهار الاتفاق بينه وبين أحمد زكي وحتى المخرج الذي تم ترشيحه لإخراج الفيلم طارق العريان، يجذبه عمرو دياب فيعرض عليه مليون جنيه عدًّا ونقدا قال إيه لكي يخرج له فيلمه بدلا من فيلم حليم، لدرجة أن طارق العريان وهو ليس مخرجا صاحب بصمة في تاريخ السينما يطلب من أحمد زكي ٨٠٠ ألف جنيه لكي يخرج الفيلم! وهو رقم مهول يعرف مقدما أنه لم يحصل عليه مخرج في تاريخ السينما المصرية، وبالتالي يعفي طارق العريان نفسه من الحرج ويقول: أحمد زكي لم يلبِّ شروطي وينسحب، وهو بالفعل ما حدث.

حليم وممدوح الليثي : «بحقك أنت المنى والطلب والله يجازي اللي كان السبب»

يضطر أحمد زكي لأن يذهب إلى منتج آخر، ويبحث فلا يجد أقوى من جهاز السينما الذي يرأسه ممدوح الليثي الذي عرف عنه تقديمه للأعمال القيمة، فيعرض عليه أحمد زكي الفيلم وطبعا لم يكن أمام الليثي إلا أن يعلن موافقته وإلا بدا أن ما يعلنه شيء غير ما يبطنه، فمن أحق بتقديم فيلم عن فنان خالد، منتج غلبان أم هيئة كبيرة فالمسألة برستيج أي مقام وهيبة يستحقها الليثي، وبرغم ما يقام أمام الكاميرات فإن الليثي كان كارها للفكرة والفيلم والبطل والمؤلف لدرجة أنهما سمعا الليثي يقول فيلم إيه وعبد الحليم إية دلوقت، ومين أحمد زكي واللاّ محفوظ عبد الرحمن!! وحين طلب ورثة العندليب طلبات مالية بدأ الليثي في مفاوضتهم ليس من قبيل تنفيذ المشروع ولكن لإجهاضه بحجة الورثة الذين يطلبون عشرين بالمائة من دخل الفيلم، وهو يقول عشرة فقط. والليثي يعرف جيدا أنه لا حق لهم ولو كان يريد إنتاج الفيلم بحق ما كان سمح لهم حتى بالحوار، فهو رجل قوي يعرف القانون جيدا ولكنه نوع من غسيل يده أمام الجمهور حين يعرفون تخليه عن إنتاج مشروع يبدو جيدا فنيا وماديا.

حليم وعلية شبانة : «بيع قلبك بيع ودك شوف الشاري مين»

الأخت الكبرى والأم التي لطمت الخدود وشقت الجيوب يوم مات العندليب، هي نفسها اليوم التي تساوم على ظهور فيلم يخلد ذكرى الحبيب أكثر وأكثر، جلس أحمد زكي مع علية يقول ويقول ويحكي ويحكي متصورا أن هذا المشروع سيثلج صدرها، مسكين لم يكن يعرف ولا يتصور أن علية وأسرة شبانة لا يهمهم الخلود ولا الفن ولا شيء مما يحكى

عنه، المهم في الآخر بكام، فورثة الفنانين والأدباء والمشاهير يبدو حتى الآن مما صادفني من حكايات بداية؛ من برلنتي عبد الحميد وانتهاء بأبناء الشعراوي وأسرة عبد الحليم يحلبون الميت حتى النخاع، فرغم أن القانون لا يعطي لهم الحق في التدخل أو الرفض أو القبول أو الحصول على أموال مقابل ظهور عمل فني عن مشاهير الوطن، لأنهم تراث وتاريخ يخص الجميع فإنهم لا يتورعون تحت بند الإضاءة لذكري الحبيب الغائب أن يذهبوا للمحاكم ويعطلوا الأعمال الفنية أو على الأقل يبددوا طاقة الفنان المتحمس لهذا العمل، كما فعلوا مع أحمد زكي ويدأوا في اختلاق المشاكل بحجة الإساءة التي جعلت كل أعمالنا عن شخصيات تاريخية على الأقل الحديثة تتسم بالكذب، لأن الكاتب لا يستطيع أن يقترب من أي منطقة فيها شبه إساءة، وطبعا الحكاية حكاية فلوس ولا تهم أحدًا الإساءة أو الإشادة لدرجة أن الرحماوي رئيس شركة القاهرة للصوتيات والمرئيات طلب من أي كاتب يتصدى لسيرة ذاتية أن يأتي بموافقة من الورثة على إنتاج العمل الفني لكي يخلص نفسه من الصداع، مما دفع إحدى الكاتبات لأن تكتب عن ملك حفني ناصف، باحثة البادية، ورقة بخط يدها لتنازل الورثة الذين لا وجود لهم لكي يرى عملها النور وتخلص!

حليم ومحفوظ عبد الرحمن «موعود معايا بالعذاب يا قلبي»

أخيرا محفوظ عبد الرحمن كاتب نادر، يتعامل مع الفن بروح الهواية، نسج التاريخ بالدراما حين قدم ناصر ٥٦، ثم بوابة الحلواني ثم رائعته أم كلثوم، وهو الذي أضناه ورثتها أيضا. وهو صاحب حليم، لا يؤرقه ما يحدث فهو كما يقول كم من أعمال كتبها آخرون وظلت في الأدراج فليكن حليم.

جريدة الميدان - ٢٠٠٣

علاء ولي الدين

حين رحلت سناء جميل الفنانة الجميلة عن الحياة منذ فترة قصيرة هممت بالكتابة عنها، ولكني فجأة توقفت وقررت أن أراقب ما يكتب عنها بلا مشاركة مني. وحين قرأت ما تمت كتابته كرهت أغلب من كتب وليس ما كتبوا. فقد كتب النقاد والصحفيون كلمات جميلة وتقييماً صادقاً لعبقرية فنية قلما تجود بها علينا الأيام.

أعطوا سناء جميل التي كانت تشكو من التجاهل وقلة العمل حقها وزادوا. قالوا عنها وصدقوا، ولكنه كان صدقاً متأخراً فصاحبته رحلت ولم تقرأه، بل كدت أن أقول: لو أن سناء جميل قرأت نصف ما كتبوه عنها لطال عمرها، ولكن سبحان الله الذي جعل لكل أجل كتاباً.. فسناء جميل ماتت ولم تقرأ ما كتبوه عنها، ولو أنها عاشت مائة عام ما كانت ستقرؤه لأننا ما كنا سنكتب عنها إلا حينما تموت.. فنحن أحفاد الفراعنة الذين بجلوا الموت واحترموا الأموات وكتبوا مآثرهم على الجدران.

وها نحن بعد أكثر من أربعين يوماً وفي يوم عيد تنطفئ شعلة وتتوارى ابتسامة في حياتنا. وأنضم بحكم عملي وبكوني-أحد أحفاد الفراعنة للكتابة عن الأموات.. للكتابة عن ضحكة ضخمة كان اسمها علاء ولي الدين.

كنت أقف في أحد المحلات صباح يوم العيد، وإذا باثنين من العاملين يتجاذبان أطراف الحديث وأحدهما يقول: يا أخي دي شائعة دايماً الفنانين يعملوا شائعات قبل عرض أعمالهم، وعلاء ولي الدين له فيلم جديد لهذا أطلق شائعة موته، ورد الآخر هو معقول علاء ولي الدين يموت؟!

ولكن الحقيقة أن فعلاً علاء ولي الدين مات ولم تكن شائعة.. والحقيقة أيضاً أننا سنكتب عنه اليوم ما لم نكتبه في حياته.. سنكتب أنه كان ابتسامة جميلة عميقة تحمل شجناً، سنكتب أنه منحنا سعادة منذ أول مشهد له في السينما في فيلم «أيام الغضب»، حين قدم شخصية الفتي الذي تركه أهله في مستشفى الأمراض العقلية يعاني العذاب لأنه غير طبيعي، سنكتب أن ابن عز كان فيلماً لا بأس به، ولكن مشكلته أن الجمهور كان يريد علاء الحقيقي الطيب الغلبان الذي يمثل ملايين المصريين وليس النموذج الغني المدلل الذي يجثم على أنفاس الملايين.. سنكتب أنه فنان لم يبحث عن بطولة وخلاص حين قرر التوقف العام الماضي عن سباق الصيف، لأنه لم يجد نصاً جيداً يطمئن له ليقدمه للجمهور.. سنكتب أنه كان ضحكة صافية حقيقية في زمن كثر فيه الضحك الزائف.. سنكتب وسنكتب وسأكتب: أنني حين رأيت أمه لأول مرة في مقابلة معه في بيته بمصر الجديدة، عرفت لماذا أتقن دور السيدة في الناظر لأنه كان يقدم أمه طبق الأصل.

وسأكتب وكأنه كان يشعر دائماً بقصر عمره، ففي أحد لقاءاتنا كان يأكل سندوتشاً فقلت له: أليس هذا النوع من الطعام ممنوعاً عليك؟ فرد نعم ممنوع ولكن هل في العمر كثير لكي أمتنع عن متعة مثل هذه؟

سيكتبون أحاديث معه وكلهم سيقولون إنها آخر حوار مع الجميل الراحل علاء ولي الدين، سيقول عنه أصدقاؤه إنه كان أطيب النجوم.. وسأحكي كما سيحكي غيري حكايات عن فقد كان علاء ولي الدين ابن البيئة التي نشأ فيها، فجده كان أحد شيوخ الطرق الصوفية، ورغم أنه لم يره فقد كان متأثراً بسيرته وكمنا تأثر بجده تأثر بأبيه الممثل سمير ولي الدين، أخف ممثلي جيله ظلاً رغم أنه لم ينل حظه من الشهرة كابنه فحين كان الأب سمير ولي الدين تلميذاً جلس في امتحان اللغة الإنجليزية يكتب الإجابة بالعربية، فتعجب زميله آنذاك الكاتب الكبير محفوظ عبدالرحمن وسأله كيف تجيب عن الإنجليزية بالعربية فقال: هذا يعني بالنسبة للممتحن أنني أفهم الإنجليزية فالمهم أنني فهمت ولا يهم كيف أجيب.

وهكذا كان سمير ولي الدين الأب خفيف الظل، وكما كان علاء ابناً لهذا الأب كان ابناً لأمه، فحين رأيت أمه أول مرة بعد فيلم الناظر تصورت أنها هي التي قامت بدور السيدة

في هذا الفيلم، فعلاء نسخة طبق الأصل من الأم مع فارق الجنس.

سنكتب أن كل فنانة حضرت العزاء نسيت أنها فنانة مشهورة، لقد أتين جميعاً مرتديات السواد بلا خط واحد للماكياج، جلست أنغام إلى جوار سيمون، ومنى إلى جوار حنان، ويسرا تحت أقدام الأم كلهن لا يصدقن أن الأطيب مات.

سنكتب عن مآثره ونوادره لأننا أحفاد الفراعنة، وإن ظل الفرق كبيراً بين موت إنسان وموت فنان، فحين يموت عزيز لدينا نحزن لفراقه لأننا سنفتقده، ولأن الذاكرة ستخوننا وسيتساقط منها الكثير عن الفقيد العزيز، ولكن حين يموت فنان نحن لا نفتقده إلا كقيمة كان يمثلها مثل صدق الأداء أو روعة التقمص أو الاحترام أو غيرها من الصفات، أما هو فإننا لا نفتقده لأن أعماله تبقى، فمن منا يفتقد إسماعيل ياسين، إنه بيننا كل يوم؟

أعمال الفنانين تظل بيننا تضحكنا وتبكينا، تطربنا وتشجينا، ورغم هذا لا نكتب عنهم كما يجب إلا بعد أن يموتوا، لهذا فسأكتب كغيري: أننا سنفتقد علاء ولي الدين الطيب في زمن كثر فيه الأشرار.

جريدة الميدان - فبراير ٢٠٠٣

النمر الأسود

قد يعني أحمد زكي لجمهوره المشاهدين النمر الأسود أو طه حسين أو الحب فوق هضبة الهرم أو البريء أو جمال عبد الناصر أو السادات، ولكنه بالنسبة لي أكثر من ذلك كثيرا، فالفنان الذي يرقد حاليا في غرفة الإنعاش يصارع من أجل الحياة يعني بالنسبة لي ذكريات وقصصا رأيتها وعرفتها لمعايشتي لأهل الفن.

ولأن أحمد زكي لأهل الفن معروف بعصبيته، فأذكر أنني رأيت منذ سنوات في ستديو نحاس مجموعة من المخرجين والفنانين وقفوا يتفقون في شر مضحك على أحمد وهو قادم من بعيد في اتجاههم، وفي اللحظة التي وصل يحييهم سأله أحدهم: لماذا لم يستطع أن يجيد في آخر أدواره كما هو دائما، فانتفض أحمد وظل يدافع عن أدائه، ويقلد بقية النجوم في أدوار مماثلة له ليثبت أنه الأفضل، فأحمد زكي لديه قدرة فائقة في التقليد، وظل يفعل ذلك إلى أن وجد أصدقاءه في حالة من الضحك المتواصل فاكتشف اللعبة وأنهم كانوا يناوشونه فقط فجرى وراءهم وجميعهم يضحكون ويفلتون منه.

أحمد زكي ممن يقال عنهم كبار المتحدثين، فهو إن جلس في مكان استحوذ على الكلمة، ومن الصعب أن تخترق حديثه فهو بطل أي جلسة يشارك فيها، ويذكرني ذلك بالأستاذ محمود السعدني منحه الله الصحة، فالاثنان من ظرفاء العصر وكبار متكلميه ولهم من القدرة على السرد ما يمنع أحدا من مشاركتهما ولهذا فاتصال تليفوني مع أحمد زكي وخاصة بعد ظهور المحمول يعني خراب بيت لصاحب هذا الاتصال إن رد عليه، ولكن ما أهون المال بالنسبة لي على الأقل إذا كان في مقابل حديث مع أحمد زكي.

وفي مقابل عصبية هذا الفنان هناك حميمية تغلف بالبشر من خلال بوصلة لديه تجعلك تشعر أنها تلتقط من الناس من تشعر بأنهم أصحاب قلوب، ولذا فإن المستشفي الذي يرقد فيه الآن أحمد زكي يحمل كل من يعمل فيه حكاية جميلة مع هذا الإنسان، فالممرضات وقعن في حبه ليس لأنه فنان مشهور، ولكن لأنه أحمد زكي فقط الذي يدعو إحداهن على الغداء، فحين تتعجب يصر ليثبت لها سوء الطعام الذي يأكله.

ادعوا لهذا الفنان والإنسان الذي تصلح حياته لأن تكون فيلما دراميا أكثر قوة وشجنا من ناصر والسادات، ادعوا لمن حلم صبيا يتيما فقيرا أنه يوما سيصبح نجما، فتحقق الحلم وما كاد أن يستريح حتى أتى المرض هادم اللذات ومفرق الجماعات أدعو له بالشفاء، فنحن لا نملك مثله كثيرا إنه فصيلة نادرة فهو النمر الأسود.

جريدة الميدان – أبريل ٢٠٠٤

محمود مرسي وحوار تحت تهديد السلاح

في التاسعة صباحاً من كل ثلاثاء داخل قاعة المحاضرات بمعهد السينما كان يعترينا شيء من الخوف والترقب والبهجة في انتظار وصول الأستاذ، فقد كنت وغيري من الطلبة على موعد أسبوعي لمعايشة فيلم يكتبه ويخرجه ويقوم ببطولته محمود مرسي، فمحاضرات الأستاذ كانت توازي فيلماً لأنها مزيج من الفن والسياسة والأخلاق، كانت محاضرات في الحياة رغم أن مادته كانت تسمى حرفية الإخراج السينمائي، ولكنها محاضرات كانت توازي قيمة فيلم يحصل على الأوسكار دون منازع.

رحل محمود مرسي الممثل ولم يبق لجمهوره سوى (شئ من الخوف) و (الليلة الأخيرة) و (طائر الليل الحزين) و (سعد اليتيم) و (العائلة) و (أبو العلا البشري) وأعمال أخرى.

أما أنا فقد تبقى لي أكثر كثيراً من ذلك، تبقت لي ذكرياتي، أيامنا الحلوة يوم أن كنت التلميذة وكان هو الأستاذ، وتبقى لي حوار واحد أجريته معه عنوة رغم تهديده لي، وكانت لهذا الحوار حكاية: يتصور الجمهور دائماً أن الممثل لابد أن يكون جريئاً ولا يمكن أن يكون خجولاً فكيف بمن يقف أمام الكاميرات والأضواء ويحب ويصيح ويتحرك هنا وهناك بل قد يقبِّل ممثلة في مشهد حب، كيف بهذا أن يكون خجولاً، ولكن محمود مرسي كان كذلك فقد كان أسرع وجه رأيته تكسوه الحمرة إعلاناً عن الخجل حتى لو كان في نظرة جريئة من طلبة شقية مثلي، مما كان يدفعه أحياناً لأن يصبح طالباً مني أن أنظر في كتابي، رغم أننا في محاضرات الأستاذ لا يمكن أن ننظر في أي شيء إلا إليه.

وقد يكون هذا الخجل والعزوف عن الشهرة الكاذبة هما السبب في رفضه الإدلاء بأي

حوار صحفي على مدى حياته أو الظهور في أي لقاء تليفزيوني مما دفعني على مدى عامين أن أطارد محمود مرسي لكي أحاوره بعيداً عن مدرجات الدرس، ولكنه كان يرفض ويجري في اتجاه سيارته الزرقاء العتيقة والتي كانت تشبهه، إلى أن استطعت يوماً أن أتعلق بشباك سيارته وأطرح عليه أسئلتي دفعة واحدة، ويبدأ يتحرك بالسيارة ولكني ظللت عالقة بها مصممة حتى لو دهستني عجلات سيارته، وحين لم يجد مخرجاً له من هذا المأزق اضطر أن يرد على أسئلتي وهو يكاد ينفجر غيظاً، ولكنه كان غيظاً طيباً، وبعد أن انتهى أغلق الشباك وهو يقول يا ساتر يارب منك إوعي تنشري الحديث وإلا سترسبين في المادة وسأقتلك، أما أنا فقلت له إنني لن أنشره مؤقتًا، ولكني نشرت الحديث ولم يقتلني محمود مرسي ولم أرسب في الامتحان ولكني فزت بحوار مع الفنان الصامت يومها دوماً. والصامت الآن أبدا.

جريدة الأهرام - أبريل ٢٠٠٤

أم السير.. الشهيرة بإليزابيث تايلور

«ليس كل ما يبرق ماساً وقد لا يكون حتى زجاجاً»، هذه حكمة علمتني إياها السنون وعملي في مجال الفن. فالنجوم المتلألئة في سماء الفن تلهب خيال الناس والمعجبين وترسم حولهم هالة تتضاءل كثيراً إذا اقتربت منهم.

والآن لم يعد يصدمني شيء من نجوم السينما التي كانت بعد أن توالت على الصدمات سنين، ولكني لن أنسى أولى تلك الصدمات على يد إليزابيث تايلور قطة هوليوود وعاشقة المجوهرات والرجال صدق أو لا تصدق، فالصدمة الأولى كانت على يديها حين كان القلم يرتعش في يدي وأنا مبتدئة.. حينها انتشر خبر حضور ليزا جميلة الجميلات إلى القاهرة كضيفة شرف لمهرجانها السينمائي، وجلست أحلم بلقاء هذه النجمة والتحاور معها ولكن أنّى يكون لي ذلك وأنا بعد لا شيء، ولكن لأن ما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا كده على رأي سعاد حسني.

ذهبت إلى المطار في اليوم الموعود واندسست بين جموع من الصحفيين الكبار ولم أحب قلة حجمي إلا في ذلك اليوم، لأنه سمح أن أتخفى خلف ساق كمال الملاخ أطول الصحفيين قامة في ذلك الوقت، فوجدت نفسي فجأة أقف عند سلم الطائرة المفتوح بابها في انتظار هبوط كليوباترا الشهيرة بليزا.. وتسمرت عيناي على الباب المفتوح الذي بدأ الركاب يخرجون منه وأنا أكاد أرتجف.. فالآن سأرى حبيبة ريتشارد بيرتون وسأدخل التاريخ وأشياء وأشياء، بل وصل بي الأمر أني حمدت الله أنني أحب السينما والفن واخترتها في المجال الصحفي دون غيرهما وها هو أول الغيث.. لقاء مع إليزابيث تايلور.

وفي خضم أحلامي نزلت على السلم سيدة تتهاوى بفستان بنفسجي اللون وكان أقرب إلى الجلباب المنزلي منه إلى الفستان، فتعجبت من تكون هذه السيدة التي ذكرتني بهيئة أم السيد زوجة أبو السيد، غير أن هناك فرقًا بينهما أن أم السيد كانت أقل بدانة أو ربما أكثر تماسكاً من هذه السيدة إضافة إلى أن الأخيرة تركت شعرها أشعث أغبر بينما أم السيد تزم شعرها بمنديل مما جعلها أكثر جمالاً من وجهة نظري ووقفت أضحك من نفسي.

وفجأة لاحظت حركة غير عادية من المحيطين بي ووجدتني أتحرك لا إرادياً بين السيقان الطويلة وسمعت صوتاً من أعلى يقول: إليزابيث تايلور وصلت هذه هي صاحبة الفستان البنفسجي.. يا نهار أسود فهل يمكن أن تكون شبيهة أم السيد هي قطة هوليوود؟! وتصورت أن الرجل مجنون ولكن للأسف لم يكن مجنوناً لأن بريق الفلاشات ولون عينيها حين اقتربت مني أكدا لي ما كنت أظنه مستحيلاً، فتلك المرأة هي ليزا في الواقع وكليوباترا على الشاشة، أما، على أرض مطار القاهرة فلم تكن سوى أم السيد تايلور!!

جريدة الأهرام - أكتوبر ٢٠٠٤

أحمد زكي .. العلاج على نفقة الدولة

صادف خبر مرض فتى السينما الأسمر أحمد زكي وقرار الرئيس بعلاجه في فرنسا على حساب الدولة بداية إجازة عيد الأضحى المبارك، والتي يجتمع فيها عادة الأهل والأصدقاء، وإذا بي على مدي عدة أيام تجمعني جلسات كثيرة مع نوعيات مختلفة من البشر، ويتطرق الحديث إلى مرض هذا الممثل وعلاجه على حساب الدولة، والغريب أن ينتهي الحديث في كل مرة مع اختلاف المتحدث بسؤال: هل يستحق أحمد زكي العلاج على حساب الدولة وهو ممثل كبير وبالتأكيد يمتلك من المال الكثير؟ فالناس دائما تري أن الممثلين أغنياء. ويستكمل السؤال بشيء من الاستنكار وهو: أليس هناك من هم أولي في مصر من أحمد زكي بالعلاج على حساب الدولة؟ أليس هناك مئات بل آلاف الفقراء الذين تتوقف حياتهم على قرار مثل القرار الذي اتخذ للممثل الشهير؟ ألا يكفي الممثلين ما لهم من شهرة وحب الناس ومال وكمان الدولة تريد أن ترعاهم وتترك فقراء الوطن يتسولون الحياة والصحة؟

والحق أنني وجدت نفسي مضطرة للإجابة على كل هذه الأسئلة ليس لأنني المدافعة عن حقوق الفنانين في مصر وليس لأن كل عمري المهني قضيته بينهم؟ وليس لأني ضد الفقراء ومع الأغنياء المشاهير؟ ولكن لسبب واحد وهو أنني أعرف أحمد زكي، فهذا الفنان لمن لا يعرف يستحق فعلا العلاج على حساب الدولة، وهو أقل ما يمكن تقديمه له، فأحمد زكي لو كان إنجليزيا لكانت ملكة إنجلترا منحته لقب لورد ولو كان أمريكيا لكانت هوليوود توجته على عرشها وأصبح المشهد الواحد الذي يظهر فيه يساوي ملايين الدولارات،

فلا أقل من أن تمنحه مصر علاجا في مرض يعلم الله أن كان سيبرأ منه أم لا؟

أحمد زكي ممثل عبقري يتنفس فنا لم يحصل يوما على الملايين لكي يؤدي دورا، فبعض الممثلين فقراء يحسبهم الجهلاء أغنياء، فالممثل سواء يعمل أو لا يعمل عليه تبعات مادية كثيرة من عاملين معه وتبعات مظهر يكلفه الكثير، وحين حلم أحمد زكي بفيلم السادات لم يتوقف أمام حلمه مكتوف اليدين، ولكنه باع شقته ليستطيع أن ينتج هذا الفيلم، ولأنه ليس تاجراً فقد خسر الكثير لهذا يستحق العلاج على نفقة الدولة، أحمد زكي «منتج صنع في مصر» وكثيرًا ما ربحت الدولة منه، فلم لا يستحق اليوم أن يعالج على حسابها وأن يشعر أن البلد الذي بالفعل أحبه ولم يشعر يوما بالانتصار فيه يربت اليوم على كتفه، أحمد زكي الذي أمتعنا وأضحكنا وأبكانا ولم يضحك علينا يوما ولم يبع لنا بضاعة فاسدة كغيره، ولم يبتذل نفسه ولا فنه فلمَ لا نشعره اليوم بأننا بالفعل ممتنون له، إن أحمد زكي حدوتة مصرية تستحق أن تحكي، ولو لم يدفعه الرئيس للسفر ما كان قد سافر فلم لا يستحق العلاج على حساب الدولة وهو لم يأخذ يوما شيئا منها إلا حب الناس الذي كان كثيرا ما يشك فيه فيسأل هل فعلا الناس تحبني؟ ولماذا؟

قبل أن يعرف الفتي الموعود بالعذاب بمرضه بأيام كان قد اتفق مع إحدى شركات الإنتاج على التمثيل في خمسة أفلام مقابل لا شيء إلا نسبة من الدخل بعد عرض الفيلم، لأنه لا يريد أن يتوقف عن التمثيل ومهموم بمسألة أجور الفنانين التي تلتهم ميزانية الفيلم، فقرر أن يكون الأول في مسيرة جديدة من أجل إنعاش السينما المصرية أن يعمل بلا أجر أو بأجر مؤجل.

فادعوا لمصري اسمه أحمد زكي أن يعود إلى حضن الوطن وحضن السينما ولا تستكثروا علاجه على نفقة الدولة فهذا أقل كثيرا مما يستحق.

بلد عناوين بصحيح

في الأسبوع الماضي كتبت مقالاً بعنوان «هل يستحق أحمد زكي العلاج على حساب الدولة» وفيه أجيب عن سؤال تردد في كثير من الجلسات عن أحقية الفنان في العلاج على حساب الدولة، ودافعت عن هذا الحق وبالتحديد حق أحمد زكي في هذا وكتبت بمنطق مادي بحت وليس بكلمات عاطفية جوفاء مستهلكة في مثل هذه الظروف وللأسف لم

أتوقع ما وجدت من ردود أفعال تجاه ما كتبت من استنكار، والغريب أن الاستنكار جاء من مثقفين وكتاب لم يقرؤوا إلا العنوان، وراحوا يردون عليّ بعناوين مثل: خفافيش الظلام تستنكر علاج أحمد زكي على نفقة الدولة، وهذه مصيبة كبيرة فقد كنت أعرف أن البعض يشتري الجريدة من عناوينها، والبعض هنا أقصد به رجل الشارع العادي ولكني فوجئت بأن حتى مثقفي الشارع وصحفييه أصبحوا هم أيضاً لا يقرؤون من الصحف وغيرها إلا العناوين وأظنها كارثة تصيب أمة بأسرها.

فالسطحية واستخدام لغة القطيع إن أصابت العامة مصيبة، أما إن أصابت الخاصة فتلك مصيبة المصائب. لقد كتبت ما كتبت رداً على سؤال أو استفهام لدى بعض الناس في الشارع، ولكن الكسل والسلبية التي أصبحت تغلف حياتنا اتهمتني بما لم أقل، لأنهم اكتفوا بالعنوان فلها الله أمة لا تقرأ إلا العناوين وله الله أحمد زكي وهو على فراش المرض يتاجرون بأحزانه ويزايدون على آلامه ويبيعون صحفهم باسمه لأنه أحمد زكي.

جريدة الميدان – ديسمبر ٢٠٠٤

نجوم الظل

عن الفقراء قال المسيح «إنهم ملح الأرض». فلولاهم ما كانت الأشجار والأزهار تنبت، ينتشرون في الأرض ورغم ذلك نمر عليهم مرور الكرام ولا نلحظهم، نعتاد وجوههم ولكن لا نتوقف عندهم أبدا حتى لو كانوا «ملح الأرض».

وكما هو قانون الحياة فهو ذاته قانون الفن فالاثنان يضمان النجوم وممثلي الدرجة الثانية والثالثة وهناك أيضا كثير من الكومبارس بعضهم متكلم ومعظمهم صامت. كلهم في النهاية يصنعون الحياة كما يصنعون فيلما سينمائيا.

فكما أن الفقراء هم ملح الأرض. هناك فنانون هم ملح الفن، نحن نعرف وجوههم نضحك معهم أو نشاركهم بكاءهم ولكننا أبدا لا نُرجع إليهم نجاح عمل فني أو حتى فشله، رغم أنهم من بين صنّاعه. فهم وجوه مشهورة بلا أسماء في ذاكرتنا. أعترف بأنني استمتعت بالحوار معهم أكثر كثيرا من استمتاعي بعشرات الحوارات التي أجريتها من قبل مع كبار النجوم، فالحوار معهم كان حالة من الصدق والرضا والسعادة بالمقسوم من الشهرة والمال.

إنهم يعيشون في عالم الشهرة ببصيرة هادئة لا تترك للأضواء فرصة لتخطف أبصارهم.. إنهم هؤلاء الذين يعيشون على هامش الحياة الفنية برغم أنهم صانعون لها.

سعيد طرابيك: أحلم بإخراج مسرحية عالمية

مثله الأعلى في التمثيل عبد المنعم إبراهيم ورياض القصبجي وعبد الغني النجدي، هو في الأفلام، وكيل النيابة وأحيانا يترقي إلى درجة القاضي، ولكنه كثيرا ما قام بدور المعلم ورجل العصابة، عشرات من الشخصيات جسدها «سعيد طرابيك» على مدي ثلاثين عاما

من احتراف التمثيل، وهو وجه نعرفه جيداً لأنه قاسم مشترك في معظم الأفلام الكوميدية بداية من أفلام عادل إمام وصولا إلى هنيدي وعلاء ولي الدين وأشرف عبد الباقي.

سعيد طرابيك مدخن الشيشة على الشاشة، وفي الحياة صاحب رصيد فني مكون من ٤٠ فيلما و٢٥ مسلسلاً. قصة سعيد مع التمثيل هي قصة حياة حب طولها خمسون عاما منذ كان طالب ثانوي في مدرسة الخديوية، فوقع في هوى التمثيل حين راي زملاءه الكبار يقدمون مسرحيات رائعة على المسرح المدرسي، وكان من بين الزملاء جلال الشرقاوي وحسن حسني، فالتحق طرابيك بفريق التمثيل وحين تخرج في المدرسة التحق بمعهد الفنون المسرحية الذي ضم في دفعته سمير العصفوري وإنعام سالوسة وسناء شافع ومحيي إسماعيل.

وأثناء دراسته في المعهد عمل «كومبارس» في بعض المسرحيات التي كان يقدمها المسرح القومي مثل «كوبري الناموس» ووقع طرابيك في هوى المسرح ولكنه تمني أن يعمل مخرجا، لذا فبعد أن تخرج في المعهد سافر إلى ألمانيا ليدرس الإخراج ويزيد من عمله. وأقام بألمانيا ست سنوات ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩٧٠، ليشارك في أوبريت «القاهرة في ألف عام» لكاتبها صلاح جاهين وإخراج مخرج ألماني والذي شارك فيها عدد كبير من الفنانين مثل سعيد صالح وصفاء أبو السعود وسعيد أبو بكر وأحمد زكي. ولكن إقامة طرابيك لم تطل في القاهرة فقد هجرها إلى إيطاليا لمدة عامين ليعاود دراسة الإخراج المسرحي ثانية.

وحين عاد طرابيك إلى القاهرة ثانية كانت خريطة الفن في مصر قد تغيرت، وتحول الذين بدأوا معه المشوار مثل عادل إمام وسعيد صالح ونور الشريف إلى نجوم توضع أسماؤهم بالبنط العريض على الأفيشات، فانضم هو إلى فرقة الفنانين المتحدين وعمل فيها عدة سنوات، وكما يقول سعيد «شدني عادل إمام للعمل معه فهو فنان جميل يقدر أصدقاءه فاشتركت معه في معظم أفلامه التي قدمها من بطولته».

- ألم تشعر بأنك فقدت الكثير وتحزن لسفرك حين عدت لتجد زملاءك وأصدقاءك نجوما وأنت سنِّيد لهم؟

«وطلب مني سعيد طرابيك أن أصدقه فيما سيقول «وصدقته فالصدق تشعره قبل أن

تتأكد منه» فقال: «كنت فرحانا بينهم وسعيدا أن أقول إني صاحبهم.. وعلى الإطلاق لم يكن هناك ما يضايقني، فهناك عبارة تقول هل خطك مثل خطي فيكون حظك مثل حظي، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ وأنا راض وسعيد بما حصلت عليه فبالتأكيد هذا ما أستحقه.»

سعيد طرابيك لا يحترف إلا مهنة التمثيل ولأنه عادة ما يتصور الجمهور أن التمثيل يجني لصاحبه كثيراً من المال، فقد سألته سؤالاً فيه بعض التجاوز ولكن إجابته كانت كفيلة برسم شخصية هذا الرجل: هل دخلك من التمثيل يكفي أن تعيش حياة كريمة؟

فيقول بلا تردد: الحمد لله يكفي جداً فالمهم البركة فأرى البعض يحصل على الملايين وينفقها على مائدة قمار أو على الخمر والنساء أو في محاولة للشفاء من مرض وأنا والحمد لله ليس لدي أي من هذه البلايا وبالتالى فمالى يكفيني.

- ألم تحصل على جائزة في التمثيل طوال حياتك؟

لا لم أحصل ولا حتى على شهادة تقدير، ولكن بصدق جائزتي تتمثل حين يحيِّيني الناس في الشارع أو يناديني أحدهم باسم شخصية قمت بأدائها.

- هل ترفض أدوارا تعرض عليك؟

أبدا عمري ما رفضت دورا، فكل ما يعرض عليّ أقبله، إلا مرة واحدة وكان دوراً في فيلم مع أحمد آدم «فيلم هنيدي» وكنت شاركته قبل ذلك في فيلميه السابقين، ولكن حين قرأت سيناريو هذا الفيلم لم يعجبني فاعتذرت عن الدور وكانت تلك هي المرة الوحيدة.

عمل طرابيك مع جيلين من المضحكين: جيل عادل إمام ومعظم نجوم عصره وجيل هنيدي وكل نجوم عصره.

- سألته: ما الفرق بين النجوم الكبار والجيل الأصغر؟

نجوم الجيل السابق مثل عادل إمام يهتمون بكل صغيرة وكبيرة في العمل الفني بداية من الكتابة حتى أصغر كومبارس أو إكسسوار في العمل، وبالمناسبة هذا الاهتمام كان من بدايتهم فأذكر مثلا في مسرحية «شاهد ما شافش حاجة» أن أتوا لعادل إمام بكوسة بدلاً من الخيار في أحد المشاهد فرفض، وأصر على وجود الخيار وقال: إن ذلك ضد مصداقية

العمل، أما نجوم هذه الأيام فلا يهمهم في العمل الفني إلا دورهم وحسب، يهتم كيف يلمع، وكيف يمكن أن يساعده الممثل الآخر في تلميع دوره وإبرازه وليس في التكامل الفني، فاهتمامهم منحصر في ذواتهم.

- سألته عن الممثل الذي يضحكه والممثل الذي يبكيه؟

فقال: سمير غانم وعادل إمام يضحكاني، أما الذي يبكيني فهو أحمد زكي، إنه ممثل «ما لوش أخ».

وماذا عن المخرج الذي يحب العمل معه؟

قال طرابيك: شريف عرفة، لأنه مخرج ذو رؤية فهو قائد العمل، وهذا هو المخرج الحقيقي على عكس مخرجين آخرين يتركون قيادة العمل للنجوم.

وعن ممثلات الجيل الجديد يقول: «لا أستطيع اختيار اسم واحدة أو أثنتين لأنهن جميعا أشبه ببعض».

وعن المسرح الموجود حاليا يقول: الذي يقدم حاليا هو شبه المسرح وليس مسرحا، كما أن معظم أفلامنا الآن شبه السينما. ولكنها ليست سينما، فحين ينحصر المسرح والسينما في الكوميديا وحسب، يصبح هناك شيء ناقص ولكن الفن الآن بكل أشكاله يشبهنا ويشبه عصرنا، عصر «التيك أواي» فنحن مستهلكون ولسنا منتجين في كل أمور حياتنا.

- سألته عن دور كان يتمنى أن يؤديه؟

فقال دور أحمد زكي في «الباطنية» ولكني لا أتصور أنني كنت سأقدمه أفضل من أحمد زكي، ولكن كنت أتمنى تمثيل هذا الدور.

وعن الحلم الذي لم يتحقق بعد قال طرابيك: إخراج مسرحية عالمية هو الحلم الذي يراودني وأتمنى تحقيقه.

تركت سعيد طرابيك الفنان الذي يسكن المعادي، ولكنه لا ينسى ماضيه في شوارع السيدة زينب حيث أصدقاء الصبا والذين يقول عنهم؛ إنهم زاده في كل وقت فحتى وهو مشغول حالياً بتمثيل دوره في مسلسل «بابا في أولى ثانوي» مع محمود ياسين وكذلك دوره في فيلم «مجي شان» مع محمد هنيدي، مازال يذهب كل مساء بعد صلاة العشاء إلى مقهاه

المفضل المجاور لضريح السيدة.

سمير الملا.. طبيب على الشاشة

الدكتور سمير الملا، ممثل لا يعمل إلا يوم الخميس من كل أسبوع، ولا يتعدى دوره في أي عمل سينمائي أو تليفزيوني ثلاثة أو أربعة مشاهد على الأكثر، و عادة ما يقوم بدور الطبيب الذي يذهب إليه البطل أو البطلة ليخبره بمرضه أو ربما بشفائه، وهو لا يتقاضى أجراً على أدواره فهو ممثل بلا مقابل! أما يوم الجمعة في السابعة صباحا فهو يرتدي «بنطلونًا جينزًا» وحذاء رياضياً ويتجه إلى جامعة القاهرة قسم التعليم المفتوح، ليدرس في كلية الإعلام في السنة الثانية وهو طالب متفوق.

ثم يأتي يوم السبت وفي العاشرة صباحا يتجه الرجل إلى كلية الطب جامعة عين شمس ليجري بأصابعه الذهبية أدق عمليات المخ والأعصاب، وينتقل بعدها إلى قاعات المحاضرات ليحاضر طلبة الكلية في هذا التخصص الدقيق، وحين ينتهي من محاضراته يتجه إلى عيادته الخاصة المكتظة بالمرضى الآملين في الشفاء بفضل الله ومهارة الطبيب.

أعترف بأنني كنت أراه في الأعمال الفنية مجرد كومبارس يقولون عنه إنه طبيب فكنت أتساءل: ما الذي يدفع الطبيب لدور الكومبارس، وتوقفت أمام حالته فقد عرفنا كثيرا من الأطباء الذين هجروا الطب حبا في الفن مثل يحيى الفخراني وعزت أبو عوف، أو في الأدب مثل يوسف إدريس أو إبراهيم ناجي فذاع صيتهم كفنانين وأدباء ونسي الجمهور أنهم أطباء، أما سمير الملا فحالة خاصة جدا لا يمكن أن نعرفها إلا بالتحاليل والأشعة بلغة الطب وبالحوار بلغة الصحافة، فكان بيننا هذا الحديث وهذه القصة، قصة طبيب أستاذ وكومبارس بلا أجر.

يحكي الدكتور سمير فيقول: «هوايتي الأولي في الحياة هي الطب أما هوايتي الثانية فهي التمثيل منذ كنت في مدرسة الخديوية التي كانت تضم قائمة طويلة من أسماء نجوم الفن حاليا، وكان يدرس لنا مادة العلوم جلال الشرقاوي الذي علمنا التمثيل أكثر مما تلهمنا منه مادته الأساسية، ثم التحقت بكلية الطب وكنت أحد أعضاء فريق التمثيل بها حتى أصبحت رئيس الفريق، وكان التنافس شديدا على مستوى الجامعات، وكان من أسماء المتنافسين في ذلك الوقت عادل إمام وصلاح السعدني وفاروق فلوكس ومحمود

ياسين وأنا وسمير العصفوري وإنعام سالوسة في جامعتي القاهرة وعين شمس وجامعات أخرى، ولكننا كنا متحابين، وبعد التخرج اتجه معظم الموهوبين إلى دراسة الفن بشكل أكاديمي، ولكنني لم أستطع الالتحاق بمعهد الفنون المسرحية مثل محمود ياسين مثلا، لأن دراسة الطب والعمل به كان صعبا، ومعهد المسرح كان يشترط الحضور وهو شرط لم أستطع الالتزام به، لذا فضلت دراسة النقد الفني وصرت قارئا ومشاهدا دءوبا، إلى أن أصابني فيروس الفن فالتحقت بالفرق المسرحية التي كونها التليفزيون في الستينيات وكنت في شعبة المسرح العالمي واشتركت مع قمم التمثيل في ذلك الوقت مثل زوزو نبيل صلاح منصور وآخرين، وأذكر وقتها أنني كنت طبيبا في السويس أترك نوبتي ليلا لمدة ساعات لكي أذهب إلى القاهرة أشارك في مسرحية ثم أعود في الليلة نفسها للعمل حتى اليوم التالي!

- وهنا كان لابد أن أوقف تسلسل الحديث وفيضانه بسؤال يؤرقني منذ جلست أمامه، فلقد شقي الرجل من أجل الفن والتمثيل، وعمل فيه جاهدا كطالب وحتى بعد التخرج أفلم يحن له أن يهجر الطب من أجل التمثيل كما فعل غيره؟

فيرد الأستاذ الدكتور: لا إطلاقا لم أفكر في ذلك فالتمثيل بالنسبة لي هواية كلعب الطاولة أو الجلوس على المقاهي عند البعض، فهل يترك محب الطاولة عمله من أجل هوايته؟!

لقد كنت هاويا أشترك في الأعمال الفنية لأشاهدها، فأنا عندما أشارك في أي عمل أقرأ كل السيناريو رغم أن دوري قد لا يتعدى مشاهد قليلة، ولكنني أقرأه وأنقده لصانعه، ولهذا فأنا لا أشترك إطلاقا في عمل غير قيم ومقصدي قيمة العمل ككل وليس طبعا دوري.

كنت أشعر بنوع من الذنب وأنا أقتطع من وقت الطبيب ليرد على أسئلتي، فكان بين كل سؤال وآخر يكشف على مريض وأسمع بعده صوت دعوات تبتهل لله أن يحفظ لهم هذا الرجل الذي يداوي جراحهم، فكنت في ذلك الوقت أتطلع إلى الكتب الموجودة في مكتبته، فوجدت كثيرا من كتب الطب لكن الأكثر كان كتبا عن الرسامين العالميين أمثال «رينوار» و «بيكاسو» و «رافايللو» وأهم اللوحات في متحف اللوفر، وكان هذا هو الاكتشاف الجديد لي مع الطبيب فهل إحدى هواياته أيضا.. إضافة إلى التمثيل «الرسم»؟

فقال: متذوق الحياة يجب أن يكون متذوقًا للفن والرسم، وأنا أحد متذوقي الحياة،

ومدرسو الرسم إضافة إلى أخي دارس الفنون الجميلة جذبوني إلى الفنون التشكيلية وجعلوني أقرأ في هذا المجال، ولأني كثير السفر فلا يوجد متحف للفنون في كل البلاد التي زرتها ولم أزره وأقف متأملاً أمام اللوحات حتى صرت محكما في المسابقات الفنية الكثيرة التي تجري داخل وخارج مصر، وللأسف حين أنظر الآن إلى الأطفال والشباب لا أجد فيهم الشغف بالفن التشكيلي، لأن دور المدرسة ومدرس الرسم اختفى وزيارة المتاحف لم تعد ضمن البرنامج الدراسي كما كان حين كنت طالبا.

- محب للتمثيل وممارس له وللفنون التشكيلية وهاو ومحترف في الطب.. ما الذي يدفعه إلى الالتحاق بكلية الإعلام ؟ ومن أين يأتي بالوقت لكل ذلك؟

أذاكر حوالي عُشر أي طالب، وأنجح بتفوق لأنني أتعلم بالأسلوب العلمي، وقد اكتشفت أنني كنت «عبيطا» حين أقرأ الصحف والمجلات فبعد دراسة الإعلام تعلمت كيف أقرأها، أما لماذا فهناك عشرات الإجابات فلماذا يدرس رجل كبير مثلا اللغة الفرنسية؟. إنها حسب التعلم ودفع الإنسان إلى الأمل في الغد، وهناك سبب آخر لدراستي الإعلام، فقد قدمت بحثا فيما سبق عن العوائق البصرية للقيادة الآمنة فاكتشفت أن إعلانات الشوارع والملصقات لها دور كبير في زيادة نسب الحوادث على الطريق ودراسة الإعلام تتيح لنا أيضا دراسة الإعلان وأفضل وسائله.

ألم يجد د. سمير الملا نقدا شديدا من المحيطين به سواء أساتذة أو أصدقاء أو مرضى أو طلبة لأنك تقبل العمل كممثل صغير وأنت أستاذ كبير في مهنتك؟

قد أجد سؤالاً من الأصدقاء الذين يسألونني «هو أنت فاضي» كنوع من الغيرة، ولكن الزملاء وغيرهم أحيانا يعلقون على أعمالي بحب شديد، أما المرضى فالفيصل في علاقتي بهم هو شفاؤهم وليس تمثيلي. أما الطلبة الذين أدرس لهم فعادتي شديدة الصعوبة والحقيقة أنني أوصلها إليهم بالحكي والتمثيل، فالمحاضر الجيد لابد أن يكون ممثلاً جيدا وفي النهاية أعمل حتى ولو «قرد» لكي أوصل إليهم المعلومة، ومحاضراتي لذلك أظنها ممتعة بالنسبة للطلبة ولا ينسونها لدرجة أن بعضهم بعد أن يصبح طبيبا يقابلني بعد عشرين عاما مثلا ويقول لي: تصور أنني مازلت أذكر كيف شرحت لنا عمل المخ أو معلومات أخرى وبالتالى فتمثيلي يفيد الطلبة ويخدمني في العملية التعليمية وليس العكس

فأنا أمثل وأخرج محاضراتي.

- لماذا لا تحصل على أجر عن تمثيلك؟

لأنها هواية أمارسها فكان عليّ أن أدفع لا أن آخذ، فالذي يتعلم التنس يدفع مقابل هوايته أما أنا لا أدفع ولكني لا آخذ أجرا أيضا. إضافة إلى أنني لا أتصور أن أقفز على رزق أحد، فلو أن أدواري التي أقوم بها كان سيحصل منها أحد على أجر ما كنت قمت بها، ولهذا أرفض الأدوار الكبيرة إلى حد ما لأنها من الممكن أن تذهب إلى ممثلين محترفين يستفيدون من أجرها في حياتهم.

- كسبت من التمثيل ممارسة الهواية فماذا كسب منك التمثيل؟

لا شيء سوى أن دور الطبيب وحديثه عادة ما يكونان مثار ضحك للمشاهد وبخاصة المتخصص فكنت أرى من يقوم بدور الطبيب يقول كلاما غير منطقي، ويكشف على المريض وهو يضع السماعة حول رقبته ثم تظهر غرفة العمليات في الأفلام وتصور الطبيب واقفا يجففون له عرقه، وهذا غير حقيقي بل شكل خاطئ لعالم الطب في السينما المصرية والدراما التليفزيونية، فغيرت ذلك كثيرا على الأقل في الأعمال التي أقوم بها فكنت أغير في السيناريو والحوار في هذه الجزئية.

جليلة محمود تزوجت وهي طالبة

«ولدت لأب تركي. أرمني. لا يجيد العربية وأم قاهرية شديدة الجمال ولها شخصية قوية فورثت الجمال وصلابة الرأي، تفتحت عيونها على حب التمثيل أيام كان المسرح المدرسي معمل تفريخ لمواهب الصغار، وعشقت أذنها الموسيقى في حجرة مدرستها التي دربتها على أصوات البيانو والأكسيليفون.. ففي ذلك الوقت كانت المدارس تربي قبل أن تعلّم، ولكنها أشياء جميلة تلاشت مع الأيام» كما تقول جليلة محمود.

كانت طالبة مجتهدة لا تحب تضييع الوقت إلا فيما هو مفيد حتى إنها تعلمت في الإجازات الصيفية الخياطة والآلة الكاتبة.اختصارا كانت تعد نفسها للبيت والزوج والحياة بكل الأسلحة ولم يكن التمثيل أو الفن إلا حلما، ولكن كما في أفلام السينما، هناك دائما لحظة درامية فاصلة في حياة الأبطال وكانت هذه اللحظة الدرامية بالنسبة لها بعد أن نجحت في الثانوية العامة وتقدمت بأوراقها إلى كلية الآداب قسم التاريخ.

وفي الإجازة الصيفية ذهبت لتتعلم الآلة الكاتبة وكان صاحب المكتب رجلا كبيرا لا تتذكر اسمه يراقبها كأب، وفي أحد الأيام قال لها: أنت مجتهدة وجميلة ومختلفة. ألم تفكري في التمثيل يوما؟ فضحكت لأنه كان كمن قرأ عقلها ولكن كيف لها بذلك؟ فرد عليها الرجل التحقي بمعهد الفنون المسرحية فهم يعلمون هناك التمثيل، وكانت هذه أول مرة تسمع فيها أن هناك معهدا للتمثيل، واختمرت الفكرة في عقلها وطلبت من زوج أختها أن يقدم أوراقها لذلك المعهد بعيدا عن أعين الأم والأسرة التي تراها طالبة في طريقها لكلية الآداب، ولم تكن تعرف أن المعهد لا يدخله أحد إلا بعد امتحان للقدرات وتخيلت أن هذا الامتحان ستغني فيه أو تقول كلمتين و«خلاص» ولكن القدر يكمل معها اللحظات الدرامية فيشكل لها واقعا جديدا حين تقابل نور الشريف في ميدان الأوبرا، وهو متجه إلى سينما الأوبرا لافتتاح فيلم من بطولته، وتحكي له دون سابق معرفة قصتها في دقائق فيوجهها إلى من يدربها لامتحان القبول.

ولهذا فهي كلما تقابل نور الشريف تتذكر أنه لولا هو ما عرفت طريقها، وتنجح طالبة الآداب والمعهد وكل ذلك بعيدا عن عين الأم القوية، ولكن أستاذها جلال الشرقاوي يخيرها ويهددها إما التفرغ للمعهد أو الخروج منه، فتجد الفتاة نفسها في مأزق لا يمكن الفرار منه لأنها عشقت دراسة المسرح والتمثيل وفي الوقت نفسه عليها أن تواجه أمها بالحقيقة. وهو ما يعني «عاصفة الصحراء» فتطلب من ممثلين لها اسمها وهما؛ عبد الحفيظ التطاوي وفؤاد أحمد أن يبلغاها بالأمر، فكان من نصيبها علقة ساخنة ولكن علقة تفوت ولا حد يموت، فأخيرا استراحت الفتاة وأصبح كونها طالبة في معهد الفنون المسرحية واقعا، وأصبحت ممثلة تحت التمرين، وكان أول أعمالها وهي في السنة الأولى في مسرحية «قصة الحي الغربي» على مسرح الفنانين المتحدين بطولة سهير البابلي وإخراج أستاذها جلال الشرقاوي، وتلك كانت البداية.. بداية رحلة «أم وحيد» في مسلسل «الشهد والدموع» إلى أن وصلت إلى فيلم «الكيت كات» ومسلسل «ملك روحي» وعشرات وعشرات من الشخصيات استطاعت جليلة محمود أن تقدمها باقتدار رسمت فيها أحيانا البسمة على شفاهنا، وأحيانا أخرى الدموع في عيوننا، وأدهشتنا ورغم ذلك فهي واحدة من أصحاب المواهب الكبيرة والحظ الصغير القليل، يعرفها الجمهور جيدا

ولكنه لا يتذكر اسمها دائما.

وحين تتكلم جليلة محمود عن الاختيارات في الحياة تقول: اخترت أن أتزوج وأنا ما زلت طالبة في المعهد لأتخلص من قبضة أمي عليّ، ولم أكن أعلم أنني أختار قبضة أقوى وأصعب فحملت بعد الزواج مباشرة ووضعت أول أولادي وأصبحت أمًّا فكبلتني الأمومة بقيود أكبر وأكثر كثيرا من كل قيود وسطوة أمي، فتعثرت مسيرتي الفنية لأن أولادي كانوا أهم ما في حياتي، والغريب والمثير أن أول أعمالي كان مسلسلا مهما في ذلك الوقت اسمه «من أجل ولدي» قصة محمد عبد الحليم عبد الله (أليس في ذلك إشارة قدرية) بطولة أحمد زكي الذي كان زميلا لي في المعهد، ولكنه كان في السنة النهائية ونحن في السنة الأولى.

وتكمل جليلة محمود حكايتها فتقول: طلبني كثير من المنتجين في ذلك الوقت للمشاركة في أفلام سينمائية، ولكني وجدت كل المعروض عليّ من أدوار يريد استغلال شكلي وشبابي وقامتي بالمايوه وغيره من أدوار الإغراء، وكانت هذه هي كل الأدوار المتاحة فقط للتمثيل السينمائي، ورفضت أدوارا بعد أدوار لأنني شعرت بأن حياتي لم تعد ملكا لي، بل إن جزءًا منها سيخص أبني وكانت لدي رقابة داخلية تمنعني من تمثيل أدوار كثيرة، فلم يكن لي من ملجأ إلا التليفزيون الذي يسمح لي برعاية أبنائي، فأعمل وقتما أريد وكذلك نوعية الأدوار لم تكن بمواصفات السينما.

لم تحصل جليلة محمود طوال حياتها الفنية على جائزة واحدة أو تكريم ورغم ذلك تقول بنبرات أكاد أشعر بأن كل حرف فيها صادق: أقسم بأن جائزتي وتكريمي الحقيقيين يأتيان من متعتي في التمثيل فكل دور أؤديه أستمتع به قبل الآخرين.

ومن الغريب أن معظم الأدوار التي تقوم بها جليلة محمود أدوار لسيدات من طبقة شعبية، بينما هي ابنة رجل «خواجة» تركي فلمَ اختارت هذه النوعية البعيدة عن طبيعتها؟ تقول: «أحب أي شخصية فاعلة فالسيدات الراقيات فيه معينة وليست عامة الشعب وأحب دائما أن أعبر عن السيدة القوية برغم كل ما يحيطها من ظروف».

- خاصمت السينما أو خاصمتك، ألم تشعري بحنين وبنقص لمَّا يقال عنها ذاكرة الفن الباقية؟

إطلاقا على العكس الأدوار المتاحة لي في السينما لا تمتعني في الأداء، ولهذا لا أحبها، ثم

إن السينما تشبه كرسي الإدارة وهو كرسي لا يدوم لصاحبه.

وهنا استوقفتها لأن نجم السينما متى تنحسر عنه الأضواء قليلاً ويذهب إلى التليفزيون يحصل على أعلي أجر واهتمام أكثر فقالت: الحقيقة حين تعرض عليّ أدوار مع نجوم سينما ويطالبني المنتج بتخفيض أجري لأن البطل سيحصل على مليون جنيه مثلا فأقول له إذًا اجعل هذا النجم يقوم بكل الأدوار في المسلسل لأنني لو قبلت فمعناه أنني سأشارك وغيري في دفع أجر ذلك النجم وأرفض، فإذا لم أعامل كنجمة ويحترمني الجميع ويقدرني فأنا لا أتنازل لأنني إن كنت قد تنازلت عن النجومية برغبتي حتى لا تضطرني إلى قبول أشياء أرفضها فهل أتنازل وأنا حرة لا يقيِّدني قيد؟!

- للفنان في عين الجمهور حياة اجتماعية تبدو براقة هل تملكين هذه الحياة؟

بل أرفضها لأن الحياة البراقة هذه معظمها زيف ومضيعة للوقت، وكثير من النفاق فأنا أفضل أن أجلس في بيتي أشاهد فيلم «روبرت دي نيرو» على أن أحضر حفل عيد ميلاد أو ندوة نجلس فيها لننافق بعضنا البعض.

مَن مِن النجوم تتوقفين أمامهم وتشاهدينهم بمتعة في الأداء ويبهرك كممثلة عملهم؟

أحمد زكي - شفاه الله - في مرحلة نضجه فأعماله الأولى كانت عادية، ولكنني أتمتع بأدائه في أعماله الأخيرة مثل «زوجة رجل مهم» و«ناصر ٥٦» وأعمال أخرى فهو الممثل الوحيد الذي يمتعني أداؤه، وتعجبني صنعة نور الشريف فهو ممثل صنايعي ولكنه تختلف عن أحمد زكي الذي لا صنعة في أدائه، أما الممثلات فلا أتوقف عند أي نجمة سواء من جيلي أو الأجيال التالية، اثنتان فقط هما «الألفة» برغم رحيلهما سعاد حسني وأمينة رزق، فأمينة رزق معجزة رأيتها في الاستديو فهي تبدو سيدة عجوزًا «غلبانة» وفي اللحظة التي تنير الكاميرات أضواءها تتحول إلى شيء عملاق وسيدة أصغر سنا من كل من في المكان، لقد كانت معجزة ولم تبحث عن شهرة ولا مال ولكنها كانت تستمتع بما تفعله.

ما الأشياء التي كسبتها في حياتك كممثلة برغم أنك لست نجمة بمقاييس الأخريات؟

لأنني لست نجمة «كما تقولين» فأنا أعمل طوال الوقت، لدي الآن أربعة مسلسلات أمثلها ولا أشعر بالفراغ لحظة، ولا أجد في عيون الآخرين نظرة حسرة عليَّ لأن الأضواء انحسرت عني ولم يعد لدي مكان أو يقال عني إن الأجيال الجديدة أزاحتني من مكاني

وأجلستني في البيت، فأنا مستمرة ولا ألعن نفسي وأنا في طريقي خارج البيت لأني ذاهبة لأفعل شيئا ضد إرادتي.

أحمد سامي عبد الله.. الفن بعد الستين : أنا ابن «بابا شارو» و«ماما سميحة»

كان وهو صغير يقف أمام أضواء كاميرات السينما، ورغم ذلك فنحن لم نره إلا «عجوزا» يذكرنا بعبد الوارث عسر الذي لم يره الجمهور شابا قط.. إنه أحمد سامي عبد الله أو «عم مجاهد» بائع الفول في فيلم «الكيت كات» وأبو عادل إمام في فيلم «المولد» وهو الرجل المسن في كل الأعمال السينمائية والتليفزيونية، إنه الوجه الجديد والممثل الوحيد الذي بدأ حياته الفنية بعد الستين.

أحمد سامي عبد الله، أكبر الممثلين سنا بلا منافس خاصة بعد وفاة الممثل الكبير محمد توفيق، ومن الطريف أنه بدأ حياته الفنية مع «بابا شارو» في برامج الأطفال في الإذاعة. والتي كان يحلم أن يعمل بها مذيعا، وكان أول أدواره هو دور الأسد في مسلسل «كليلة ودمنة» عام ١٩٤٧ . وظل يعمل ممثلا في برامج الأطفال حتى بعد أن التحق بالجامعة في كلية الآداب قسم التاريخ. وبعد الانتهاء من الدراسة تقدم لامتحان المذيعين، وفي كل مرة كان ينجح ولكن لا يتم تعيينه لأن الثورة «على حد قوله» كانت قد قامت ورجالها كانوا يفضلون أهل الثقة أكبر من أهل الخبرة.

وأثناء تلك الفترة عمل أحمد سامي مدرسا للغة الإنجليزية في بعض المدارس الخاصة، ولكنه أبدا لم ينس حلمه وفي عام ١٩٥٩ ، حين تم افتتاح التليفزيون المصري تقدم ليعمل موظفا فيه، وكان من الطريف أيضا أن يعمل مع «ماما سميحة» في برامج الأطفال مرة ثانية، فبدأ معدا ثم مساعدا للمخرج ثم مخرجا إلى أن وصل إلى منصب مدير عام برامج الأطفال في التليفريون المصري حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٩٠ .

وبعد أن انتهت أعباء الوظيفة الإدارية تذكر أحمد سامي الحلم وأتاه التمثيل متأخرا، ولكنه في النهاية أتاه فهذا هو المهم.. وأعتبر عم أحمد أن الله قد كافأه بالتمثيل الذي أصبح به مشهورا والناس يسلمون عليه في الشارع وكأنه تعويض عن درجة وكيل الوزارة التي كان يستحقها ولكنهم حرموه منها في التليفزيون، بينما هو يرى الآن نفسه أحسن من مائة وكيل وزارة، فيضحك وتظهر الأسنان الثلاث الأمامية في فمه والتي لم

يبق الزمن غيرها.

وحين أسأل عم أحمد عن الشهرة التي أتته كبيرا، وهل يشعر بالرضا عن حظه برغم موهبته فيقول: الحمد لله أنني أحصل على أدوار مهمة حتى لو لم أكن نجماً فأنا الممثل الوحيد الذي أستطيع أن أقوم بدور الكهل.

ثم حكى لي عن قصة الفتاة التي قابلها عند ضريح السيدة نفيسة، والتي ظلت تبكي وتنظر إليه وحين سألها عن السبب قالت إنه يذكرها بوالدها، فهو كما يقول ممثل يذكر الجمهور بالأب والحب، لذا فالجميع يحبه وهذه ميزة في أدواره لا يحصل عليها الممثلون الصغار الذين من الممكن أن تحبهم في دور ثم تكرههم في دور آخر.

ورغم أن عم أحمد بدأ كبيرا فإنه لا يجد صعوبة في التمثيل، فهو - كما يقول - مارس الكتابة والإخراج والتمثيل لذا فهو ممثل مريح جدا بالنسبة للمخرجين يقدره كل من يعمل معه، ويتذكر حين قدم دورا مع المخرج عاطف الطيب الذي قال له: كيف لم أتعرف إليك منذ زمن؟

ورغم أن الجمهور يتصور أن النجوم فقط هم الذين يملكون حق قبول أو رفض الأدوار التي تعرض عليهم، فإن عم أحمد يثبت غير ذلك فهو يرفض بعض الأدوار التي تعرض عليه لأنها - على حد تعبيره - تفتقر للحشمة والأدب، فأتعجب كيف يكون دور رجل كبير فيه قلة أدب! فيقول: حين يعرض عليّ دور مطلوب مني أن أظهر فيه بملابسي الداخلية فقط أو دور رجل يعمل في فرقة مع راقصة، فهذه بالنسبة له أدوار «قلة حياء ومسخرة» ولهذا يرفضها حتى لو كان في احتياج لأجره منها.

وعم أحمد سامي يحب أن يشاهد محمود المليجي وعادل أدهم وأشرف عبدالباقي، ويرى أن أفلام السينما الحديثة - للأسف - تفتقر المعالجة السينمائية الصحيحة، رغم أن بعضها يحمل موضوعات جميلة مثل «فيلم ثقافي» أما مسلسلات التليفزيون فيرى أن عيبها الأكبر هو الإطالة والمط، فمعظم المسلسلات يجب أن تكون سبع حلقات ولكنهم يمطونها لتصبح خمسًا وثلاثين حلقة، والحوار أقرب إلى حوار الإذاعة وهو عيب كبير فالصورة تغني عن الكلام الكثير، ويضيف أن كثيرا من الكتّاب والمخرجين في التليفزيون يتفننون في تعذيب المشاهد بالأحزان والصراخ الكثير في أعمالهم.

ومن الغريب أن يكون هذا رأي ممثل معظم أدواره تحمل كمًّا من الأسى بالنسبة للمشاهد، فهو غالبا الرجل الذي يثير الشفقة ويبعث على الحزن، لذلك سألته: هل يكره هذه الأدوار ويتمنى أن يمثل غيرها؟ فقال وهو يضحك: مشكلتي دائما أنني أموت في نهاية معظم الأعمال الفنية التي أقوم بها، وأتمنى أن أمثل دورا لم أحصل عليه أبدا وهو دور رجل يحب امرأة! حبيب يعني!! كما أنه يحب الكوميديا ولكنه يرى أنها الآن عبارة عن «شقلبة» لا تليق به، أما ممثلات هذا الجيل مثل حنان ترك ومنى زكي وغيرهما فهن يلعبن ولا يمثلن، أما عايدة عبد العزيز وسميرة عبد العزيز فهما مثال للممثلات فعلا.

- أما عن المخرجين فيقول أحمد سامي: إنه لا يكتشف قيمة المخرج إلا بعد أن يشاهد العمل متكاملا وليس أثناء العمل معه، لذلك فهو يرى في داود عبد السيد وعاطف الطيب أروع الذين عمل معهم.

يوسف فوزي.. الشرير الأنيق : أمه إنجليزية وأبوه مصري

هو شرير وأنيق عادة ما يكون أحد أفراد عصابة أو سكرتير رجل أعمال، نراه أحيانا في السينما ولكننا حفظنا وجهه من خلال مسلسلات التليفزيون، قد يعجبنا ولكننا عادة لا نعرف اسمه بين عشرات الأسماء الموجودة على الشاشة، جذب انتباه الكثيرين في مسلسل «أوبرا عايدة» ربما لأنه أُعطي فرصة أن يؤدي شخصية مختلفة عما تعودناه، وأدى مشهدا قال لنا فيه: أنا أعرف كيف أمثل لو أعطوني الفرصة.. إنه «جو» أو يوسف فوزي.

يوسف فوزي ككل البشر له حكاية، وقصته مع التمثيل أكبر كثيرا من أدواره، فهو ابن لسيدة إنجليزية تعلمت التمثيل في المعهد الملكي البريطاني ولأب مصري كان مهندسا شهيرا للصوت في ستديو مصر، نشأ محبا للتمثيل وإن لم يدرك أنه يستطيع أن يحترف هذه المهنة، فدرس في كلية التجارة قسم إدارة الأعمال وتخرج ليسافر إلى بلد أمه ويعيش سنوات يعمل في مجال الفنادق ثم يعود ثانية إلى الوطن ليعمل في مشروعات العائلة في مجال المطاعم، ولكنه يشعر بأن العمل لم يعد في حاجة إليه فالأمور تسير على ما يرام فيبحث عن شيء آخر يستغل مخزون الطاقة بداخله، فيعمل مع طارق نور في مجال كتابة الإعلانات لمدة ١٨ عاما، وحين يكون على أعتاب الأربعين يجد فرصة ليدخل بها عالم التمثيل الذي أحبه طويلا، فيترك كل شيء من أجل أن يعيش ألف حياة فوق حياته

فالتمثيل من وجهة نظره يسمح لصاحبه بأن يعيش مرة كطبيب ومرة كمجرم ومرة كرجل أعمال وأخرى كمجنون أو وزير.. فهو عالم مبهر.

تمنى يوسف أن يكون نجما في يوم ما، لكنه كان يعرف أنه لن يكون كذلك أبدا، لأنه بدأ التمثيل كبيرا في السن إلى حد ما وكان هذا عائقا أمام النجومية التي حلم بها ليس لكي يشير إليه الناس في الشارع ولكن لكي يحصل على أدوار مكتوبة بشكل جيد ومهمة. فهذه هي ميزة النجومية بالنسبة لجو. أما مساوئها الأولى بالنسبة له فهي؛ سحب بساط الحرية من تحت قدم أصحاب النجومية فلو سرت في الشارع وجدت الناس يحملقون فيك وهو يكره هذا الإحساس بشدة.

ويرى جو أو يوسف أن النجم لديه رفاهية الخطأ، فدوره كبير إذا أخطأ في مشهد أو لم يكن على درجة جيدة، فأمامه مشاهد أخرى يجوِّد فيها، أما الممثل صاحب الدور الصغير فهو محروم من هذه الرفاهية فالخطأ بالنسبة له قاتل لأن مساحة الدور صغيرة فقد يحكم عليه بالإعدام كممثل لمجرد مشهد واحد سيئ.

أجمل ما في يوسف أنني شعرت طوال جلستنا بكم كبير جدا من الصدق في كلماته، فحين سألته: هل تشعر بأن موهبتك تستحق مكانة أكبر مما حصلت عليه؟ قال: «في وقت ما منذ سنوات مثلت دورا جيدا في فيلم مع نادية الجندي، وقتها قال لي المنتج محمد مختار: «أنتظر لك مستقبلا مبهرا ولكن عليك أن تحافظ على نفسك» فجلست أنتظر في البيت وكلما أتاني عمل رأيته ضعيفا أرفضه، فكانت النتيجة أن من رفضت أعمالهم استكثروا على من في وضعي - وهو ليس نجما - أن يرفض، وكأنه ليس من حق الممثل أن يرفض دورا إلا لو كان نجما. وكان لسان حالهم يقول: من تكون حتى ترفض؟ وبالتالى أصبحت في القائمة السوداء لدى كل من عرض عليّ دورا ورفضته ثم بعد فترة وجدت أنني إذا انتظرت لدور في عمل جيد سأنتظر ربما سنين طويلة، وقد لا يأتي وسألت نفسي ماذا أنتظر؟ «بلا نيلة» إذا كان أحد السيناريوهات التي رفضتها قبلها فريد شوقي ونور الشريف فمن أكون لكي أقول أنه سيناريو سيئ. وقتها أدركت إنه إذا عرض عليّ «خمسة أعمال فعليّ أن أقبلها وأدعو أن يكون واحد منها جيدا، أما البقية فمن أجل إثبات الوجود والمال ليس إلا، فاكتشفت أنني «أداة» حتى تمثيلي ليس في يدي فالمخرج هو صاحب الحق في حركتي وبالتالي لا معنى للرفض أو القبول،

المعني الوحيد والهدف هو أن أحاول تقديم أفضل ما لدي في حدود المعروض علىّ ولكنـي راض عن نفسي في النهاية لأنني أمثل دون أن أضطر إلى الجلوس في مكتب متج طوال اليوم، أو أرتبط بشلة أو أتملق أحدا فأنا أعمل بالشكل الذي أحبه وأحترمه وليس الدور الذي أحبه، وهذا أحيانا يكفيني ويعوضني كثرة الأدوار المعروضة.

- لماذا إذا ترفض بعض الأدوار؟

لأنني لست محترفا ولا أعيش على فلوس الفن، فلذا أرفض بسبب الأجر، لأنني أكره نفسي حين أتنازل عن جزء من أجري، أشعر بمهانة وهذا هو السبب الوحيد لرفض بعض الأدوار حاليا.

- مثلت أمام عدد كبير من النجوم، من منهم صعد بأدائك وأحببت التمثيل معه؟

أحمد زكي عبقري اشتركت معه في «النمر الأسود» إخراج عاطف سالم و «الهروب» إخراج عاطف الطيب، ثم أخيرا «أيام السادات» أحمد زكي ممثل «مخيف» وكذلك يحيى الفخراني أرقبه وأعجب بأدائه حتى لو كان وهو يمثل أمامي، أما عبد الله غيث – رحمه الله – فقد كان قطار أداء يكتسح كل من أمامه، هؤلاء الممثلون يأخذونني في التمثيل إلى عالم آخر ما حلمت به ودفعني إلى هذه المهنة.

- ما آخر أعمالك حاليا؟

أقوم بدور أبو مصطفى قمر في فيلم «حبك نار» ونيلي كريم وإخراج إيهاب راضي، وكذلك مسلسل «أصحاب المقام الرفيع» مع حسين فهمي ولدي عدد من المسلسلات لم يتقرر بعد متى ستبدأ.

هل أنت راض عن نفسك وقدرك في الفن؟

بالتأكيد فأنا سعيد بحياتي هكذا، ربما لو كنت أصغر سنا لكنت تمردت، لكني بعد سنوات قليلة سأبلغ من العمر ستين عاما فكيف لا أرضى؟ إنها الحكمة. حكمة الحياة حينما تكبر في العمر فترضى وما أجمل الرضا.

أحمد كمال.. يخجل منه داود عبد السيد

حينما ذكرت اسمه للمخرج داود عبد السيد قال: هذا ممثل مبهر، أشعر بالخجل حين أعرض عليه دورا صغيرا، ولكني أكون على ثقة بأنه سيقدم دورا كبيرا حتى لو ظهر في

مشهد واحد، إنه أحد هؤلاء الذين يعيشون على هامش الوسط الفني، هو زوج «روايح» في فيلم «الكيت كات» والأستاذ عبد السلام المدرس العاشق في فيلم «أحلى الأوقات» وهو الطبيب في فيلم «بحب السيما».. واسمه الحقيقي أحمد كمال.

وحين يتحدث عن نفسه يقول: «إنه إنسان حر يعيش حياة سعيدة جدا يحسده عليها الكثيرون» فهو لا يفعل إلا ما يحبه وكثيرون من جيله يحسدونه على الحياة التي يعيشها، فهو كثير الأسفار يعمل مدربا للتمثيل في كثير من ورش الممثل. عمل في أمريكا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا، يعيش ليتعلم ويعلم، ويعود أحمد كمال إلى الوراء ليحكي لي عن بداياته فيقول: إنه تعلم وهو طفل على يد أستاذ نوبي كان رئيسا لفريق الكشافة، وكان شخصية آسرة، علمه كما علم غيره التمثيل وكان يعلمهم أن الحياة اختيار صاحبها وبلا وجهة نظر لا تستطيع أن تعيش، لم يكن أحمد الصغير وقتها يدرك قيمة هذه الكلمات ولكنها شكلت وجدانه الذي يحيا به حتى الآن، وطوال رحلة أحمد كمال من الطفولة حتى التحاقه بكلية الآداب قسم التاريخ في منتصف السبعينيات كان هناك أساتذة له يؤكدون صحة ما قاله المعلم الأول، وارتبط التمثيل عند أحمد بالسياسة وبدور المسرح في التأثير على المجتمع والتأثر به، ولهذا لم تكن عيونه تتجه نحو متطلبات السوق من الممثل فكوّن فرقة مسرحية تعرض في الشوارع وفوق الأسطح، فهو يرى أنه كان مناضلا من خلال الفن الذي تقدمه في ذلك الوقت ولم تكن عينه على الشهرة ولا المال ولا التصوير على أغلفة المجلات.

بعد انتهائه من الجامعة عمل ممثلا في الثقافة الجماهيرية، هو وكثير من جيله الذي يقول عنه: إن الزمن داس على كثير منهم وأكلهم، وكان من بين جيله أحمد عبدالعزيز وطارق الدسوقي وصلاح عبد الله ثم انفرط العقد وانتقل بعد سبع سنوات إلى مسرح الطليعة الذي مازال ممثلا به حتى الآن.

وأستوقف أحمد كمال برغم تدفق حديثه، فأنا أتعجب كيف يمكن أن يدخل أحد عالم التمثيل والفن دون أن تبهره الأضواء ودون أن يبحث عن دور في فيلم أو صداقة مع منتج أو أن «تزغلل» عيونه الشهرة، فيبتسم بهدوء شديد ويقول: إن الفن مسئولية فالفنان تماما كمورد الأغنية لمدارس الأطفال عليه أن يتأكد من أن طعامه ليس فاسداً وإلا كان مجرما، والفنان مورد لغذاء الروح فكيف يمكن أن يقبل غذاء فاسدا لشعب بأكمله، ولو

عاد بي الزمن ثانية لن أفعل إلا ما فعلته.

وأحمد كمال أحد مؤسسي فرقة «الورشة» وهي فرقة يقول عنها: إنها فرقة معروفة جدا لأي مسرحي ولها ثقل دولي وموقع على الإنترنت، ومثلت مصر في عشرات وعشرات من المهرجانات الدولية، وأن أي أجنبي يترك مطار القاهرة يعرف جيدا الفرقة ويسأل عن عروضها، فهي جزء من برنامج أي سائح في مصر ولها جمهور كبير محلي، ولكنه ليس الجمهور المعروف لدى وسائل الإعلام ولا الذي يسعى إليه منتجو السينما إنه جمهور عريض ولكنه أيضا غير مشهور، والفن مثل البحر فيه أمواج على السطح يراها الجميع ولكن له أيضا قاع صاخب لا يعرفه إلا من ينزل إليه. وأعترف بأنني كلما غصت في حياة هذا الفنان وجدت كثيرا من الدهشة التي أعتقد بأنكم ستشاركونني إياها، فأحمد كمال لا يمتلك جهاز تليفزيون في بيته لأنه يكره أن تختاره البرامج التي يشاهدها، بل يفضل أن يكون الاختيار له فيستعيض عنه بجهاز الفيديو الذي يشاهد عليه ما يود. ولكنه أحيانا يتابع التليفزيون في رحلاته الخارجية فهو كثيرا ما يعيش في الفنادق، وكراهيته لجهاز التليفزيون تتبعها كراهية شديدة للتمثيل في المسلسلات إلا أنه في بداياته شارك في عدد من المسلسلات كانت مختلفة عما يقدم، مثل مسلسل «الكتابة على لحم يحترق» لمحفوظ عبد الرحمن وإخراج الفلسطيني عباس عباس أرناؤوط، مسلسل «الحياة مرة أخرى» تأليف رءوف توفيق وإخراج سامي محمد عى، واشترك في عدد من السهرات التليفزيونية التي تعرض في البرامج الثقافية وبالتالي جمهورها محدود وخاص.

أما عن السينما وكيف بدأت رحلة أحمد كمال معها فيقول: كان جمهوري في المسرح بعض السينمائيين المهتمين مثل داود عبد السيد وصلاح أبو سيف ومحمد خان ويوسف شاهين وخيري بشارة، وهؤلاء كانوا يرشحونني للعمل في أفلامهم بعد مشاهدتهم لي على المسرح، أحيانا حين أقابل نماذج متماسكة في هذا الزمن، وفي عالم الفن لا أستطيع أن أمنع نفسي من طرح سؤال قد يكون فيه كثير من الخصوصية، ولكني لم أستطع المقاومة فقلت لأحمد كمال: ألا تواجه أزمات مالية؟ ألم تدفعك الحاجة أحيانا إلى قبول أدوار لا تتناسب مع قناعاتك ولكنك مضطر إليها لأننا في زمن الاضطرار؟

فيقول: «أعمل بشروطي فالأهداف الصغيرة كالشهرة والمال لا طموح لي إليها، الناس

ينهارون ويبيعون أنفسهم نتيجة الجهل، وهو يخيف صاحبه فيجعله يفعل أي شيء وأنا لست جاهلا ولكني أعترف بأنني أحبط أحيانا وأعيش أزمات مالية أحيانا ولا أشعر بالبطولة، لكن في النهاية متعتي وعملي يوقفاني على قدمي ثانية. وكلما كنت أجد أزمة مالية أحلها بالعمل كمدرب للتمثيل، وأحيانا أخرى قدمت في إيطاليا لقناة ART برامج ثقافية فنية وحاليا أدرب على التمثيل في مكتبة الإسكندرية، وكل هذا يؤمن لي حياة معقولة ماديا.

- كيف يتعامل النجوم مع فنان موهوب لكنه صاحب أدوار صغيرة؟

- كان سؤالي لأحمد كمال الذي قال:

النجوم قدر كبير من الذكاء لذا لا تتصوري أن النجم لا يقدر ولا يعرف قيمة من أمامه، فأنا نجم في منطقة خاصة يعرفها النجوم.

- مثلت حوالى ١٢ فيلما وعدداً كبيراً من المسرحيات، والغريب أنك دائما تأخذ في السينما دور المكتئب أو الشخصية المركبة والمهموم، بينما على المسرح كثيرا ما تقدم الكوميديا فلماذا تم سجنك سينمائيا في هذا الدور؟

- قد تكون هذه الأدوار تحتاج إلى ممثل أقدر على الأداء أكثر من غيرها وتحتاج إلى تدريب طويل ولأنني مدرب فأنا جاهز بالنسبة لها.

لم يحصل أحمد كمال على جائزة سينمائية طوال حياته، ولكنه يرى أن جائزته الكبرى أنه لا يضطر إلى قبول ما يرفضه من أجل مال أو شهرة، فهو حر ولو سلبت منه هذه الحرية بالتأكيد سيكره نفسه، وحتى حين يعاني من أزمة فإنه يجد جمهورا يقابله يربت عليه مثل تلك السيدة التي قابلته يوما في أحد الشوارع وقالت له: «أنت ممثل جميل محترم ليت لدينا خمسين مثلك» واختفت في الزحام ولم تنتظر الرد فكانت وكأنها تقول له تمسك بما تفعله، ولذا فهو لا يقبل إلا ما يراه صالحاً في عمل صالح، ولديه القدرة على الرفض وهو بمنطق السوق شيء غريب والأغرب أن أكثر ما يحزن ويغضب هذا الممثل حين يكتب النقاد عن فيلم مشارك فيه ويشيدون بدوره ولكنهم يذيلون الإشادة بالتحسر واعتباره ممثلا مظلوما لأنه لا يرى نفسه كذلك.

عثمان عبد المنعم.. يتمنى زيارة أحمد زكي

«دماء على الأسفلت» و «أحلام هند وكاميليا» و «الكيت كات» و «قلب الليل» و

«مستر كاراتيه» و «أيام السادات».. وعدد آخر من الأفلام يصل إلى مائة، وحوالي ٤٠ مسلسلا؛ هي رحلة هذا الفنان منذ ترك المنصورة. مسقط رأسه. وهجر التجارة التي ورثها عن أبيه لكي يأتي إلى القاهرة التي تتمثل أحلامه فيها، ولكن أحلامه كانت تنصب على التمثيل وكانت بدايته المسلسل الإذاعي «ليلة القبض على فاطمة» الذي تحول إلى فيلم بطولة فاتن حمامة، وهي بطلة المسلسل الإذاعي نفسه والتي طلبت أن يقوم عثمان عبد المنعم بدوره نفسه في الإذاعة، فكان هذا الفيلم هو البداية أما آخر أفلامه فكان «كيمو وأنتيمو» بطولة عامر منيب.

اتصلت به لأجري معه حوارا فطلب مني أن أمهله أياما حتى يحضر لي صورا لأنه لا يحتفظ بأرشيف من أعماله، فأمهلته خمسة أيام ولكن القدر لم يمهله فحين عاودت الاتصال به ثانية. قالت لي أبنته: إنه رحل ولن يعود لقد توفي عثمان عبد المنعم دون أن أحاوره ودون أن يدري أحد. لم يمهلني القدر لأسأله عن حالة الرضا المستفزة التي كانت لديه كما حكت لي ابنته، ولم أسأله لماذا أصبح لا يشعر بالسعادة في التمثيل أخيراً ولم أسأله: هل حلم النجومية راوده في يوم ما؟ قالت لي أبنته: إن آخر أمنياته كانت أن يزور أحمد زكي لحبه الشديد له، فقد عمل معه في كثير من أفلامه، أما آخر اتصال له فكان من سخرية القدر اتصالاً مع الفنان يوسف داود المريض بالكلى وقد عرض عليه كليته، وهو يداعبه قائلا: لدي كليتان سليمتان مستعد للتبرع بإحداهما لك ولكن كليتي مسلمة فهل يقبلها جسدك القبطي!

واستطاع أن يضحك يوسف داود لحظات ثم انتهى الاتصال، لأن عثمان عبد المنعم قد توفي دون أن ينعاه أحد ودون حوار صحفي، تعجب أن يطلبه منه صحفي لأنه ليس نجماً.. عثمان عبد المنعم أحد هؤلاء الذين عاشوا كملح الأرض وحين ماتوا تحولوا أيضا إلى ملح الأرض.

«نجوم الظل»

مجلة نصف الدنيا - أغسطس ٢٠٠٤

أحمد عزمي .. ولد من مصر

هم يعيشون بيننا يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويلبسون كما نلبس ويمشون في الأسواق ولكننا نتصور أنهم ليسوا مثلنا.. لأنهم هؤلاء الذين يعيشون تحت وهج الضوء فنراهم أطيافاً وأحلاماً رغم أنهم يحترقون به، كلما قابلت منهم أحداً تتردد على مسامعي كلمات أحمد ناجي شاعر الرومانسية (فرح بالنور والنار معاً.. فطار للقمة محموماً وآبا).. هم هؤلاء الذين تستباح الكتابة عنهم في كل الأحوال والحديث عنهم بلا حواجز، يشاركوننا في حياتنا اليومية ونحن لانفعل مثلهم.

إنهم الممثلون في الأرض.. بعضهم نجوم وآخرون يدورون في فلكهم لكنهم في النهاية بشر، وأعترف أنني ترددت كثيراً قبل أن أنقل لكم هذه القصة خوفاً من أن يصنفها البعض بل الكثير في إطار أنها نميمة حول فنان أو فرقعة صحفية ولكنني جمعت أمري ونفضت عني الهواجس لأحكي لكم حكاية شاب صغير عرفتموه وأحببتموه، وتحول بعد شهر رمضان إلى نجم نشير إليه دون أن نعرف عنه سوى اسمه: أحمد عزمي الشهير بمحمود لطفي الجنايني والذي يبلغ من العمر ٢٤ عاماً ومسجل اسمه في ملفات معهد الفنون المسرحية في السنة الرابعة قسم تمثيل وإخراج.

فلتقرأوا الحكاية، لتعرفوا كيف وصل إلينا هذا الفتى من منطقة الظل إلى نقطة الوهج.. إنها رحلة قصيرة في عمر الزمن عمرها عقدان بدأت في إحدى حواري المحروسة حين رزق أحد عمال التصوير السينمائي بطفل أسماه أحمد، وتفتحت عيون الطفل على الحياة وستديوهات السينما حين كان يصحبه الأب معه إلى العمل، فكان يجلس

في أحد جوانب الاستديو المظلمة يرقب مـ حدث ويرى أباه واقفاً بالساعات حاملاً معدات التصوير يضيىء وجوه النجوم فيراهم كأجسام من النور، وكلما كبر الولد زاد عشقه بل انبهاره بتلك الأطياف إلا أنه كان محباً أكثر لمن هم على شاكلة أبيه هؤلاء الذين يعيشون في الظل ولكن ذاك كان حباً ممزوجاً بالشفقة في مقابل حب ممزوج بالانبهار، ولم يتوقف عقل الفتي الصغير عند هذا الفارق بل أخذته الأيام والسعادة حين بدأ المخرجون يطلبونه للعمل في بعض مسلسلات الإذاعة أو التليفزيون، وبدأ حلمه يكبر في أن يتحول إلى طيف من الأطياف الممزوجة بالنور، وأن يصبح نجماً مثل هؤلاء الذين كان يجلس ويراقبهم في الاستوديو، وكان من الطبيعي أن يلتحق الشاب بمعهد الفنون المسرحية ليكمل الإطار.

وفي المعهد قرأ إعلاناً يطلب ممثلين شباناً للقيام ببطولة فيلم سينمائي من إنتاج مكتب يوسف شاهين، فسارع إلى التقدم، فها هو الحلم قد اقترب من التحقيق ومن بين ٥٠٠ شاب استطاع الفتى أحمد ذو التسعة عشر عاماً أن يفوز بالدور والبطولة في فيلم (الأبواب المغلقة) الإخراج الأول والوحيد حتى الآن لعاطف حتاتة، وليقف أمام محمود حميدة وسوسن بدر بطلاً يناطحهما في دائرة الضوء، ويعرض الفيلم في عشرات المهرجانات الدولية وتصفق الأيدي اعترافاً بموهبة شاب ويحصل على جوائز عالمية في التمثيل، وحين يحضر الفتي مهرجان قرطاج السينمائي في ذلك الحين يتصور الجمهور إن أحمد عزمي هو نجم مصر الأول القادم حيث كان يعرض له ثلاثة أفلام (الأبواب المغلقة) و (أحلام المدينة) و (علامات إبريل) ويتم ترشيحه لجائزة أفضل ممثل رغم إن فيلم (أرض الخوف) لأحمد زكي كان يعرض في نفس المهرجان.. ومن تونس إلى فرنسا إلى هولندا وغيرها مهن بلاد العالم يطير الفتي مع فيلمه ليقابل بحفاوة وتصفيق واعتراف أهله وبلده بموهبته منتظراً عرض الفيلم في مصر والذي قررت الشركة المنتجة ذبحه حين عرضته لمدة أسبوع واحد في دارين للعرض قبل بداية شهر رمضان بأيام فيموت الفيلم والحلم ولا يشاهده الجمهور. ولا يعرف به أحد ولا يحصل أحمد عزمي على صك اعتراف من أبناء بلده بأنه موجود بل كما قال لي لم يعترف بي أحد كممثل حتى أمي لم تعترف سوى بأنني ابنها ولست ممثلاً.

ويظل الفتى في انتظار رنين التليفون لعل أحد يتصل به من أجل بطولة في فيلم أو مسلسل. ويطول الانتظار ويخبو وهج النجاح وكلمات الإطراء التي سمعها بكل اللغات، ومع الإنتظار لم يكن هناك حل أمام الشاب الصغير الذي عشق التمثيل إلا أن يفعل أبطال السينما التي تربي عليها حين كانوا يواجهون المشاكل، فعل مثل ما تعلم من شكري سرحان وعبدالحليم حافظ وفريد شوقي وشادية وغيرهم ذهب إلى بار أو خماره رخيصة في وسط البلد ليدفن أحزانه وإحباطه في كأس منّ الخمر بين مجموعة من السكارى لتتحول هذه الكأس التي يتجرعها إلى بديل للنجاح الذي حلم بتجرعه.. وبين ليلة وضحاها تتركز الحياة في زجاجة خمر رخيص وكأس ويتوه الفتى ولا ينقذه منها كل حين إلا دور صغير لا يتعدي عدة مشاهد في مسلسل مغمور بدور مغمور وفي داخل الإستديو يقابل إحباطاً أكبر فيحكي لي أنه كان يجلس من الثانية عشرة ليلاً حتى السابعة صباحاً في منطقة صحراوية قاحلة في انتظار وصول نجم أو استيقاظه من النوم ليمثل أمامه مشهداً من أربع جمل ويتقنن المنتجون ومساعدو الإخراج في إذلال هؤلاء المحرومين من شهرة النجوم وتدللهم وأحمد واحد منهم أو كما يطلق على نفسه أحد البلوريتازيا في الوسط الفني أي الطبقة العاملة الكادحة وهو الذي تصور وهو في التاسعة عشر أنه نجم وبطل اعترف به العالم، وتمر الأيام بأحمد ما بين لحظات سكر ودفن فيها أحزانه، بين لحظات أمام الكاميرات تؤكد أحزانه وإحباطه.

وعلى نفس وتيرة أحداث الأفلام السينمائية المصرية يأتي الحب فيقع أحمد في حب فتاة تعمل في تصميم الأزياء لتكون له طوق النجاة الأول ولتقنعه بأنه مريض ويحتاج لعلاج للتخلص من إدمان الخمر.. وكما يحكي لي عن هذه اللحظة فيقول: جلست أمام زجاجة الخمر ونظرت إليها فوجدت أن حياتي أصبحت تتمحور حولها. ثم نظرت إلى نفسي في المرآة لأجد أن وزني زاد وأن شكلي تغير، ولم أعد أصلح للوقوف أمام الكاميرا واكتشفت أنني أدمر حياتى، وسألت نفسي: أيهما أكثر أهمية زجاجة خمر أم التمثيل؟ وكانت الإجابة طبعاً التمثيل. فذهبت إلى طبيب للعلاج وأنا مصمم على النجاح في شيء فإن لم يكن التمثيل فليكن استعادة نفسي.

ويغلق أحمد على نفسه الأبواب لمدة ستة أشهر ليخرج معافى النفس والبدن، وتأتي إليه

هدايا السماء التي أرسلت له من قبل الحب فيأتيه دور صغير لكنه مؤثر في مسلسل «كناريا» الذي كتبه أسامة أنور عكاشة وأخرجه إسماعيل عبدالحافظ، ثم دور أكبر في مسلسل «الدم والنار» الذي كتبه وحيد حامد وعرض في رمضان، وفي ذات الوقت ترشحة رانيا فريد شوقي لمجموعة العمل في مسلسل «عباس الأبيض في اليوم الأسود» حيث يقابل يحيى الفخراني الذي تمثل حياته بؤرة ضوء ليصبح اليوم الذي عرض فيه المسلسل هو اليوم الأبيض في حياة أحمد عزمي ففجأة بين ليلة وضحاها لا ينقطع رنين التليفونات حوله ويسأل عنه حتى من لم يعره بالاً، مثل مكتب يوسف شاهين الذين اتصلوا به مؤكدين أنه ابن هذا المكتب وهذه الشركة، واتصل به عادل إمام في يوم لم يحلم به ليهنئه وكثير من النجوم الذين كانوا يبقونه بالساعات منتظراً ظهورهم ليمثل أمامهم مشهداً واحداً، ما بين ليلة وضحاها تحولت حياة أحمد عزمي من حال إلى حال فبعد أن حصل في دوره في عباس على سبعة آلاف جنيه في ٣٦ حلقة أصبحوا يعرضون عليه سبعين ألف جنيه للدور.

ويحكي عن هذه اللحظة فيقول: كأني صحوت من النوم لأجد نفسي أملك قوة كبيرة، ولكني محاط بالضباط بعد عباس الأبيض أسمع أصواتاً تقول: هناك الكثير من الأدوار في الطريق وهناك تليفزيون وسينما وبطولة وأشياء جميلة، ولكني أشعر أن عليّ الانتظار حتى أتخلص من هذه الحالة الضباطية لأخطو خطوتي القادمة في الوضوح، فأنا الآن أعاني من زحام داخل عقلي، ويضحك ويقول: «تصوري دلوقتي لما كان عسكري بيشوفني بيفتح لي الإشارة لكي أمر ولكني خائف لأن طعم النجاح قد يكسر البعض كما أكسرني الإحباط، «ويضيف» تخيلي إن بعض أصدقائي من الوجوه الجديدة بعد دور واحد ناجح يتغيرون ولا يخرجون من البيت إلا بمكياج ويسيرون بالكوافير والماكيير، ولكني أنظر إليهم بخوف فقد تصورت يوماً أن دوراً واحداً يكفي أما أنا الآن أعتقد أنني تحصنت من هذا الوباء فالشهرة والحلم بها مسكرة كالخمر وأنا تعافيت من الاثنتين».

هذا جزء من القصة الحقيقية لمحمود الجنايني أو أحمد عزمي، أو أي اسم يحلم بتمثيله، مثل قصص كثيرة تحدث في حياة أهل الفن الذين نظن أنها سعيدة برغم كل شيء ولا نعرف عنها شيئاً وإذا عرفنا فإننا نصنفها تحت بند الفضيحة لأننا ببساطة مغرمون

بالكذب والنفاق والتجميل الاجتماعي، حتى أدب الاعتراف لدينا لا يجد له سوقاً رائجة إلا في إطار النميمة أو الفضيحة، ولكني أحلم بأن يكون اعتراف أحمد عزمي ونشري لهذا الاسم الاعتراف فرصة لكي نراجع أنفسنا حين نحكم على الآخرين وأن نحترم لحظات ضعف غيرنا.

ليس كل أهل الفن شياطين ولا هم بالملائكة ولكنهم مسئولون عن ترفيهنا، وفي خضم بحثنا عن التربية والسعادة الغائبة ننسى أنهم نفس بشرية ألهمها الله فجورها وتقواها فنحن لا نرى إلا المكياج والجمال والضوء والانبهار ولن أنسى أبداً وجه تلك النجمة اللامعة التي كنت أرى دموعها وبعد لحظات وقفت أمامي مبتسمة للكاميرا التي تصورها مع المعجبين وعيونهم تحسدها على ما هي فيه، أحلم أن نكون مجتمعاً أكثر تراحماً.. كما أحلم لأحمد عزمي، الممثل العاشق لكتابات جابرييل جارسيا ماركيز المغرم بصوت أم كلثوم وفضل شاكر يجلس بالساعات ليتدرب على تمرينات أداء روبرت دي نيرو وآل باتشينو.. أحلم له ولغيره من الصغار ألا تدوسهم الأضواء وألا يجلدهم تجار الفن الرديء فيتحول عملهم إلى نحتاية أو سبوبة.. أحلم لابن عزمي أحد عمال السينما الكادحين أن يصبح نجماً وساعتها ألا يتأخر على موعد تصوير، ويترك آخر – أصغر وأقل منه شهرة– في انتظاره، وأخيراً أحلم له باليوم الأبيض بعد أن مر عليه اليوم الأسود.

جريدة صوت الأمة – ديسمبر ٢٠٠٤

حكايتي مع أحمد زكي

اليوم وغدا ولبضعة أيام قائمة ستسعي كل الصحف وكل الصفحات الفنية للحديث عن أحمد زكي الذي يصارع الموت، اليوم وغدا سيهرول كل الصحفيين إلى كل من عرفه ليحكوا عنه، اليوم وغدا سيصبح أحمد زكي الأيقونة التي قد تفقدها السينما المصرية، مجموعة أخبار وحكايات وسيصبح من حق كل عابر سبيل أن يروي عنه حكاية، أما أنا فاليوم وغدا أشعر بكراهية شديدة لعملي الذي يجبرني أن أكتب في لحظة تحتاج إلى التوقف والتأمل لتحولها مهنتي إلى لحظة هرولة، لحظة سبق صحفي وخبر وموضوع تأكله ماكينات الطباعة، اليوم أنا مقهورة على التجرد من كثير من إنسانيتي لأكتب عن أحمد زكي الذي كان واحدا من زادوا عشقي للسينما وأكدوا لي أن السينما حياه كاملة لمن يقع في هواها وهو واحد من هؤلاء وأنا أزعم أني كذلك.

أحمد زكي لمن لم يعرفوه عن قرب ممثل مشهور محبوب أضاءت موهبته شاشة السينما، ولمن عرفوه إنسانا لاحترقوا ببعض من لهيب موهبته، وأنا بين هؤلاء وهؤلاء ولا احترقت به ولا شعرت بالاكتفاء من ضوء موهبته على الشاشة، أنا الآن فقط أملك في ذاكرتي بعضا من الحكايات عنه، وكلها حكايات تستدعي الابتسامة في لحظة حزن وغضب من مرض يرتع في جسد رجل اسمه أحمد زكي، وهل يصح أن نحكي عنه إلا بشكل سينمائي ونسرد حكايته كما يحب فقط بلغة السينما.

المشهد الأول (ليل داخلي)

المكان حجرة في فندق يقع على نيل القاهرة «أحمد يقف مرتدياً بيجاما زرقاء والجو يحمل

بعضا من البرودة ورغم ذلك يقترب من النافذة ويفتحها لتلفح وجهه نسمة هواء باردة».

أحمد يناجي ربه «يا رب إني قابل لكل شيء تكتبه عليّ» يا رب ارضني بما قضيته لي وأنت أعطيتني المرض وأنا متقبل لكل عطاياك»، «يا رب الموت حق ومهما كان فأنا سعيد وراض يا باسط».

- يغلق أحمد الشباك ويتجول في الحجرة وهو صامت ويبدو على وجهه الارتياح ثم يتجه إلى سريره لينام.

لحظات ويصرخ أحمد من الألم «قطع» صوت سيارة الإسعاف وأحمد محمول على نقالة إلى عربة الإسعاف، والكاميرا تظهره ناظرا إلى السماء في لقطة متوسطة.

أحمد: ماتبسطهاش قوي يا رب «مقلدا عبد السلام النابلسي في مشهد الملوخية في شارع الحب».

المشهد الثاني (نهار خارجي)

أمام مسرح الجمهورية بوسط البلد إعلان كبير على باب المسرح لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي وصورة أفيش لفيلم السادات بطولة أحمد زكي، تتوقف سيارتي أمام المسرح في طريقي لإدارة ندوة الفيلم «قطع».

(نهار داخلي)

هرج ومرج من قبل العاملين بالمسرح، أستوقف أحدهم للسؤال أنا: هوه الفيلم وصل؟

(متأففا)

- الموظف: ليه مين خضرتك؟

أنا: أنا الصحفية اللي حتدير الندوة.

الموظف يكاد يجرجرني: يعني أنت من المهرجان الحمد لله تعالي بسرعة والنبي علشان تدخلي المكتب ده. أصل أحمد زكي جوه ومحدش قادر يدخل عليه «قطع».

نهار داخلي، أمام باب مكتب مدير المسرح يقف مجموعة من الموظفين وهم في حالة فزع، أصوات عالية تصدر من داخله والأيدي تدفعني دفعاً إلى الداخل وهم يفتحون

الباب ثم يقفلونه من ورائي.

أحمد صارخا في وجهي: الساعة دلوقت عشرة وربع، وعرض الفيلم كان مفروضًا يكون الساعة عشرة وأنا هنا وجيت الفيلم على ما قولتي من الساعة تسعة!!

لقطة كبيرة لي وأنا أهم بالرد ولكنه لا يترك لي فرصة لالتقاط أنفاسي!!

أحمد: فين رئيس المهرجان: فين وزير الثقافة، فين الضيوف اللي قالوا إنهم عايزين يشوفوا الفيلم، فيّن يا مهرجان بلدي اللي بتعملوه للسينما المصرية ولممثل باع هدومه علشان فيلم.. فين.. فين، أنا واخد الفيلم وماشي مش هعارضه.

«قطع» أُمسك بتلابيبه وأصرخ.

لا يمكن يا أستاذ لو جه مُشاهد واحد لازم تحترمه ومش حتاخد الفيلم!

ويستمر العراك بيننا حتى يصل إلى الذروة.

أحمد: عارفة لو كنت مراتي كنت قتلتك.

أنا: ومين قال إن أنا ممكن أتجوز واحد زيك.

سكون كامل. ثم ينفجر في الضحك بعد أن كاد أحمد زكي يضربني لأن مهرجان القاهرة لم يعط مجهوده الاحترام الذي يستحقه.

المشهد الثالث (نهار داخلي)

حجرة أحمد زكي في مستشفى دار الفؤاد بها منضدة عليها فول وطعمية ويصل طعاما للإفطار، ويشارك أحمد في المشهد محفوظ عبد الرحمن صديقه الأثير ووطني الصديق أيضا لأحمد، كلوز أب على وجه أحمد وهو يتحدث دون توقف ويأكل، الكاميرا تبتعد لتصور الأصدقاءِ الثلاثة ثم تخرج لتصورهم من خلال النافذة. يخفت الضوء قليلاً على اقتراب فترة العصر، وأحمد مازال يتحدث ويأكل لتصور لنا الكاميرا المائدة وقد اختلفت عليها أصناف الطعام بطة وملوخية وأرز. «أحمد زكي لم يلتزم في حياته أبدا بنظام أو طعام أو دواء، وتلك كانت أكبر مشكلات الأطباء المتعاملين معه».

المشهد الرابع (ليل داخلي)

حجرة أحمد زكي في المستشفى، أحمد يجلس وحيدًا يتحدث في الموبايل:

أحمد: يا أخي مش حاجة غريبة إني آخر ثلاثة أفلام عملتها كانت على شخصيات حقيقية ماتت وعذبتني بعد موتها «فالأول كان ناصر ٥٦»، قطاع الإنتاج فيها أكل جزءاً من فلوسي ويعدين «السادات» اللي بعت هدومي وكل ما أملك علشان أنتجه وفي الآخر «حليم» اللي دوخني السبع دوخات من علية شبانة لمحسن جابر لإسعاد يونس لغاية ما جاني السرطان، وقال بعد كده أمثله. والله حكاية غريبة جدا لو السينما عملتها الجمهور حيقول أونطة «يضحك أحمد وقد بدا عليه الشحوب» لكن أنا برضه لسه حعافر مع حليم لما أشوف حغلبه زي ناصر والسادات ولا هو اللي حيغلبني» وحتى لو حليم غلبني حأكون مبسوط لأن اللي قدر يغلبني واحد بس فنان يعني مش سياسي شفت بقه إن الفن أقوى من السياسة. «قطع»

المشهد الأخير (نهار خارجي)

سيارة الرئيس تغادر مستشفي دار الفؤاد وعشرات الكاميرات تصور عشرات الفنانين على باب المستشفي لتتحرك الكاميرا إلى داخل المستشفي، صاعدة إلى الدور الأول ثم تتجول بين الحجرات حتى تصل إلى باب يفتح أمامنا لنري أحمد زكي يرتدي ملابسه على عجل، وقد استرد كثيرا من وزنه لتصاحبه الكاميرا ما بين لقطة مكبرة وأخرى متوسطة.

أحمد ياللا يا سمير، أحسن نتأخر على التصوير، تصاحب الكاميرا أحمد وهو ينزل السلم في طريقه إلى خارج أبواب المستشفى والفنانون يحيطونه. «قطع».

المشهد بعد الأخير (ليل – خارجي)

لقطة بانورامية من أعلى لدار سينما يقف حولها المئات تنزل الكاميرا لتتجول بين الوجوه حتى تصل إلى وجه أحمد زكي واقفا ينظر إلى أفيش فيلم «حليم» مكتوبا عليه الافتتاح اليوم.. «قطع».

كل مشاهد هذا الفيلم حقيقية وتطابق الواقع عدا المشهد الأخير الذي لم يخطه القدر بعد، ولكني قررت أن أكون سابقة للقدر على الأقل بالأحلام، فتلك هي السينما التي يحبها نزيل الغرفة ١٢٢٩ في مستشفي دار الفؤاد والتي نحبها جميعا، لأنها تصور الحياة نعم ولكن ببعض التصرف من صانعيها تحقق لنا ما نعجز أحيانا عن تحقيقه في الواقع، ولكن ربما، ادعوا معي أن تكون النهاية التي كتبتها هي نهاية فيلم نتمنى أن يطول اسمه أحمد زكي.

جريدة صوت الأمة – مارس ٢٠٠٥

السياسة التي كسرت قلب هيفاء وهبي

حين يتوقف صوت الغناء في بيروت فهناك خطر، وفي بيروت حين يستبدل الجيتار والعود بالبازوكا والكلاشينكوف فهناك خطر كبير، وحين يختفي صوت فيروز أمام أصوات الانفجارات على صوت دبات أقدام راقصي الدبكة تدرك أنه قد أن لنا جميعاً أن نشعر بالخطر. أمكتوب على بيروت صوت البارود أم أنه الحسد؟! أمكتوب على جبين الصبايا هناك الخوف أم هو قدر؟

هذا قليل مما دار في ذهني وأنا أرى وجه فتاة من علامات بيروت ترتدي السواد وفي وسط صدرها صورة لغائب حاضر في عالم السياسة وهو رفيق الحريري. ومن مفارقات القدر أن تكون في القاهرة لتعزي في غائب حاضر أيضاً، ولكن في مجال الفن أحمد زكي. صبية من أجمل ما أنتجت بيروت في عالم لنساء اتفقنا أو اختلفنا معها فيما تقدم من فن اسمها هيفاء وهبي.. جلست إليها فما كانت كما أراها على شاشات الفضائيات شعلة من الأنوثة مهما اختلفنا ثانية حول ما تقدمه، لم أر فيها إلا فتاة بيروتية عيونها حزينة بها كثير من الخوف. وكما في بيروت يتعاطون الحياة حتى الثمالة أظن أنهم يتعاطون السياسة كذلك، فهل من عجب أن أحاور هيفاء وهبي في السياسة التي سببت لها الحزن والخوف فأسألها عن الحريري الغائب الحاضر فتقول:

الحريري إنسان غال على لبنان، ترك فراغاً وجرحاً عميقينّ، فهو إنسان ظهر في حياتنا ليرتبط بعودة البسمة إلى الشفاه بعد حرب أهليه طاحنة، لم يظهر في الحرب ولكنه ارتبط بإصلاح ما أفسدته وخربته الحرب. لقد استطاع الحريري أن يوحد كل اللبنانيين، حتى في

موته تكاتفت كل التيارات السياسية المختلفة.

أجد صدى لصوتي وأسئلتي عند هيفاء فأزيد، ففي لبنان الآن حالة من الزخم السياسي وعدم الاستقرار والمظاهرات التي تعم كل مكان حتى إنها انتقلت كالعدوى إلى شوارع القاهرة، وكذلك أصوات انفجارات فما الذي تريده في هذا الجو فتاة كهيفاء وهبي؟

مثل كل لبناني أريد أن أعرف الحقيقة، أريد أن أعرف لمَ حدث مَا حدث؟ فحرام أن نعود إلى الوراء إلى سنين حزينة بعد أن صرنا استراحة لكل العرب، قلبي مكسور، فآمالنا في لبنان كانت معلقة على هذا الرجل، وضاع كثير من الآمال بمقتله فمن حق كل لبناني أن يسأل لماذا.

أكاد أنسى أني أمام صاحبة الأغنيات التي أرفضها وحكايات الفيديو كليب ويبدو لي وجهها كتلك الوجوه التي أراها على صفحات الجرائد وأمام الكاميرات التي تصور المتظاهرين في أنحاء بيروت، فأتذكر خبراً قرأته عن ترشيح اسمها لخوض الانتخابات النيابية والذي تصورته نكتة فإذا بي أعرف الحقيقة حين تقول:

بعض رموز الصحافة السياسية طرحوا اسمي لدخول الانتخابات النيابية ليس كما كتبوا من باب المزحة ولكنهم فيها قالوا إن هيفاء وهبي قادرة على زرع البسمة والسعادة والحياة في الحياة السياسية اللبنانية، وتم بالفعل سؤال عدد كبير من شباب الجامعات الذين وافقوا الرأي وأيدوا ترشيحي، ولكن بالنسبة لي طبعاً لم أخذ الأمر بجدية لأن الساسة كما أراها لا قلب لها وأنا ميولي إنسانية، فما الذي قدمه الساسة لنا غير لعبة تكتوي بها الشعوب. الفن أجمل وأطهر. ولكني أحمل كثيراً من الأمنيات والطلبات من الساسة كمواطنة عربية، فلو نَسِيَ الساسة العرب خلافاتهم وطموحاتهم الشخصية وتذكروا أن رقاب الشعوب معلقة بهم لكنا أحسن حالاً. قلبي ينفطر على طفل يفقد عائلته في حرب أو يهدم بيته لخلاف سياسي وكثيراً ما أفكر لو تصرف الساسة مثلي وغيري من الفنانين لكانت حياتنا أفضل، فأنا كفنانة كل ما أفكر فيه هو إسعاد جمهوري وزرع بسمة على الوجوه، فقط، لهذا فأنا سعيدة بعملي ولا أقبل عنه بديلا.

وعن نشرات الأخبار قالت لي: إنها تتابعها، نشرات الأخبار تؤذي مشاعري،

فمشكلتي أنني أحلم كثيرا بعكس ما أشاهده، أحلم بلبنان واحة ومصدر سعادة العالم، أتمنى أن يسود الهدوء ولكن نشرة أخبار واحدة كفيلة بتعكير حياتي وخوفي.

هيفاء وهبي هنا تحولت تماماً بالنسبة لي فتاة لبنانية فقط فأسألها ما الذي يخيفها من السياسة؟ فتقول: «خائفة أن نعود إلى الوراء، وقت الحرب كنت طفلة لم أدرك بشاعتها إلا حين كبرت وشاهدت أرشيف تلك الحرب، وعائلتي لم تبرح لبنان مثل غيرها من العائلات، فأمي رغم أنها مصرية لكنها رفضت الهجرة حتى لو كانت مؤقتة وقالت: كيف أترك منزلي وقد ربح من ظل مرابضا في لبنان رغم الحرب ودفع ثمن السلام غالياً، فكيف يريدون لنا أن نعود ثانية إلى سنوات سوداء من تاريخنا. أنا وغيري من اللبنانيين نحيا في خوف فلا نحن في حالة حرب ولا حالة سلم، لكننا مهددون كل ساعة بانفجار أو قنبلة. لبنان يجب أن يكون سيدا حرا مستقلا وأنا خائفة عليه.

ولأن لكل لبناني في الشوارع رأيا فيما يخص الوجود السوري ما بين مؤيد ومعارض فسألت هيفاء في أي معسكر تقع؟ أشاحت بوجهها وقالت: «لا تدخليني في مشاكل - تكرم عينك - فمن قبل كانت لي تصريحات تخص بعض الأسماء التي دفعت ثمن اشتراكها في الحرب وطالبت بالعفو عنها لكي ننسى سنوات الحقد، وجرت على هذه التصريحات تهديداً بلقتل والتشويه ولهذا فالآراء في السياسة لها أهلها وهم بالتأكيد أقل إنسانية من أهل الفن، لذا لا أريد أن أعلن رأيي لأني أخاف.

وفكرت أن من كثرة ذكر كلمة الخوف في حوارنا أني أخيراً مع فنانة ملء السمع والبصر، ورغم هذا فكم الخوف عندها لا حد له فقلت ربما هي السياسة أم أنها تخاف أشياء أخرى فسألتها عن ذلك فقالت: أخاف الزمن حين يقول لي الجمهور كفاية، ولهذا فأنا لا أظن أن علاقتي بالفن ستكون أبدية ولهذا فبعد شهرين سأطلق أول مجموعة إكسسوار باسمي ومن تصميمي، ومقر الشركة في جنيف وهي من تصاميم شرقية ولن تكون باهظة الثمن لكي يسمح لكل المعجبين بي وبها أن يرتدوها وكلها ستحمل حرف H.

وقبل أن أجمع أغراضي وأرحل عنها عز على أن أكتفي منها بحديث السياسة فقلت لها: أنت أكثر سيدة صنعت جدلاً في الفن والأخلاق فقبلك كان الاختلاف على مفهوم الغناء محدوداً، أما بعدك فقد فتحت بابا لم يغلق، فمنه دخلت كل فتاة تحلم بالشهرة والمال

من باب الغناء الذي أصبح سهلاً بعد هيفاء، فكانت كأنها أبواب جهنم التي خرج منها جيل يطلق عليه هيفاء وإخوتها، وأصبحت الأغنية ترى ولا تسمع.. هنا وهنا فقط تذكرت هيفاء الغناء في حديثنا وقالت: نعم فتحت بابا ولكني أغلقته ورائي ولست مسئولة عن التشويه في الغناء الآن، فأنا لم أطالب أحدا بالصعود معي على الروف. ولكن تلك حكاية أخرى وحوار آخر فأنا لم أرد أن أفسد حوارنا عن السياسة بالغناء. رغم أن السياسة عادة هي التي تفسد كل حوار إلا هذه المرة.

جريدة صوت الأمة – أبريل ٢٠٠٥

السندريلا والعندليب .. الكل كاذب

حين يموت الناس لا تبقى منهم إلا سيرة يحكي عنها أحياناً من عاشوا معهم، حين يموت الفنان تبقى منه كسائر البشر سيرة ولكن تبقى إضافة له وهي مسيرة أو أعمال تبقيه حياً في ذاكرة الجماهير حتى تلك التي لم تعاصره، فتبقيه حيا في الأذهان باقيا بقاء أشرطة الصوت والصورة. وليس بالتأكيد في فنانينا من هم أكثر بقاء من أسماء مثل أم كلثوم وعبدالوهاب وسيد درويش وعبدالحليم حافظ وسعاد حسني فكلهم غابوا بجسدهم ولكن بقيت أعمالهم تحكي لنا عنهم إلى ما لا نهاية له، ويعرض في رمضان عملان يتعرضان للسندريلا وحليم فماذا فعلا بهما؟! كذب الكاتبان ولو صدقا في القليل ووضعا نفسيهما في مأزق اعتماداً على أننا شعوب تحترف تزوير التاريخ العام، فما الذي يضير في تزوير أو تجميل التاريخ الخاص. والغريب أن نفس المآخذ التي أجدها في العمل الخاص بحياة سعاد حسني أجدها في العمل الخاص بالعندليب مما يعني ان المأزق في الكتابة عن شخصية مشهورة هو مأزق عام وليس مأزق الليثي أو عاطف بشاي ككتاب لحياة السندريلا أو مدحت العدل ككاتب لحياة العندليب.

فكل كاتب تسول له نفسه التصدي لشخصية عامة يجد أمامه كم عراقيل قانونية من أهل وأقارب المشاهير تريد أن تحصل على أموال بالكوم من وراء سيرته، ثم يجد الكاتب نفسه مطالباً بالكتابة عن الشخصية بمنطق الملائكة المجنحين وإلا ستطارده العائلة، وهناك أيضاً ميراث لدينا من الحياء يقول اذكروا محاسن موتاكم، فيختلط ميراث الحياء مع ميراث كذب وخوف ترعش الأيدي فلا تبقى من سيرة المشاهير غير أعمالهم التي

نعرفها فنجد في مسلسل السندريللا مقتطفات من أفلامها لا حاجة لنا برؤيتها ومنى زكي تؤديها حتى لو باجتهاد لأن لدينا الأصل نشاهده كلما اشتقنا لها. ونفس الشيء بالنسبة للعندليب الذي ربط الكاتب بين كل أغنية غناها وبين حياته الخاصة وهو كذب بيِّن، فقد قالوا عن حليم إنه كان أكذب البشر، وهو يتكلم أصدق البشر وهو يغني، مما يعني أن حياته لا يمكن أن تحكيها أغانيه.

لقد اكتفى صناع المسلسلين بإيجاد شبه بين الأبطال وبين حليم وسعاد حتى أنهم في كل مسلسل وضعوا صورة سعاد إلى جوار منى وحليم إلى جوار شادي وكأنهم يريدون أن يقولوا «شوفوا إحنا شطار إزاي يا سلام!» فما أسهل أن تجد شبيهاً لحليم أو سعاد ولكن ما أصعب ان تروي حكايتهما وقد كانت لكل منهما حياة تحمل دراما تحكى في كتب.

سعاد حسني مثلاً لكل من عرفها كانت فتاة بوهيمية تجلس بالأيام في حجرتها مكتئبة لا يستطيع أن يعرفها أحد بالشارع إذا نزلت وسارت فيه، لأنها لم تكن تهتم بنفسها إلا أمام الكاميرا، سعاد في حياتها الخاصة لم تكن سندريللا ولكنها كانت فتاة بائسة ما رأيناها على الشاشة. من عرفوها كانوا يحكون عن غرائب طباعها مثل أنها كانت تضع الملوخية في زجاجة لتشربها عند الكوافير، سعاد مثلا لم تتزوج العندليب إلا في عقل مفيد فوزي لأسباب يعرفها كل من عاشرهما وانتهت علاقتها بحليم نهاية مأساوية باترة، وحليم لم يخطب ولم تقع في هواه ديدي كما يدعي بل حليم كان يحاول التقرب منها لشهرة عائلتها حتى يضيف اسما مشهوراً إلى معجباته. وما العيب في أن تحكى سيرة كل منهما الحقيقية أو على الأقل جزء منها لأن الحقيقة عادة ما تغيب بغياب أصحابها. ولكن ما نراه على الشاشة شيء آخر غير سيرة أصحابه مجرد عنوان وصورة وأغنية أو مشهد من فيلم.

في كل العالم حين يتصدى أحد للكتابة عن المشاهير يكتبون عن أخطائهم وأحزانهم، يكتبون عن ضعفهم قبل قوتهم يكتبون عن بشر من لحم ودم وليس عن تقرير بأعمال فنية خال من الروح ومن الحقيقة.

لم تنجح السندريللا ولا العندليب كمسلسلين في أن نحب سعاد أو نحترم حليم كبشر، وحتي كذبهما لم ينجحا في أن يغلِّفاه بصورة أو حوار يجعل من لم يعاصرهما يشعر بهما. لا أداء منى زكي واجتهادها المفرط ولا شبه شادي شامل وأداءه الضاحك أحياناً

استطاعا أن يصنعا أسطورة تحيا حتى الآن اسمها العندليب شرائطه توزع أعلي المبيعات ولا السندريللا التي مازالت كل نجمة تخاف منها وتحلم أن تحصل على جزء منها.

كان على كاتبي العملين أن يطلقا عليهما أي أسماء أخرى تجنبا للمشاكل القانونية التي مروا بها دون طائل، كنجمة الجماهير مثلاً أو نجم الجماهير ولكنهما بالتأكيد أرادا استثمار أسماء الموتى كعائلاتهما تماماً، فخدعا المشاهدين كما سيخدعان التاريخ.

وحتي يظهر بيننا كاتب لم يولد بعد يستطيع أن يكون صادقاً قبل أن يكون صاحب خيال وقوياً قبل أن يكون راغباً في استثمار أسماء الموتى، أرجوكم لا تنتجوا أعمالاً عن المشاهير في حياتنا فأعمالهم تكفينا ويكفينا كذب التاريخ الذي يدرسه أبناؤنا في المدآرس، فلا نضيف له كذباً على شاشة هي في الأصل كاذبة.

جريدة الفجر - أكتوبر ٢٠٠٦

والنجم إذا هوى

عرفتها ككل جمهور مشاهدي السينما، نجمة لا يوضع إلى جوار اسمها على الأفيش اسم، ولا يكتب بحجم البنط أي اسم آخر، ووصلت إلى تلك المكانة على مدى رحلة طويلة اجتهدت فيها أحياناً بموهبة الممثلة، وأحياناً كثيرة بموهبة الأنثى.

لم تفوت فرصة للاستفادة من نهم الرجال سواء في جني المال أو الأدوار. ونسيت في رحلتها الطموح أن تعلن زواجاً أو تأتي بطفل، وإن كانت حياة الإنسان تقضى سريعاً، فإن انقضاء توهج النساء أسرع.. وأسرع منهم جميعاً توهج النجمات.

تغيرت معالم السينما وأراح جيل من الشابات كبار النجمات، وكانت منهن في تلك الآونة، كان اقترابي الإنساني منها أكثر حين اعترفت لي وكأنها تعترف لنفسها بأن رنين التليفون لم يعد أبداً يزعجها كما كان من قبل، أولاً: لأنه قليل جداً، وثانياً: لأنه ربما يحمل نبأ ترشيح لدور بطولة فهي لا تقبل بأقل من هذا.

اعترفت النجمة وهي تجلس معي بلا رتوش ماكياج تخفي آثار عمليات التجميل ومشارط الأطباء، بأنها تخاف الليل، الذي طالما أحبته، ففي الماضي كان هناك دوماً من يشاركها فيه، أما الآن فالوحدة تقتلها، ولهذا فهي تغير ديكور حجرة النوم مرة كل عدة أشهر.

اعترفت النجمة بأنه أثناء تكريمها أخيراً في مهرجان سينمائي دولي كانت درجة حرارتها تصل للأربعين، وعلي الرغم من هذا بدت كأحسن ما يكون وصعدت على المسرح تحيي الجمهور ولحظتها لم تشعر بشيء إلا التصفيق وفلاشات المصورين.

اعترفت بأن روحها لم تكن في جسدها المتعب، لكنها كانت في السماء ترقبها.

اعترفت النجمة بأنه لا شيء له حلاوة الشهرة والأضواء، ثم نزلت دموعها، فهممت بالانصراف مرتبكة، فلم تلحظني وأنا أحاول فتح الباب للخروج وألقي نظرة على النجم، إذا هوى.

جريدة وشوشة – نوفمبر ٢٠٠٦

الأغنية الناقصة

ولدت لأسرة ثرية كانت فيها الأقرب شبهاً من الأم الجميلة سليلة الحسب والنسب.. عاشت طفولة متميزة عن أطفال العائلة لأن لديها صوتاً تستطيع به أن تطرب التجمعات العائلية.

كل شيء في حياة بطلتنا كان يشير إلى قصة حياة تقليدية لفتاة غالباً ما تنتهي بزواج مرتب بين العائلات، وخاتم ماسي وبيت مفروش من بونتريمولي أشهر محال الموبيليا في ذلك الوقت، ولهذا بدأت الأم منذ صغرها في الاستعداد لهذا اليوم المنشود، وكان أهم ما اشترته لعروس المستقبل كرسي أنتيك بمبلغ كبير.

في مرحلة كانت مصر كلها تخرج من رحم هزيمة إلى مجهول يدفع الكبار لليأس والصغار للثورة، التحقت بطلتنا بالجامعة وكانت الحركة اليسارية هي أنشط الحركات السياسية والفكرية في مصر، بل في العالم، والفتاة المدللة كانت تربة خصبة لأقطاب الفكر الشيوعي، لأنها ورقة بيضاء مثالية لأن يحفروا عليها أفكارهم وأن يستفيدوا أيضاً من جزء من أموال عائلتها في الإنفاق عليهم، أما هي فقد رأت حياة من ارتبطت بهم أكثر إثارة وتمرداً من حياة عائلتها المنمقة دائماً!

وكان غناؤها رفقة ليل للمنتصرين وفي قوة الثورة تعرفت بطلتنا إلى شعراء ومطربين وأدباء وصعاليك جمعتهم مقاهي وسط البلد.

تنقلت من حب إلى حب ومن تمرد إلى تمرد، واكتسبت بعض الشهرة كمطربة للثورة حكماء مقهى ريش اليساريين، ثم وقعت في هوى أحد أشهر شعراء تلك الفترة وعلي

الرغم من فارق السن تزوجته في حجرة فوق أحد أسطح القاهرة لتعيش تجربة الحب والحزن والثورة!

انقضت الهزيمة بنصر ٧٣، ودخلت مصر مرحلة جديدة في تاريخها لكن بطلتنا وكثيراً من رفاقها ظلوا على عهد التمرد يكتبون ويغنون له.

لكن الرياح أتت بزمن غير الزمن. سحق من لم يواكبه وانقطعت أواصر التمرد وأهله فعادت البطلة إلى بيت عائلتها بورقة طلاق وأفكار بالية وهزيمة عقيدة وشهرة محدودة بتاريخ مضى وحتي العائلة التي كانت من الأثرياء صارت في زمن الانفتاح آلافها ملاليم.

وتاهت البطلة في زحام الحياة ولم يعد أحد يذكر غناءها إلا في جدران نقابة، أو احتفال بذكرى لا يحضرها إلا القليل، فنها لم يبق منه لأنه فن ارتبط بأبجديات تمرد لم تعد مستخدمة.

وكما ذهب الفن ذهب الشباب وكثير من الجمال ولم يعد لديها من زفقة إلا كرسي أنتيك صارت ألوانه باهتة تماماً، يذكرها بجهاز عروس لم يكتمل.. وأغنية حياة ناقصة.

جريدة وشوشة – ديسمبر ٢٠٠٦

حرم الباشا والملوخية

عرفتها منذ سنوات نجمة في حفلات المجتمع ليس لمهنة تجذب الأضواء ولا لصفة تخلب الألباب ولكن لأنها ببساطة حرم الباشا الوزير وسيدة بيضاء تبدو وكأن لها جذوراً تركية، رجلها عاش وتقلب في كل العصور منذ قيام الجمهورية فكان نجماً في عالم الاشتراكية والقومية ثم مات الملك وعاش الملك فأصبح وازداد قوة، أما هي فرغم تقلب الروح لم تتغير لأنها كانت ثابتة على لقب حرم سيادة الوزير الأطول عمراً، كانت تتحدث حتى يلغو الكلام فتجد من حولها يقول الله أعيدي يا ست، تفتخر بأن شنطة يدها حاجة ببلاش كده يادوب بألف دولار، من ترضَ عنه تمد له يدها بالسلام أما غير ذلك فإهانة تكفي أو أقل، في جلساتها كانت تشكو من أنها اشتاقت لأكل تصنعه بيديها في المطبخ لأن محاسيب الزوج لا يعطونها فرصة لدخول هذا المكان فالطعام دائماً يرسل لها جاهزاً وساخناً.

كانت حرم الباشا الوزير من طول فترة السلطة تزداد بدانة عاماً بعد عام فتبدو وكأنها ديك منفوش وخاصة أنها تعشق اللون الأحمر ويندر أن تراها ترتدي شيئاً لا يوجد فيه هذا اللون.

كنت أراها دائماً في حالة ركود سينمائي.. الاستثناء الوحيد فيه حين تظهر في مناسبة تحضرها السيدة الأولى فكم من سيدات أوائل مررن عليها، وقتها فقط كانت لعجبي تبدو أرفع كثيراً من حقيقتها وأكثر ضآلة، ولأن سنة الحياة التغيير حتى لمن يملكون جلود الحرباء فقد خرج السيد الوزير أخيراً من جنة السلطة، أما حرمه فقابلتها أخيراً لأجدها وكأنها دائماً في حضرة السيدة الأولى رغم غيابها، تسأل الحاضرات عن أسهل الطرق لطبخ الملوخية.

جريدة وشوشة – يناير ٢٠٠٧

أنغام .. الموهبة المفقودة

لسّت أملك مشرط طبيب ولا أحتكم عى حكمة أصحاب علوم النفس، وقبل هذا كله لا أملك كلمة تعد فصل خطاب في البشر، ولكني أقف على أعتاب الحياة أرقب الناس، وأهمهم بالنسبة لي هم الفنانون فهم الزاد والزوّاد في زمن جفت فيه منابع البهجة ولم تبق منها إلا طوابير نصطف فيها أمام المخابز أو أمام الإشارات الحمراء في الشوارع، وفي هذه الطوابير لا سلوى ولا تسلية لأحد إلا صوت وأغنية أو ذكرى مشهد مضحك يعزينا في حياة باتت جافة حتى تكاد تنكسر، الفنانون بمعنى الكلمة هم وحدهم القادرون أحيانا على منحنا لحظة حلوة الطعم طرية الهضم.

وحين أتحدث عن الفنانين لا أقصد بالتأكيد كل من تحمل بطاقته هذه المهنة ولكني أتحدث عن أصحاب المواهب الذين منحهم الله موهبة لقصد، هؤلاء هم من يعطون قيمة لأنفسهم وللآخرين وللأوطان، فأم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم وقبلهم سيد درويش وأحمد شوقي وطه حسين ومئات وآلاف غيرهم هم من أعطوا مصر قيمة وأخذوا منها عرفانا، تلك مقدمة كان لابد منها ليس من باب الفلسفة على القارئ ولكن لكي أؤكد أن اهتمامي برصد الحالة النفسية والاجتماعية لأنغام هو محض اهتمام بقيمة وبموهبة وليس بشائعة أو حكاية أو تعريض بفنانة.

موهبة أنغام كانت يجب أن تؤهلها لمكانة لم تصلها والإنطلاق في الفضاء الرحب لم تنطلق فيه، أنغام أو ما بقي منها ليس إلا شريطاً أخيراً ربما حصلت منه على ملايين من روتانا ولكنه كالماء بلا لون أو طعم، وأخبار في الصحف عن طلب خلع لم يتحقق من

زوج ثان وهو الموزع الموسيقى فهد واتهامات متبادلة بينها وبين والدها الملحن محمد علي سليمان على صفحات الجرائد والمجلات، أنغام تبدو الآن كنغمة مفقودة، ولكن هل يصح لعشاق صوتها والخائفين على موهبتها أن يحكموا عليها قبل أن يحللوا حياتها التي أنجبت هذا الفقدان!

محمد علي سليمان، ملحن موهوب بدأ حياته عازفا أو بلغة أهل الكار آلاتي، وحياة الآلاتية حياة صعبة يعملون عند الخفير والأمير، يقبضون المعلوم آخر الليل وقد لا يقبضونه، محمد علي سليمان ملحن موهوب ولكن من قال إن الموهبة تكفي صاحبها لكي تصل به إلى عنان النجاح والشهرة؟ ثم يحدث الانقلاب الأول في حياة الأب حين يعجب المطرب الأشهر في عصره بصوت أخيه الأصغر عماد عبدالحليم فيتبناه فنيا في محاولة منه لإثبات أنه يشجع المواهب الشابة وليس كما كانوا يتهمونه بأنه يحاربهم، وهي كانت مجرد محاولة ذكية غير موفقة من حليم لضرب نجاح هاني شاكر الصوت الشاب الصاعد في ذاك الوقت، وتصيب عماد بعض الشهرة بالفعل ولكن صغر سنه ولأن حليم لم يتبناه بالفعل إلا اسما لأن العندليب في الحقيقة لم يستطع إلا أن يتبنى موهبته التي كانت فياضة، فيتوه الفتى الصغير بين شهرة زائفة مبكرة وحياة الليل وصداقة السوء ونساء أوصلته إلى موت مبكر على رصيف بجرعة مخدر زائدة، ولم يكن عماد عبد الحليم هو الهزيمة الأولى لمحمد علي سليمان، لأن الشهرة أصابته بعيدا عنه، ولكنه كان هزيمة وحزنا مبكرا للصغيرة أنغام ليس عن غيرة ولكن عن حب، فتقارُب العم من ابنة أخيه وموته المفاجئ حرمها من صدر كانت تعتبره أخا وصديقا.

وتعلم الأب الدرس، فمواهب العائلة لا يجب أن تخرج منها، وكانت أنغام هي كل مواهب العائلة التي احتضنها الأب وقدمها لأول مرة على المسرح تغني أغنية «لالي لي لالي» بشعر قصير وفستان متواضع وفم يخرج صوتا متناسقا وإن بدت فيه الأسنان على غير ذات اتساق الصوت.

وتنجح الفتاة في الامتحان الأول أمام الجمهور ويحاول الأب الملحن أن يجد لها كلمات وألحاناً تناسب سنها التي لا تليق بأغاني العشق والهوى، ولكنه لن يكتفي بأداء أغان للأطفال فيقدمها في أغان مثل في «الركن البعيد الهادي» وأغان أخرى مثل «يا طيب» التي

يشاركها في غنائها على المسرح بل يقود لها الفرقة، وجود الأب في حياة الصبية أنغام في ذاك الوقت حماها من كثير من التنازلات التي تضطر إليها الأصوات الجديدة لتحصل على لحن أو كلمة، حكايات يتناقلها كل صوت جديد ولكنها لا تكتب ولا تقال إلا في الجلسات الخاصة جدا، يدفع ثمنها باهظا كل صوت جديد إلا إذا وجد من ينفق، ولكن وجود محمد علي سليمان في حياة ابنته حماها من كل هذا، وكعادة الأمراء والملوك العرب الذين اعتادوا منذ البداوة على إجزال العطاء للمواهب في صورهم، كانوا يجزلون العطاء لموهبة الابنة في جيوب الأب.. فصارت أنغام منجم الذهب لأب لم تصبه وحيدا الشهرة ولا المال، وفي مثل هذا الجو تنضج صغار المواهب قبل الأوان، فيحدث تناقض بين العمر الفني والعمر الحقيقي، فالشابة الصغيرة لم تحيا مراهقتها مثل قريناتها فقد كبرت قبل الأوان.

كل المراهقين يتمردون بأشكال مختلفة، ولكن في إطار واحد غرفة غير مرتبة، أو شكل لملابس لا تليق ولا يرضى بها الكبار أو أشياء أخرى كثيرة عاشها ملايين الآباء والأمهات مع أبنائهم. ولكن ماذا تحفل مراهقة مشهورة ومصدر لرزق عائلة كأنغام، المطربة المراهقة تتمرد على اللحن وبالتالي على الملحن الذي هو الأب أو بيجماليون صانع التمثال، وتحلم بأن تتعاون مع ملحنين آخرين، وتسأل عن حسابها الخاص في البنوك وكم تساوي في الأسواق.. تمرد مراهقة لم يقابله الأب بحكمة أو بوعي، قابله بعناد كافر هو سمة الأب والابنة معا. ولكي أحاول أن أكون منصفة، لم يكن العناد والجهل فقط هما سيد الموقف ولكن عقدة الأب والخوف من فقدان مصدر الرزق المضمون والشهرة، كل ذلك دفع محمد علي سليمان لأن يقابل تمرد الابنة بالطرد مما تصور أنها الجنة أملا أن يكون ذلك رادعا لها، ولكنه لم يكن فخرجت الابنة مع الأم والأخ لتعيش في شقة في المهندسين ولتتحول إلى مسئولة عن عائلة بشكل كامل قبل الأوان.

مرحلة التمرد الثاني والزواج

أنغام بالتأكيد لديها كأي أنثي حلم تحقيق أسرة وأطفال وبيت مستقر، لم تستطع أن تحققه في طفولتها فتتزوج في حفل كبير لم يحضره الأب، وتعيش وهي عروس في بيت من غرفتين واحدة لها ولعريسها والأخرى لأمها وأخيها.. بداية صعبة غير مبشرة على

المستوى الاجتماعي والنفسي خاصة مع فنانة صغيرة يجب أن تكون أحلامها بلا سقف ولا حدود لغرف مغلقة.

وقد يقول قائل: إن أعظم فنانينا هم من عاشوا المعاناة، فأم كلثوم كانت صغيرة حين جاءت للقاهرة مثقلة بأسرة كاملة، وكذلك عبد الحليم وغيرهما ولكن الفرق كبير بين هؤلاء وأنغام في الذكاء الفطري، فأم كلثوم أحاطت نفسها بسياج يعلمها مقابل جهل أسري، أحاطت نفسها برامي وأبوالعلا محمد والقصبجي وكبار الكتاب والمفكرين في عصرها، وكذلك حليم الذي كان يلف بأي مشروع، لأغنية على يوسف إدريس ويوسف السباعي وإحسان عبدالقدوس ليطلعهم عليها ويأخذ رأيهم، حتى إنهم كانوا يشعرون بأنهم شركاء في النجاح أو الفشل، فكانوا هؤلاء هم حائط الصد وهؤلاء كانوا نجوم وعقل مصر وروحها. أما أنغام فلم تجد معلمين لأنها أولا لم تبحث عنهم ولأن العقول التي تحتضن المواهب غائبة في هذا الزمن، فاجتمع العقل المحدود مع الظرف العام والخاص مع صغر السن على الموهبة رغم أن الإعلام ساندها ولكن سند ضد كل ما سبق.

نضجت الفنانة الصغيرة ونضج الصوت دون عقل مساند بل مثقل أحيانا بتجريس الأب، ولم يقل لها أحد أن تصمت فلا تخرج في برامج تخطئ فيها وتلعن الأب، فالجمهور أمام بكاء وعويل الأب ودعائه على الابنة يضعف في مقابل قسوة تبدو عليها، الناس دائما تنحاز للآباء حتى لو كانوا مخطئين، ولم يستطع محمود سعد - المساند الأول ومستشارها الروحي كما يقول - أن يوقف سيل أخطائها، فلا أنغام هي أم كلثوم ولا محمود سعد هو أحمد رامي.

وعلى أرض الواقع لم تستطع أنغام الخروج من أسر النوع أو الروح الواحدة للحن حتى بلجوئها للحنين آخرين، فظلت أنغام تلعب في منطقة واحدة بلا تجديد حقيقي يسمح لها بالانطلاق، ولكنها بدأت تساير طوفان الفيديو كليب وملابس فعلا تناسب عمرها ولكن لا تناسب أداءها، مما دفع الأب لأن يقول إنه حينما شاهدها في أحد الكليبات رأى أنه أمام إيرما الغانية! عبارة قاسية وليست حقيقية، فلا أنغام هي بوسي سمير وهي أيضا لا تستطيع ان ترتدي ملابس أم كلثوم لأنها ليست هذه ولا تلك.

وكان الزواج الثاني من فهد الموزع الموسيقى الشاب الذي لم يكتف بالزواج بل شاركها الغناء تماما مثل الأب، وأيضا مثل الزوج الأول منحها الأمومة التي تريد أن تثبت بها أنغام أنها تسعى لتكوين أسرة طبيعية، ولكن عودة لنفس النغمة غيرة الرجل الشرقي وهذه المرة تطلب أنغام الخلع ويتم رفضه في المحاكم على الأقل حتى الآن.. ويجدها محمد علي سيمان فرصة هائلة للتشفي وإثبات أنه على حق ويغير لغة التهديد والوعيد إلى لغة الاستجداء، فهو يحتاج كما يعلن لأن تساعده ابنته في تربية أخيها المعاق ويحتاج للعمل، وترد هي في حوار آخر بأنه مليونير ولا يحتاج لأموالها.

جريدة الفجر - مارس ٢٠٠٨

شاهين .. حدوتة مصرية

شاهين كمان وكمان

غادر القاهرة مستلقياً على ظهره في طائرة طبية تتشابك فيها الخراطيم والأسلاك مع شرايينه وأوردته ليصل إلى باريس شاخصاً إلى سمائها وهو في طريقه إلى المستشفي الأمريكي هناك.. الحيوية والعناد وحب الحياة وبطولة المقاومة التي اشتهر بها ترافقه.. لكن هل تنقذه هذه المرة، هل تنقذ يوسف شاهين.. الحدوتة المصرية؟

فلاش باك

ربما يفكر جو الآن في «ألفريد» أخيه الذي كان يكبره بعامين، والذي أصيب وهو في التاسعة بمرض خطير في الدم أدى إلى موته وذات يوم حاول شاهين الصغير إشعال شمعة لأخيه في الكنيسة، ولكن تسبب في حريق مفاجئ وحينما سألوه عن الفاعل قال إنه ألفريد.. وهرب هو بفعلته على أن ألفريد مات بعدها بسنتين، وظن شاهين أنه حينما كذب تسبب في وفاة أخيه كعقاب إلهي، وظل يحمل عقدة ذنب نتيجة لذلك أظهرها في فيلمه «حدوتة مصرية» في محاولة لمواجهة مخاوفه والتخلص من هذا الشعور الرهيب.

فلاش باك داخل الفلاش باك

٢٥ يناير ١٩٢٦، ولد يوسف جبريل شاهين في مدينة الإسكندرية من أب سوري كان محامياً وأم سكندرية وجدة كانت تأخذه إلى مسارح الظل التي كانت تسلل إليه حب التمثيل معها، ومثل غالبية الأسر التي عاشت في الإسكندرية في تلك الفترة كان هناك خمس لغات يتحدثون بها في بيت شاهين الصغير، وعلى الرغم من انتمائه للطبقة الوسطى فإنه التحق بمدرسة متميزة هي كلية فيكتوريا حتى حصل على الشهادة الثانوية، وبعد

عام قضاه في جامعة الإسكندرية، انتقل إلى الولايات المتحدة لدراسة الإخراج لمدة عامين في باسادينا بلاي هاوس.. وهو معهد متخصص في فنون الدراما.

وحين عاد إلى القاهرة لم يجد أذرعاً تمتد له، ولكنه استطاع بعد جهد عن طريق المصور السينمائي ألفيز أورفانيللي الدخول إلى صناعة الأفلام، فقد قدمه لشركة إنتاج سينمائية هي التي ساعدته في أول أفلامه «عام ١٩٥٠» فيلم «بابا أمين».. ثم تبعه بفيلم «ابن النيل – عام ١٩٥١» والذي عرض في مهرجان «كان» الفرنسي ليكون أول فيلم مصري يشهده المهرجان، ولتبدأ علاقة شاهين بفرنسا، تلك العلاقة الغريبة والعميقة في ذات الوقت.

وقد شكل «ابن النيل» البداية الحقيقية لشكري سرحان، بطل الفيلم والذي استمد لقبه من عنوان الفيلم على مدى تاريخه، ولم يكن هذا الفيلم علامة تميز فقط في حياة شكري سرحان، ولكنه كان علامة فارقة في حياة بطلته أيضاً فاتن حمامة التي لمعت معه في عدة أفلام تالية مثل «صراع في الوادي» و «صراع في الميناء» وتستمر المسيرة حتى تصل إلى ٤٢ فيلماً، بينها خمسة أفلام قصيرة حتى آخر أفلامه «هي فوضى».. وقد كان شاهين حتى دخوله المستشفى يوم السبت الماضي يحضّر لفيلمه المقبل عن مشاكل الشباب في مصر مع ناصر عبدالرحمن كاتب السيناريو وخالد يوسف تلميذه الأثير.

عودة لغرفة العناية المركزة

ربما تتركز الآن ذاكرة القابع في غرفة العناية المركزة على صورة خالد يوسف، الذي يلازمه منذ ٢١ عاماً، فقد التقى به في كلية الهندسة جامعة القاهرة عام ١٩٨٧، ومنذ ذلك التاريخ يلازم التلميذ الأستاذ حتى صار أستاذاً، وهو الاسم الوحيد الذي قبلت النرجسية الشاهينية أن تضع اسمه إلى جواره على أفيش آخر أفلامه «هي فوضى».

سألت خالد يوسف: هل شاهد الأستاذ فيلمك الأخير «الريس عمر حرب» فقال: «إنه لم يستطع».. ولكن ماذا عن رأيه في فيلم خالد «حين ميسرة» والذي عرض في ذات الوقت مع «هي فوضى» لينافسه في الإيرادات؟.. شاهين قال في لقاء تليفزيوني: «خالد أحسن مني فهو عبقري لم تعرف السينما مثله حتى الآن»، وخالد يحكي أن الأستاذ حين رأى عمرو عبدالجليل في «حين ميسرة» قال له «يخرب بيتك خليته يمثل أحسن مما يمثل في أفلامي» فعمرو عبدالجليل كان اكتشاف شاهين، لكنه لم يلمع إلا مع خالد يوسف.

وربما كان خالد يوسف بالنسبة للأستاذ هو درة اكتشافاته، ولكنه بالتأكيد ليس الوحيد، فشاهين اعتاد على اكتشاف ممثلين ومخرجين أبرزهم عمر الشريف صديق عمره، وخالد النبوي وهاني سلامة ومحسن محيي الدين وأحمد يحيى ويسرا اللوزي، شاهين كان محباً لممثليه، فهو شخصياً كان ممثلاً لمرة واحدة في دور قناوي في رائعته «باب الحديد» وقد رشح لجائزة أفضل ممثل عن دوره في هذا الفيلم في مهرجان برلين عام ١٩٥٨، وقد ظهر في عدة مشاهد بعد ذلك في أفلامه «نساء بلا رجال» و «فجر يوم جديد» و «اليوم السادس» و «إسكندرية كمان وكمان» ويقول شاهين عن ممثليه: «شخصياتي بيمثلوا أحسن من اللي بيمثلوه مع أي حد.. محمود المليجي فضل ٣٠ سنة يضرب الناس طب إزاي عرفتوا إنه ممثل كويس؟ لما اشتغل في الأرض، في وقت ربنا بعت لي حد كويس زي محسن محيي الدين كان حساس وهايل وأحسن مني، أنا باخد الموهبة وأوجهها ما بخلقش موهبة، عشان كده بالصبر أقدر أطلع كل اللي جواهم.

مشكلة الممثلين في حياة شاهين يصفها ساخراً أحمد خالد توفيق فيقول: «حتى الكومبارس الذي يقدم للبطلة كوب شاي في أحد أفلام شاهين يعتبر نفسه أستاذاً من أساتذة التمثيل، حتى غدا من التقليدي كلام أي ممثل أن يحكي عني في ابن النيل بالفلاح، إلى اتهام لإقطاع متوحش في صراع في الوادي عام ١٩٥٣، ثم انحياز في «صراع في الميناء»، ويقول شاهين عن بداية وعيه الخاص بالسياسة: «إن الوعي الاجتماعي قد دخل أفلامي بعد فيلم «جميلة بوحريد» حين خرج الجمهور من الفيلم يحاول حرق السفارة الفرنسية، فأدركت أنني فجرت شيئاً لا أعرفه فهناك صراعات أبعد من قصة العسكر والحرامية، فبدأت أقرأ عن المذاهب الاجتماعية وتعرفت ببعض السياسيين وبدأت تتكون عندي عموميات الفكر السياسي».

الأغنية الأخيرة

يوسف شاهين يرقد على سريره في غرفة العناية المركزة بالعاصمة الأثيرة إلى قلبه بعد القاهرة، وربما تكون بداخله موسيقى تعزف له لحناً أو أغنية، شاهين هو الأستاذ في اختياره لعنصر الأغنية في أفلامه وهي تمثل عادة ذروة الحدث الدرامي وبنهايتها ننتقل إلى حدث مختلف من الفيلم.. لقد اعتبر جو الأغنية سلاحاً خطيراً. لقد ظهرت في أفلامه

أقوى الأغاني التي عرفناها في تاريخ السينما والتي يرددها أغلبنا حتى لو لم يكن من متابعي أو محبي أفلامه. فمن منا ينسى أغنية «الأرض لو عطشانة» في فيلم «الأرض» أو أغنية «راجعين» في فيلم «العصفورة» التي أصبحت أغنية الجنود على الجبهة في يوم العبور أو أغنية منير «عليَّ صوتك بالغنا» في فيلم «المصير» أو أغاني ماجدة الرومي في فيلم «عودة الابن الضال» أو أغنية لطيفة الشهيرة «تعرف تتكلم بلدي»؟ كل أغاني شاهين تعيش في وجدان الشعب المصري حتى لو لم يكن البعض على دراية بأفلامه وقيمتها. فترى أي أغنية منها يعزفها جو ويدندن بها وهو في غيبوبته ربما «علِّي صوتك بالغنا لسَّه الأغاني ممكنة».

المشاغب الصغير

منذ سنوات طلب الأطباء من جو أن يقلع عن التدخين لكنه لم يفعل، قالوا له ستموت قال وإيه يعني برضه مش حبطل، وكانت السيجارة لا تفارقه حتى يوم السبت الماضي الذي انتقل فيه للمستشفى، ولكن هل مشاغبات شاهين كانت كلها تنحصر في عدم اهتمامه بصحته؟ بالتأكيد لا فشاهين كان المشاغب الأكبر في الفن فهو صاحب الاعتصام الشهير ضد قوانين كثيرة سيئة السمعة في نقابة السينمائيين، وهو المتخطي لكل قوانين الرقابة التي منعت عرض فيلم «العصفور» إلى أن تم العبور في أكتوبر ١٩٧٣، يوسف شاهين كان سينمائياً ولكنه لم ينس أبداً أنه مصري مهموم بقضايا وحياة شعب، فوقف مع القضاة في اعتراضهم على الحكومة ووقف مع أهل جزيرة الذهب ضد التي أرادت أن تبيع أراضيهم للمستثمرين.

المشهد الأخير

يوسف جبريل شاهين، أفق من غفوتك لأننا مهما اختلفنا معك نحبك ومازلنا في حاجة إليك.

جريدة الفجر - يونيه ٢٠٠٨

مذيع بتاع كله ....

يصرخ المجتمع بالشكوى من مشايخ وفتاوى ومحطات فضائية تزيد من حالة التخلف التي نعاني منها، وعادة ما نصب اللعنات واللكمات على نماذج من رجال يرتدون العمائم وسيدات يرتدين الحجاب ثم يتكلمون عن الله ويمطروننا بفتاواهم المريضة أو الكسيحة أو العقيمة الجاهلة، فيفرغون الدين من قيمته أو يشعلون فتنة لعن الله من أيقظها.

وفي خضم هذه المعركة ننسى طرفاً مهماً لا نتوقف أمامه وهو المذيع أو المذيعة التي تحاور هؤلاء المشايخ ويقع عليهم جزء من وزر العمل، فناقل الكفر ليس بمؤمن ومشعلو الحرائق ليسوا بملائكة.

وعلى قناة دريم يذاع برنامج أسبوعي يعده ويقدمه المذيع أحمد عبدون باسم «عم يتساءلون» وما أدراك عم يتساءلون وعما يفعله المذيع.

برنامج «عم يتساءلون» هو تجسيد فج لزمن قبيح جمع القبح فيه الرجل الذي يرتدي العباءة ويقول إنه رجل دين، والمذيع الذي يجد في الدين فرصة للظهور أسبوعياً حين تعييه الوسائل للظهور، والمشاهد الذي لم يعد في حياته من هم إلا طلب الإجابة عن سؤال مثل: كيف يدخل دورة المياه أو كيف يلاطف زوجته وحلال ذلك وحرامه.

حديثنا اليوم سيكون عن المذيع أحمد عبدون.. بداية أحمد عبدون كانت حين اتجه إلى قناة دريم يطلب من الدكتورة هالة سرحان، المسئولة عن القناة في ذلك الحين، أن يقدم برنامج منوعات، ولكن الدكتورة قالت له إن القناة مكتفية بما فيها من برامج وإنه لا مجال إلا في برنامج ديني ولم يرد عبدون أن تضيع الفرصة، مش مهم منوعات دين أي حاجة

المهم الظهور على الشاشة وعلى مدى سنوات تحول عبدون إلى مذيع ومعد، فالإعداد لذلك البرنامج لا يحتاج لخلفية دينية أو غيرها فهو شو إعلامي يرتدي ملابس الدعاة، واعتمد أحمد عبدون على اصطياد الخلافات بين مشايخ يهوون الضوء المبهر للإعلام مثل ملك دراز وغيرها، وبعضهم قد وقعت بينهم وبين عبدون سجالات ومشاحنات وصلت أصداؤها للصحافة كخلافه مع د. عبلة الكحلاوي وملك دراز التي تفتي بأداء تمثيلي مبالغ فيه.

ولكن طموح المذيع لم يكن ليتوقف عند الفتوى الدينية فأراد أن يضيف لها الفتوى العاطفية لتكتمل في يده الدنيا والدين فصار له خط خاص من خطوط ٠٩٠٠ يسمى فضفضة للمشاركة في حل المشاكل العاطفية، منتهى الاستهانة بعقول الناس فما هي مسوغات الأستاذ أحمد عبدون ليصير حكماً بين المشايخ وحكماً بين العوام في مشاكلهم العاطفية.

ولو أن القارئ لكلماتي قد صادفته حلقة «عم يتساءلون» الأسبوع الماضي لعرف المعنى الحقيقي للعب الحواة فقد استضاف أحمد عبدون الفنانة سهير رمزي وأهداها بوكيه ورد كبيراً في تصرف غير معتاد مع ضيوفه، والحق أن الفنانة لا عيب عليها في قبول دعوة الداعي ولكن العيب كان من طرح أسئلة من نوعية هل يوجد حاجز زجاجي بين الممثلة والممثل أثناء القبلة، وهل يجتمع الممثلة والممثل تحت الفراش في مشاهد الحب بجد؟ أي والله هذه كانت أسئلة المذيع المبجل للفنانة وأضاف إليها ما نسبه إلى ممثلات أخريات محجبات إضافة إلى مجموعة من الأسئلة التي ترفع ضغط الدم ودرجات السكر في الجسم وتنم عن «هرتلة» تليفزيونية دينية.

سهير رمزي حقيقة لا تحتمل وزر استضافتها ولا إجابتها في برنامج عنوانه مأخوذ من كتاب الله، العيب كل العيب على شاشات تريد أن تملأ وقتها بأي شيء وكل شيء، والمشاهد المسكين يقع تحت طائلة مثل هذه الهرتلة التليفزيونية ويشارك فيها أحياناً للأسف.

وإن كان الأزهر في طريقه إلى إصدار قانون أو تشريع يمنع الدعاة غير المتخصصين من الفتوى وهو بالتأكيد قرار غير قادر على تطبيقه إلا في حدود القنوات الحكومية ولكنه

محاولة على كل حال، فما وأين هي الجهة التي يمكن أن نلجأ إليها لتنقذنا من مذيعي الخطوط الساخنة بتوع كله على كله.

أحمد عبدون مذيع دريم مجرد واحد في سلسلة طويلة من مذيعين لا يقفون ليتساءلوا عما يفعلون.

جريدة الفجر - فبراير ٢٠٠٩

حمدي قنديل .. الطائر المهاجر

أصدقائي الرائعون: أنا الشفاه للذين ما لهم شفاه.. أنا العيون للذين ما لهم عيون.. أنا كتاب البحر للذين لا يقرأون.. أنا الكتابات التي يحفرها الدمع على عنابر السجون.. أنا كهذا العصر أواجه الجنون بالجنون.. وأكسر الأشياء في طفولة، وفي دمي رائحة الثورة والليمون.. أنا كما عرفتموني دائماً.. هوايتي أن أكسر القانون.. وإلا لا أكون .. لم أجد إلا كلمات نزار قباني لتصور لسان حال حمدي قنديل في رحلته الجديدة. سافر رئيس التحرير بقلمه الرصاص إلى مدينة الضباب لندن ليبدأ مرحلة جديدة مع قناة ليبية بعد أن ضاقت به قناة دبي التي احتضنت برنامجه سنوات.

رحلة حمدي قنديل، الإعلامي الذي تجاوز السبعين ورغم هذا مازال محتفظا بلياقته الإعلامية والظاهرية، رحلة تستحق أن نرويها ليس من باب النميمة أو ملء مساحات على الأوراق ولكن لأنها تمثل حالة شديدة الخصوصية في الإعلام العربي..حمدي قنديل من مدينة طنطا التي يتبرك أهلها بقطب صوفي هو السيد البدوي وقد بدأت علاقته بالصحافة منذ كان طالبا في المرحلة الثانوية حيث كتب مقالا في جريدة محلية اسمها الإخلاص.. ومن المفارقات أن حمدي قنديل زامل في دراسته الثانوية عمرو موسي الأمين العام للجامعة العربية، وكانت بينهما منافسة على المركز الأول طوال المرحلة الثانوية.. وفي عام ١٩٥٢ التحق حمدي قنديل بكلية العلوم جامعة الإسكندرية، ولكنه لم يهو فيها الدراسة فأعاد الثانوية العامة ليلتحق بعدها بكلية الطب قصر العيني، وفيها أصبح مسئولا عن تحرير مجلة تصدرها الكلية لتعبر عن رأي الطلبة، فاكتشف قنديل شغفه

بالكتابة وهجر الطب لدراسة الصحافة.. التحق حمدي قنديل بالعمل في التليفزيون المصري في بداياته حيث كان يقدم نشرات الأخبار وبرنامج أقوال الصحف.

ومن المثير للدهشة أنه في العصر الذي نعت بالديكتاتورية وقمع الحريات لم يمنع فيه حمدي قنديل أو يحاصر، فالحادثة الوحيدة له كانت حين أذاع خبرا عن عبدالناصر في نهاية الحلقة وليس في بدايتها وقتها، طلب منه وزير الإعلام أن يستريح في بيته، حمدي قنديل يقول عن عمله في هذا العصر «كانت عندي حرية في السياسات الصغري ولدي إيمان بالسياسات الكبرى.. فكنت أهاجم وزيرا أو شركة ما وكثيرا ما تعرضت للشكوي إلى الرئيس .. ولكن لم يكن لي شيء».

وفي منتصف الثمانينيات ترك اليونسكو الذي عمل فيه ١٥ سنة وأسهم مع صالح كامل في إنشاء قناة MBC وعمل مديرا لها لمدة ثلاثة أشهر.

وفي عام ١٩٩٦، قدم برنامجه على قناة ART باسم «مع حمدي قنديل» ولكن لم يستطع الشيخ السعودي أن يحتمل حمدي قنديل أو ضيوفه، فحواره مع القذافي على الهواء مباشرة كان كفيلاً بإنهاء علاقة المذيع بقناة خليجية..وعاد قنديل ثانية إلى حضن التليفزيون المصري في عهد مبارك ليقدم برنامجه «رئيس التحرير» الذي مثل صوتًا معارضا في كثير من الأحيان من خلال منظومة حكومية.وخرج حمدي قنديل من رحم الحكومة إلى الإعلام الخاص على قناة دريم ليقدم ذات برنامجه بنفس الاسم «رئيس التحرير» ولكنه تركها..وفتحت له «دبي» أبوابها ببرنامج «قلم رصاص» وظل بها أربع سنوات قال عنها إنها من أجمل سنوات عمره، فلم يسأله أحد عما يقول ولماذا ولكن بدأ الجفاء يطرق الأبواب فدبي بالتأكيد كانت لها أجندة خاصة في توظيف حمدي قنديل انتهت منها وبالتالي لم يعد برنامج حمدي قنديل يمثل أهمية لها..وعاد المذيع اللامع ليبقى في مصر عدة شهور ثم انتقل إلى قناة الليبية ليقدم ذات البرنامج «قلم رصاص» من ستديوهات لندن.

تلك هي رحلة إعلامي مصري علينا أن نقدم ملامح منها ولكن تبقى الأسئلة: ما الذي يدفع إعلاميًا بقامة حمدي قنديل إلى أحضان الخليج أو ليبيا؟ وبالتأكيد فإن المنطقتين لا يتمتعان بالحرية في مصر مهما اختلفنا حولها وطالبنا بزيادتها.

ولدي تساؤل، فإذا كان حمدي قنديل استطاع أن يتواءم إلى حد ما لسنوات في الخليج

أو قد يتواءم والله أعلم لأي مدة مع الحرية الليبية، فلم لا يستطيع التواؤم بنفس القدر مع الإعلام المصري الذي أتمنى له حرية أكبر، ولكنه بالتأكيد أكثر حرية من إعلام ليبيا أو غيرها من الدول العربية؟! قد يكون حمدي قنديل اعتاد على الطيران من غصن إلى غصن ولكن ألم يحن الوقت ليحط على غصن بلاده حتى لو كان مكسورا قليلا؟.

جريدة الفجر – مارس ٢٠٠٩

عادل إمام .. زعيم اونطه

حين أعلن علي أبوشادي، رئيس المهرجان القومي للسينما، منذ أسابيع عن أسماء المكرمين في المهرجان ومن بينهم عادل إمام، لم أشك للحظة واحدة أن عادل إمام لن يأتي إلى التكريم لأنه ببساطة تكريم ممنوح من الدولة، وعادل إمام والدولة في حالة وئام، والمهرجان القومي تقيمه وزارة الثقافة وهي الجوائز السينمائية الوحيدة التي يوضع عليها ختم النسر، وبرغم أن النجم سابقاً كانت له مواقف في رفض جوائز ترعاها الدولة مثل تكريمه في مهرجان القاهرة السينمائي، فإنني تصورت أن الأمر سيكون مختلفاً.

ولكن لعجبي، عادل إمام لم يحضر تكريمه ولم يعتذر بدليل أن علي أبوشادي أعلن على المسرح أنه ربما في طريقه للاحتفال ولكنه تأخر، كما لم يرسل النجم أحداً لاستلام الجائزة نيابة عنه.

موقف توقفت أمامه وتساءلت حينها عن السبب ولم أجد إجابة، وإن تطوع البعض بإجابات اعتبرتها من سوء الظن مثل، أنه زعلان لأنه كان يطمح في جائزة التمثيل عن دوره في «حسن ومرقص» وغيرها من التبريرات التي لم أستطع تقبلها لأنني أكن احتراماً لتاريخه ولقيمة النجم مهما اختلفت أحياناً معه.

ولكن للأسف الشديد النجم الكبير لم يترك مجالاً للتكهن حول عدم قبوله تكريم المهرجان القومي حين أعلن أثناء تكريمه من المركز الكاثوليكي منذ أسبوع، أنه رفض التكريم لأن المهرجان كرم في ذات الوقت الناقدة الأستاذة خيرية البشلاوي، وحسب أقوال عادل إمام فالأستاذة تكرهه، وقبل دخولها الحمام تشتمه وقبل نومها تشتمه، ولهذا فهو يرفض تكريمه معها! وأضاف فيما أضاف بأنه لو كان حصل على جائزة تمثيل لكان أرسل ابنه لاستلامها!

يا نهار أسود، أهذا هو السبب الذي دفع عادل إمام لرفض التكريم، ولم يترك لي مجالاً لحسن الظن به.

ولست هنا بصدد الدفاع عن الأستاذة خيرية البشلاوي، فلها قلم ومساحة منشورة في جريدة الجمهورية وربما في صحف أخرى كثيرة، ولست بصدد أن أقول إنها أستاذة صاحبة تاريخ مهني محترم وأنني تعلمت منها، وأنها أستاذة لجيل تعلم منها أبجديات قراءة الأعمال الفنية حتى وإن اختلف عنها.

ولكني أمام ظاهرة يجسدها فنان من المفروض أن يكون كبير السن والقامة ومثلاً لأجيال كثيرة تعاقبت بعده، لم يعد صدره يقبل بالنقد أو الاختلاف، فهل أصبح عادل إمام مساوياً للرئيس الأمريكي بوش الذي أعلن أن من ليس معنا فهو ضدنا؟ هل أسهل على عادل إمام أن يطلق تعبير شتيمة على نقد الأستاذة خيرية البشلاوي له، ليبرر عدم قبوله لها ولكنه يقبل نقداً آخر لآخرين يعتبرون مديرين لأعماله أكثر منهم صحفيين؟!

عند البعض النجاح والاستمرار يخلقان لديهم حالة تصالح مع الدنيا والمختلفين معهم، ولكن يبدو أن الأمر مع عادل إمام مختلف، فاستمراره على الساحة لأكثر من ثلاثين عاماً يخلق لديه عزلة أكثر، ووجود البودي جارد الأربعة المحيطين به والمعينين من وزارة الداخلية، للحفاظ على حياته، زعماً أنه مطلوب من الجماعات الإسلامية المتطرفة، يعزله أكثر وأكثر. فحتى هذه الجماعات قد تفككت ولم يعد لها وجود، لأن أغلبها أعلن توبته ومراجعاته ولكن عادل إمام ما زال يعش محاطا بفكرة الإرهاب وأنه الزعيم المتصدي له.

في الفن النجوم تحرسها عيون الجماهير وصدورهم، وفي الفن الاختلاف فضيلة لا يدخل صاحبها المعتقل أو يعذب باختلافه. أما في السياسة فالعسكر والبودي جاردز يحرسون من يدعون أنهم زعماء والاختلاف معهم رذيلة يدفع صاحبها حياته سجناً أو تعذيباً وربما قتلاً.

عادل إمام من المفترض أنه محسوب على أهل الفن، ولكنه بأقواله وأفعاله لا يترك لنا مجالاً إلا أن نقول: إنه من أهل السياسة أكثر من بوش ذاته، ولكن هل يدري عادل إمام أن زمن بوش قد انتهى بضربة حذاء، وأن أوباما اعتلى سدة الحكم وأعلن أول ما أعلن عن تسامحه وقبوله للآخرين مهما كانوا، ليت عادل إمام يتعلم ويرفض القيام بدور بوش ويكتفي ببوبوس.

جريدة الفجر - مايو ٢٠٠٩

عادل إمام يخاصم الزمن

«الزعيم كلاكيت ثاني مرة في خلاك شهر ونصف الشهر ضيف على برنامج رياضي في قناة النيل الرياضية» .. «الزعيم يحتفل بخبر فيلمه الجديد وتوقيعه عقدًا مع الشركة العربية».. وهكذا كانت الأخبار التي تواترت عن عادل إمام خلال هذه الأيام.. يا سلام.

عادل إمام الفنان الكبير .. أرفض أن أطلق عليه لقب الزعيم ، وكنت أتمنى لو رفضه هو الآخر لأننا في بلاد كلمة الزعيم فيها لها وقع غير محبب . وأتعجب أخيرًا من تصرفات نجم كبير أتمنى لو يراجعها ، وإن كنت أشك بشدة في ذلك لأن عادل إمام كما هو صاحب تاريخ فني طويل هو أيضًا صاحب تاريخ من العند والكبر طويل .

منذ تربعه على عرش النجومية وجمهورية الكوميديا ، كما يقولون ، لم يكن عادل إمام أبدًا متاحًا للصحافة أو الإعلام ، بل كان ضنينًا وعزيزًا في الظهور ، وكان يصطفي من الصحفيين اسمًا أو اثنين للحديث لهم وإمدادهم بأخباره .

ومن النقيض إلى الآخر ، من الاختفاء إلى الظهور المفرط بلا معنى ، فلا عادل إمام يقول جديدًا أو يحاوره أحدهم في غير عظمته وقيمته ، حتى صار ظهوره مرتبطًا عند الكثيرين بالملل من الضيف والمضيف . حتى حين ظهر على مدى مرتين مع أشرف عبد الباقي وأحمد آدم في قناة الحياة التي اعتبرتها انفرادًا ، ترقب الجمهور المرة الأولى ولكنهم انصرفوا في الثانية .

وكأن عادل إمام الفنان الكبير فقد بوصلة الاتصال ، وأفضل هذا التفسير عن تفاسير أخرى خبيثة تقول : إن ظهور عادل إمام المتكرر تعبير عن رغبة البقاء تحت الضوء مهما

كان الأمر . ويسوق أصحاب هذا التفسير قبول الفنان الكبير فكرة الأكاديمية الوهمية مع قناة مغمورة أردنية وتحول الأمر في نهايته إلى فضيحة . ثم يسوقون أيضًا خسارتهم في فيلمه الأخير «بوبوس» ، مما اضطره إلى أن يعلن أن فيلمه المزمع عمله «فرقة ناجي عطا الله» يحتاج لمبالغ طائلة لتنفيذه لذا سيحوله إلى مسلسل وكأن المسألة «شراب» يتم قلبه .

وأخيرًا يظهر عادل إمام مع الزميل ياسر أيوب للمرة الثانية في برنامج رياضي ليعلن خبرًا فنيًا ويحتفل بتعاقده مع الشركة العربية بفيلم آخر . متى كان عادل إمام يحتفل بأفلامه أمام كاميرات البرامج! كانت مؤتمرات صحفية ومحطات تليفزيونية من كل صوب وحدب تتابع ولكن صار الأمر مجرد برنامج وستوديو .

ومرة ثانية أؤكد أني لست من هؤلاء الذين يرجعون تصرفات عادل إمام إلى حلول برد الشتاء على نجوميته ، لأني على اقتناع بأن النجومية مرتبطة بذكاء وبوصلة اتصال قادرة على التقييم الصحيح والبقاء بمعايير مختلفة عن البدايات .

عادل إمام ، كما يبدو لي ، فاقدًا لبصيرة الحكمة التي تقتضي من لنجوم القبول بتغيرات الزمن والتي نجح في قبولها قليل من نجومنا مثل فريد شوقي وكثير من نجوم هوليوود والعالم .

سمعت مثلاً بأذني جاك نيكلسون النجم الأسطورة يقول في أحد البرامج : إن اسم توم كروز طبعًا يجب أن يسبقه ، ورغم هذا ما زال نيكلسون هو الفنان العظيم .

التصالح مع الزمن والسير إلى جواره وليس أمامه هو ما ينقص النجم الكبير ، الذي شاهدته أخيرًا كثيرًا وهو يمثل أنه متصالح بينما للأسف هو في حالة خصام شديدة مع الزمن .

جريدة اليوم السابع – أبريل ٢٠١٠

غادة عبد الرازق .. نجمة أتلفها الهوى

هي فنانة موهوبة بلا شك، تحمل كثيرًا من ملامح النجومية وخصائص التميز، ولكنها كالكثيرين من أصحاب المواهب في زمن عشوائي تعمه الفوضى في الفن والفكر فيسيرون بلا بوصلة تشير إلى اتجاه صحيح. أتحدث عن غادة عبدالرازق الفنانة التي بدأت مسيرتها منذ حوالى خمسة عشر عاماً بأدوار صغيرة على المسرح وفي مسلسلات تليفزيونية، وتدرجت على سلم النجومية إلى أن وصلت في العام الماضي بأفلام ومسلسلات وضعتها في قلب المشهد الفني كنجمة متوجة حتى وصلت إلى آخر أفلامها «بون سواريه» الذي يعرض حالياً.

ويغض النظر عن تقييمي الخاص لفيلمها الأخير الذي يعد من الأفلام غير ذات القيمة، لنفرد له مساحة للتحدث عنه، إلا أنني أزعم أن بطلته بحاجة إلى أن نقف عندها ليس لمجرد كونها نجمة سينمائية وتليفزيونية ولكن لأنها حالة متكررة لأصحاب المواهب في هذا البلد، كل المواهب في العلم أو الفن أو الصحافة أو التجارة وغيرها من جوانب الحياة.

في مصر يصعب على أصحاب المواهب أن يجدوا طريقاً لأن أصحاب السطوة والحظوة يزاحمونهم وعادة ما يطردونهم، ولذا فتجد كثيراً منهم يبدأ رحلته موهوباً مستبشراً ولكن بعد قليل أو كثير من الوقت تجده اختفى من مجاله وانزوى أسفا، ولكن قليلاً منهم من يملك العزيمة والقوة على الاستمرار ليظل مجاهدا بموهبته ليصل إلى أحلامه، ولدينا من الأمثلة العشرات بل المئات على الحالتين ولا أظن أحدًا منا لا يعرف في حياته مثل هذه

النماذج التي قابلها يوماً وقال عنها إنها موهوبة ثم بعد سنوات قابلها فوجدها اندثرت.

أما هؤلاء الذين يستمرون ويصلون بشق الأنفس، فمن فرط ما دفعوا من ثمن وجهد ليصلوا إلى التميز يخافون على ما وصلوا إليه، ويخافون من الانحدار فيسعون على أي شيء للحفاظ على مكانتهم ناسين الموهبة التي منحهم الله لهم.. لأنهم ببساطة يدركون أن الموهبة وحدها لم تكن كافية للنجاح.

الموهبة في أي مجال في مصر من طول صراعها من أجل الوصول تتشبث بالقمة أو جوانبها بأساليب أخرى عادة غير ذات قيمة، فكم من مواهب شاهدتها ولمستها فقدت أهم وأجمل ما فيها وهي قيمة الموهبة لأنها متأكدة أن هذا السلاح هو آخر الأسلحة قيمة وأضعفها أمام أساليب أخرى.

وعودة لغادة عبدالرازق كمثال حي على ما أقول، فوصولها إلى مكانة النجومية استغرق منها زمنا وجهدا غالبا خلق لديها، عزيمة على البقاء، فبعد عدة أدوار متميزة في أعمال فنية أو فكرية أو حتى بصرية، ولكن نجاحها الجماهيري المتأثر بفجاجة الذوق حالياً، توليفة سُبكية من رقصة وغمزة عين وأغنية فجة وحكاية من حكايات الأطفال، وأولاً وأخيراً برومو أو دعاية كاذبة خادعة تدفع البعض لمهاجمته حتى قبل مشاهدته، فتعطي الفيلم قيمة من الجدل لا يستحقها. وكنت ممن كفوا أقلامهم في هذه المرحلة، لأني لا أحكم على الأشياء من أبوابها، وبوابة الأفلام هي البروموهات وهي عادة كاذبة خادعة في الاتجاه السلبي أو الإيجابي.. فكم من أفلام عبيطة سيئة يكون البرومو الخاص بها هو أجمل ما فيها وكم من أفلام عظيمة ظلمتها دعايتها.

وفي «بون سواريه» أظن أن البرومو أفضل ما فيه، رغم الهجوم الذي أصابه، لأنه دفع البعض لتصور أشياء ليس لها وجود في الفيلم.. ولهذا فهو غالباً المفضل لدى منتج الفيلم لأنه أعطاه ما لا يستحق من جدل.

وتتحول غادة عبدالرازق إلى مادة للأخبار والصراع والبقاء وتأكيد النجومية، فتقرر أن تزيح مدير تصوير مسلسلها القادم «سمارة»، الكبير محسن نصر صاحب التاريخ والفن، وبغض النظر عن الأسباب التي دفعت ممثلة أن تطلب تغيير مدير التصوير ويُجاب طلبها، فإن الخبر في حد ذاته يحمل دلالة الخطر والتدهور اللذين أصبحنا نعاني منهما في

الفن، فأصل الأشياء أن المخرج هو رب العمل الذي يأتي بالكاتب والمصور والمونتير، وانقلب الأمر فأصبح النجم هو الذي يأتي بالكاتب ثم المخرج، ثم ها هي النجمة التي تطلب تغيير مدير التصوير، وآخر يطرد المخرج ليقوم هو بالمونتاج بدلاً منه، وغير ذلك من حكايات تؤكد أن الحياة الفنية انقلب رأسها مكان قدميها، فلا صار المخرج مخرجاً ولا الكاتب كاتبا ولا النجم ممثلاً.

وشريعة الحياة علمتنا أن الأدوار تُحدث انتكاسة صغرى أو كبرى فتزول مخلوقات وتنهدم حضارات، وفي السينما والتليفزيون اختلطت الأوراق وتبدلت الأدوار وحتى المواهب تدخلت فيما ليس لها، ولم يبق أمامي إلا أن أردد مقولة السيد أحمد عبدالجواد في الثلاثية حين سأله تابعه عما يكتب أمام حساب البضائع التي أهداها للراقصة صديقته فقال له: «اكتبها تحت بند بضاعة أتلفها الهوى»، وحين تتبدل الأدوار والأهواء على غير مبدأ لا أجد بدا من أن أعيد استخدام نفس عبارة السيد أحمد عبدالجواد: إن غادة عبدالرازق قد تكون نجمة أتلفها الهوى.

جريدة اليوم السابع - يناير ٢٠١١

كل عام وانت صلاح جاهين

فى مثل هذا الشهر يوم ٢٥ منه يكمل ٩٠ عاما بالتمام والكمال،كل عام وهو بخير،كل يوم وهو سعيد راض،كل لحظة وهو شاب مهما شاب ومهما غاب لإنه الغائب الحاضر الفيلسوف الضاحك الباكى صاحب اللغة الثالثة كما قال عنه يحيى حقى،كل عام وانت يا جاهين بخير حى بيننا بكلماتك وفلسفتك الرائعة .كل عام وانت بخير يا صديق لم ألتقيه يوماً إلا على الورق ويا معلماً مازلت أنهل من حكمته رغم البعاد ويا فنان قادر على إختزال حياتنا وتفاصيل أيامنا الآن رغم الفراق....كل عام وأنت صلاح جاهين بكلماتك....

قالوا السياسة مهلكة بشكل عام

ويحورها يا بنى خشنه مش ريش نعام

غوص فيها تلقي الغرقانين كلهم

شايلين غنايم..والخفيف اللى عام..وعجبى

نوح راح لحاله والطوفان إستمر

مركبنا تايهه ولسه مش لاقيه بر

آه من الطوفان وآهين عليك يا بر

إزاى تقدر تبان والدنيا غرقانه شر...وعجبى

إزاى شبابنا يقوم ويخود دوره

من غير صراخ يئذيه ويجرح زوره

يا هل ترى أحسن له يقعد ساكت

أو ينترك ولو خرج عن طوره....وعجبى

هات يا زمان وهات كمان يا زمان

غير بسمة الشجعان ما منى بيان

هو اللى داق الفرحة يوم ثورته

يقدر يعود ولا ثانية للأحزان....وعجبى

أنا كل يوم أسمع فلان عذبوه

أسرح فى بغداد والجزاير

ما أعجبش من اللى يطيق بجسمه العذاب

وأعجب من اللى يطيق يعذب أخوه....وعجبى

علم اللوع أضخم كتاب فى الأرض

بس اللى يغلط فيه يجيبه الأرض

أما الصراحه فأمرها ساهل

لكن لا تجلب مال ولا تصون عرض....وعجبى

مرغم عليك يا صبح..مغصوب يا ليل

لا دخلتها برجليا.. ولا كانلى ميل

شايلنى شيل دخلت أنا فى الحياة

وبكره ح أخرج منها شايلنى شيل....وعجبى

قالوا أبن آدم روح وبدنه كفن

قالوا لأ بدن..قالوا لأ ده روح فى بدن

رفرف فؤادى مع الرايات فى الهوى

أنا قلت لأ روح فى بدن فى وطن....وعجبى

الفهرس